AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

لويزة حنَّون للهدف:
دعمنا لكفاح فلسطين غيرمشروط

في ذكرى يوم الأرض:متجذرون (ملف)

إشكالية الهوية العربية: بين القطرية والقومية (ملف)

الهدف - فلسطين العدد 24 (1498) - آذار/ مارس 2021

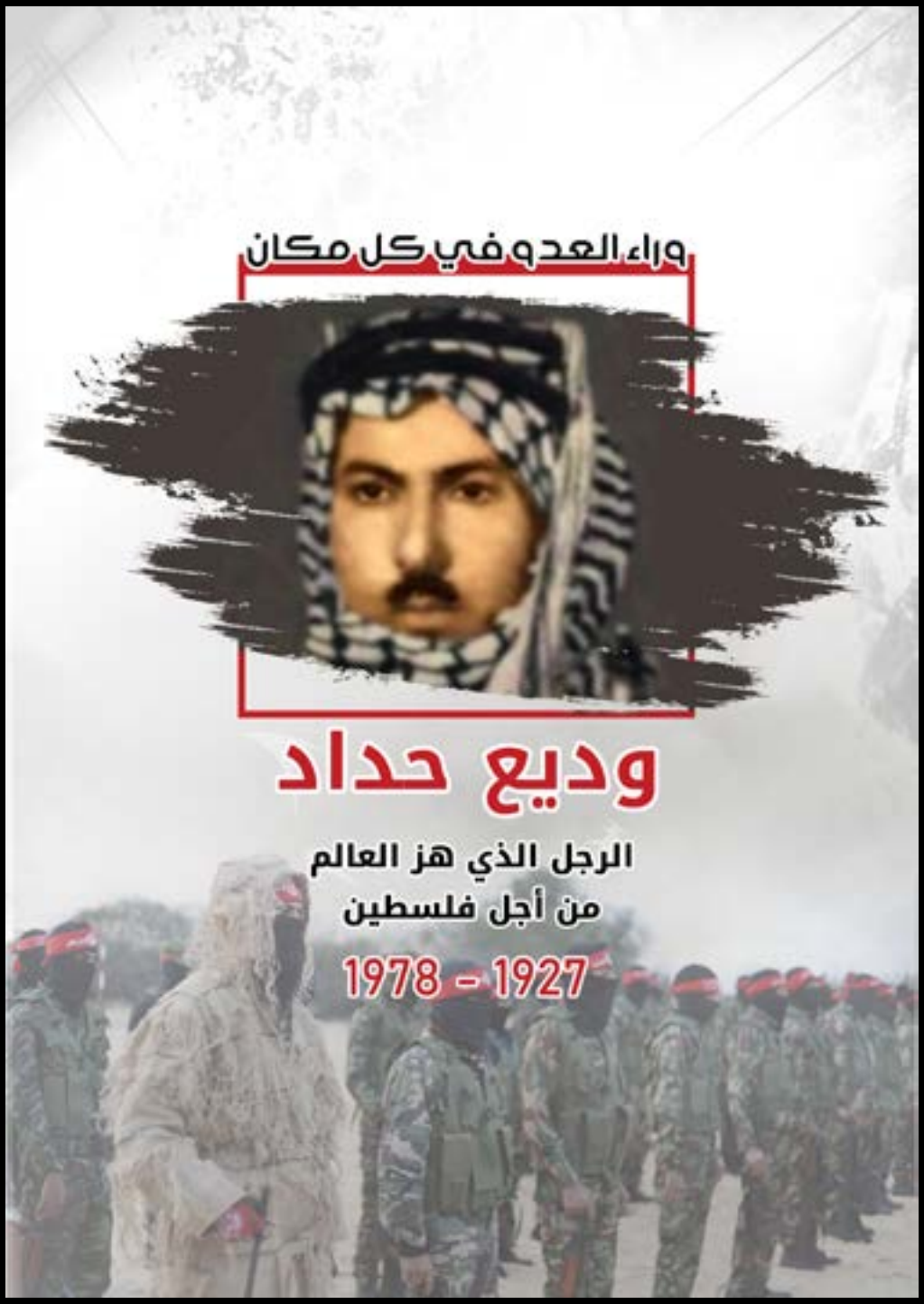

الهدف
AL-HADAF

الافتتاحية

وحدة الأرض الفلسطينية: جذر الصراع المستمر

كل الحقيقة للجماهير

لم يكن دفاع الشعب الفلسطيني عن أرضه بمعزل عن دفاعه عن حقه في الوجود والبقاء فوقها؛ فلقد أدرك بفطرته كما بمجريات الصراع أن جذره كما استمراره يرتبط بالسيطرة والهيمنة الصهيونية على الأرض الفلسطينية واقتلاع الإنسان منها، لهذا لم يكن يوم الأرض في الثلاثين من آذار 1976 مفصولاً أو معزولاً عن جذر هذا الصراع وبداياته الممتدة مع المشروع الاستعماري الغربي للوطن العربي، لذلك أدرك العدو أن ضرب هذا الجذر يبدأ فلسطينيًا، وخاصة من خلال المؤسسة التي تمثل وحدة الشعب والأرض، سواء بصفتها التحررية أو كينونتها السياسية والقانونية والمعنوية، حيث جرى إلحاق منظمة التحرير الفلسطينية بتيار التسوية في المنطقة، الذي وصل إلى توقيع اتفاق أوسلو والاعتراف بحق «إسرائيل/العدو» في الوجود على الأرض الفلسطينية والتسليم لها بأكثر من 78٪ من مساحة فلسطين التاريخية طواعية.

هذا الاعتراف الذي اعتبره العدو بأنه يمثل اللبنة الأولى في استكمال إطباق سيطرته على كل فلسطين كما هو جاري اليوم فعلا، لكن الأنكى هو بقاء القيادة الرسمية الفلسطينية «وفيةً» لهذا التيار ونهجه، رغم مرور ثلاثين عامًا على تطبيقاته الفعلية والتي ثبت بالقطع أن الهدف الرئيسي منها هو تصفية القضية الوطنية الفلسطينية؛ شعبًا وأرضًا وحقوقًا.

بين صراع فتح وحماس على السلطة، وقبلها قدرة القيادة المتنفذة في المنظمة على تنفيذ أجندتها الخاصة في الوصول لاتفاق سياسي أو صفقة سياسية وأمنية بالمعنى الأدق للكلمة مع العدو على حساب الحقوق الوطنية الفلسطينية، يُطرح سؤال كبير عن دور القوى والتنظيمات التي أعلنت أنها تقف ضد هذا التيار وهذا النهج وكل عوامل الانقسام ومحفزاته: فهل استطاعت حقًا أن تفي بتعهداتها حتى فيما يتعلق بالبديهيات والمسلمات التي كان لا يجب أن تمس؟!

الكثير من البديهيات والمسلمات باتت مكان شك وريبة ومحط تساؤل لا يخلو من الخوف والقلق: «التحرير – حق العودة – الاستقلال – وحدة الشعب (الوحدة الوطنية) - وحدة الأرض - الهوية- الحقوق - العدو – المقاومة – التنمية – الحريات – الثقافة - التاريخ... الخ»؛ فمن باب هذه البديهيات والمسلمات التي كان لا يجب أن تمس، نؤكد بأن قضية الشعب الفلسطيني ووحدة أرضه وحفظ بعده الوطني وضميره الجمعي، هي رهن وحدة حركته السياسية، ووحدة الحركة السياسية رهن وحدة هدفها الوطني الذي انطلقت من أجله، ووحدة الهدف موقوف على تبني استراتيجية وطنية حقيقية، والاستراتيجية بحاجة لأداة كفاحية كفؤة وقادرة على تنفيذها؛ فاستمرار غياب وحدة الهدف ووحدة الحركة السياسية وغياب الاستراتيجية والأداة الوطنية القائدة، واستمرار الارتهان والرضوخ للرؤية الأمريكية – الصهيونية، التي تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية، لا يعني سوى أننا نحيد عن جذر الصراع الدائر مع العدو، بل نزيد من أرباح هذه الرؤية ومشروعها المعادي.

مسألة حفظ البعد كما الوجود الوطني، يجب أن يكون مركز أي موقف أو خطاب أو طرح أو مصلحة حزبية لا ترى نفسها خارج الرؤية الوطنية، وعليه، فإن مسؤولية الجميع أن يتوقف أمام جملة المعطيات القائمة من: تمزق للأرض والشعب وأزمة هوية مستفحلة وتمزق للماهية الواحدة وغياب للمشروع الوطني الجامع والمهددات الخطيرة للقضية والوجود ومصير الذات الواحدة والجماعية.. فطريق الخلاص وتحقيق الانتصار لا يمكن أن يكون بوابته سوى حفظ وحدة الشعب والأرض والهوية والقضية والحقوق الوطنية الفلسطينية، أي المسلمات والبديهيات التي تمنح الشرعية لأي قوة سياسية.

في هذا العدد

ملف « في ذكرى يوم الأرض: متجذرون»

وسام رفيدي: الأرض والهوية في الحالة الفلسطينية..... 6

جمال فهمي: أمهات فلسطين انتصرن فعلا 8

يوم الأرض-ضد الصهيونية: خاص الهدف..... 9

محمد أبو ناموس: جدار الصوت: مرشح افتراضي فائز..... 9

حسام أبو النصر: الأرض-الميراث والمحراث.....10

عليان عليان: الأرض في مواجهة الاستيطان والتهويد.....12

بيان حول يوم الأرض: منظمة الجبهة الشعبية في السجون.....16

أنقذوا الشيخ جراح: خاص الهدف.....17

طلال عوكل: هي معركة ثم يأتي الشعراء-في الهدف.....17

ملف «إشكاليات الهوية العربية بين القطرية والقومية»

حوار مع لويزة حنّون.....18

الانهيارات الطبية: خاص الهدف 23

مصطفى الزويدي: الدولة والأمة.....24

رضي الموسوي: لماذا فشلت الدولة القطرية؟.....28

هاني حبيب: ماندیلا والكورونا والملكية الفكرية- خارج النص.....31

عابد الزريعي: حول مفهوم الأمة والقومية.....32

المشرف العام
كايد الغول

رئيس التحرير
د. وسام الفقعاوي

مدير التحرير
سامي يوسف

تحرير وتنفيذ
أحمد مصطفى جابر

المدقق اللغوي
مهند فوزي أبو شمالة

يسمح النقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر .

عناوين بوابة الهدف

غزة- بجوار مستشفى الشفاء-
نهاية شارع الثورة

الهاتف

082836472

البريد الإلكتروني

info@hadfnews.ps

تصدر عن دائرة الإعلام المركزي
في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

AL-HADAF
الهدف
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية
الهدف - فلسطين العدد 24(1498) آذار/مارس 2021

الغلاف: زكريا محمد شريف (زيكوف)

الغلاف الثاني: نضال أبومايلة

المقالات المنشورة لا تتطابق مع وجهة نظر الهدف بالضرورة

كلـــــــــمة

مع تغيير بسيط في موعد الإصدار ليتناسب مع مطلع كل شهر، نعود إلى القراء الأعزاء بالعدد الجديد من مجلة الهدف، والذي يتزامن مع الذكرى المجيدة ليوم الأرض الخالد، اليوم الملحمي الذي أعاد شعبنا من خلاله التأكيد على ارتباطه الوجودي والنهائي وغير القابل للمساومة بأرضه وترابه الوطني.

كان يوم الأرض محطة نوعية فارقة وتاريخية في كفاح شعبنا، خصوصًا في الداخل المحتل بعد سنوات طويلة من الحكم العسكري الإرهابي الصهيوني وعزل شعبنا عن عمقه وامتداده في باقي الوطن الفلسطيني الواحد؛ وليست صدفة أن يأتي آذار كعادته محملًا بروح مقاومة باسلة، تحمل دائمًا الأمل لشعبنا بأنه شعب موحد؛ مقاتل؛ صامد لا يقبل الهزيمة. وكالعادة فإن هذا العدد من الهدف يأتيكم بأقلام نخبة من كتاب فلسطين والوطن العربي، وبمناسبة ذكرى يوم الأرض وتحية لشهدائه البواسل ولأهلنا في المثلث والنقب والجليل والساحل وكل مكان، خصصنا الملف الفلسطيني لهذا العدد بعنوان: في ذكرى يوم الأرض: متجذرون؛ مرددين مع توفيق زياد: إنا هنا باقون.. نحرس ظل التين والزيتون ونصنع الأطفال جيلًا ناقمًا وراء جيل.. بالإضافة إلى مواد أخرى.

وفي الشأن العربي، ننشر ملفًا بعنوان: إشكاليات الهوية العربية بين القطرية والقومية، في مسعى للمزيد من الإضاءة على هذا الموضوع التاريخي والآني في آن معًا وشديد الحساسية في كفاح شعبنا وأمتنا، ويتصدر الملف مقابلة هامة مع الرفيقة لويزة حنون الأمين العام لحزب العمال الجزائري؛ تسلط الضوء عبرها على أهم قضايا الجزائر الشقيق والكفاح المشترك في مواجهة الصهيونية والإمبريالية وخطر التطبيع. وكما عودنا القارئ الكريم، في العدد أيضا مقالات حول شؤون العدو الصهيوني والوضع الدولي، وفي الملف الثقافي مقالات هامة لقضايا تهم القارئ الفلسطيني والعربي■

شؤون العدو..

أكرم عطا الله: الكيان نحو انتخابات خامسة أو تمكين نتنياهو..... 34
محمد جبر الريفي: ديمقراطية الكيان..... 35
تيسير محيسن: انتخابات رابعة في غضون عامين..... 36

شؤون دولية..

محمد أبو شريفة: أزمة العلاقات الأمريكية السعودية..... 38
الحملة الفلسطينية تدعو لمقاطعة OBLONG..... 39
محمد صوان: حدود التباينات بين واشنطن وطهران..... 40
حاتم استانبولي: تهور واشنطن وعقلانية موسكو وبكين..... 42
عبد الحسين شعبان: العدالة الاجتماعية في الاقتصاد الرقمي..... 44

الهدف الثقافي..

عاطف سلامة: صراع الكاريكاتير..... 46
وليد عبد الرحيم: عن الإبراهيمية..... 48
عبد الرحمن بسيسو: الأدب الفلسطيني وتحديات التطبيع..... 50
فاضل الربيعي: في نقد الرواية اللاهوتية الاستشراقية (2)..... 54
مدخل لتجربة ثقافية مرئية: خاص الهدف..... 57

الأرض والهوية في الحالة الفلسطينية

وسام الرفيدي– أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة بيت لحم/ فلسطين

من نافلة القول ارتباط الهوية الوطنية ببقعة جغرافية معينة، أي بأرض ما، تضم مجموعة بشرية تشكلت في ظروف معينة كشعب بهوية ما، قلنا الهوية الوطنية تمييزاً لها عن هوياتٍ أخرى مختلفة لا يشترط فيها توفر البقعة/الأرض، كحال الهويات الدينية مثلاً أو هويات المجموعات العابرة للمستوى الوطني، كألتراس فريق كرة قدم على سبيل المثل، ولكن بغية التعمق أكثر في العلاقة بين الهوية والأرض وجب النزول من مستوى العلاقة المجردة لبحث العلاقة عند مستوى أكثر ملموسية؛ فماذا نعني بالضبط بالأرض هنا؟ نعني بها هنا الأرض التي تحتضن تجمعاً حضارياً مستقراً بالمفهوم الخلدوني عندما تحدث عن تحول البدو لحضر، فمن علائم هذا التحول، كما يشير ابن خلدون والتجربة البشرية، هو الاستقرار.

إن أول ما يخطر بالذهن عند الحديث عن الاستقرار هو نمط الإنتاج الزراعي الذي لا يمكنه أن ينشأ ولا أن يتطور إلا عبر الاستقرار في بقعة معينة مناسبة، وعبر تطوير أدوات الإنتاج واستخدامها، الأمر الذي يخلق نسقاً جديداً من العلاقات الاجتماعية وفي القلب منها علاقات الإنتاج، وكذلك ارتباطاً فريداً بين الإنسان والأرض وذلك، ذلك بالضبط، هو ما يحيل على العلاقة بين الأرض والهوية.

لذلك، إذا كانت الهوية الوطنية، أو القومية هنا سيان، قد تشكلت في أوروبا مع نشوء الدولة البرجوازية على أنقاض دولة الإقطاع المشرعنة بسلطة بابوية دينية توفرها الكنيسة وهويتها الدينية، إلا أن الهوية الوطنية في الشرق، على الأقل، ونتيجة العجز عن تحقيق ثورة برجوازية صناعية ناجزة لأسباب عدة لا مجال لسردها هنا، تشكلت في البنية الإنتاجية السائدة، أي الزراعة، وموضوعها الأساس الأرض.

لذلك كنت على قناعة دائمة أن الهوية منتج ريفي فلاحي ارتباطاً بتلك العلاقات والرموز والمعاني والذاكرة الجمعية بمضامينها الثقافية والتراثية المتشكلة تاريخياً، والتي تتشكل بفعل تلك العلاقة بين الإنسان والأرض.

في الحالة الفلسطينية، وكخطوة نحو الملموسية أكثر، فإن استهداف الأرض من قبل المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، ولأنه استيطاني أصلاً، فإن علاقة خاصة تنشأ بين الإنسان والأرض، خاصة أن أغلبية الشعب كان إنما يقيم في نطاق ديموغرافيا الريف، وبالتالي إن بواكير الإحساس بأهمية الهوية الوطنية والسعي لتجسيدها إنما نشأت، باعتقادي، بتأثير ثقافة الريف الفلسطيني لدى النخب السياسية والثقافية المدينية.

من الأكيد أن هناك مَنْ يحاجج على العكس من هذه الفكرة مستنداً لحقيقة أن التعبير عن متطلبات الهوية الوطنية، أي الاستقلال السياسي بدولة، باعتبار الأخيرة التجسيد المؤسساتي الأهم للهوية، إنما تم في المدينة، وتحديداً في القدس، ومن قبل فئات ليست فلاحية، بل فئات برجوازية وإقطاعية تتشكل كنسق عائلي وقبلي، وأيضاً فئات مثقفة على محدودية عددها ووزنها، وعبر المؤتمرات الإسلامية المسيحية المنعقدة في عشرينيات القرن الماضي، ومع ذلك فإن تلك الحقيقة لا تدحض ما ذهبنا إليه بأن الهوية الوطنية الفلسطينية إنما هي هوية ريفية بالأساس؛ فالفئات المشار لها كفئات برجوازية وإقطاعية ومثقفة هي على صلة وثيقة بالجذور الريفية، إما بحكم الصلات العائلية، والتي كانت ما زالت ريفية، أو بحكم علاقات الإنتاج والتبادل شأن علاقة برجوازية نابلس

العودة إلى الفهرس

في ذكرى يوم الأرض: متجذرون

مثلاً واختصاصها بصناعة الصابون مع ريف نابلس المنتج للزيت، أما أن تلك الهوية بُدء بالتعبير عنها في مؤتمرات معلنة كمؤتمرات مسيحية إسلامية، فهذا لا يعني بالضرورة أن الهوية بدأت بالتشكل كهوية دينية، فأن نقول هوية وطنية يعني بالضرورة هوية علمانية، باعبتارها وطنية بالذات، أي ما فوق الانتماءات الدينية، ولكن لخصوصية البنية المؤسساتية والسياسية آنذاك، وكانت وليدة على أية حال، أتخذت المؤتمرات، شكلاً الطابع الديني المسيحي الإسلامي.

ليس غريباً إذن أن تُعتبر ثورة العام 36 ثورة فلاحية بامتياز؛ فسواء من حيث قادة الثوار أو قاعدتها الأساسية أو نطاقها الديموغرافي فهي فلاحية/ ريفية، وإن لم تتشكل لها قيادة ثورية بمستوى تضحيات فلاحيها ولا حزب ثوري ينظم ويقود جماهيرها؛ فركب موجتها القيادة البرجوازية الإقطاعية وخانتها عبر ثقتها (بصديقتنا بريطانيا العظمى)، حتى بواكير الطبقة العاملة التي بدأت بالتبلور كطبقة بذاتها في بعض المشاريع كالسكة الحديد والفوسفات ومعامل التنباك والسجائر ومعسكرات الجيش البريطاني، حتى تلك الطبقة فهي لم تقطع مع جذورها في بيئتها الريفية؛ إن كان من حيث أصولها أصلاً أو امتدادها العائلي أو حتى، وهو الأهم لدى بعض أوساطها، جمعها بين كونها تبيع قوة عملها في السوق وبين امتلاكها قطعة أرض في الريف، كما هو الحال اليوم لدى العديد من عمال الأرياف الفلسطينية.

بكل الأحوال وكيفما عالجنا الموضوع يتضح لنا أن الهوية الوطنية الفلسطينية ذات منشأ ريفي، وهذا بالمناسبة ما أشار له بطريقة ما فيصل دراج في كتابه بؤس الثقافة في المؤسسة الفلسطينية، عندما ذهب إلى أن الثقافة الفلسطينية الوطنية هي ثقافة فلاحية، وليس من الافتئات على الاقتباس تحويره باتجاه الهوية.

ولو أخذنا ببعض التفصيل وبعض التمظهرات للعلاقة بين الهوية الوطنية والريف ببنيتها الزراعية وفلاحيه لتأكدت لنا تلك العلاقة أكثر؛ الهوية في جزء أساس منها هي تلك الرموز والمعاني التي توحّد مجموعة بشرية ما، كالشعب هنا، لتمييزها عن الآخرين، دون أن ننكر أهمية الذاكرة الجمعية ونمط الإنتاج والتاريخ المشترك المنتقل عبر تلك الذاكرة، ولكننا هنا نتناول، على سبيل التركيز لا النفي، الرموز تحديداً.

النكبة، الحطة والعقال، القمباز، تقاليد الزواج والموت، المواسم الدينية كموسمي النبي موسى والنبي روبين، مفتاح البيت، الدبكة، المجوز والشبابة، الزيت والزيتون، المسخن، كوشان الطابو، مفردات العملية الزراعية وأدواتها، وغير ذلك الكثير من الرموز التي باتت تطبع الهوية الفلسطينية بطابعها وما زال الفلسطيني اليوم سواء عبر المؤسسات الرسمية أو الشعبية، أو عبر المبادرات العفوية الشعبية، يعلن تمسكه بها، إنها بالأساس رموز ريفية بامتياز لا مدينية، علما أن الأصول الريفية القريبة للفئات المدينية جعل من الأخيرة أيضاً حاملاً لتلك الرموز، مع أن بعض تلك الفئات، شأن الفئات الوسطى المتأورية أو المتأمركة، هي أيضاً تُظهر تعلقها بتلك الرموز ولو من باب التباهي الاجتماعي والديكور اللازم للمجاملة العامة كسلوك متوقع أحياناً من البعض! أو حتى من باب تسويق خياراتها وتوجهاتها.

طبعاً لا يعني كل هذا أن الشعور والإحساس والعمل وفق مقتضيات تأكيد الهوية الوطنية محصور بالريف دون المدينة، فالقضية الوطنية ما زالت هي العامل الأكثر أهمية في الانحياز للهوية الوطنية سواء في الريف أو في المدينة، وبالتالي وإن كانت نشأة الهوية وطابعها ريفيين، فإن إعلان التمسك بها وتعزيزها مسألة تطال العموم الفلسطيني في كافة مواقعه الديموغرافية، ريف ومدينة ومخيم، وفي كافة المواقع، فلسطين التاريخية والشتات، إن هذا لا يقلل نهائياً من الخطورة المتعلقة بمكونات الهوية ورموزها والمتأتية من ظواهر واتجاهات عدة، ورغم أن التفصيل بهذا خارج نطاق محدودية هذا المقال، ولكن حسبنا الإشارة لتأثيرات الفكر الليبرالي المعولم المشوه للهويات الوطنية المحلية، وكذا لمخاطر التطبيع على تشويه الوعي الوطني وتالياً الهوية، وكذلك للتشوه السياسي الذي أصاب المشروع الوطني، كمشروع مقاوم لتحرير الوطن والعودة، بحيث انتعشت الهويات الدينية والطائفية والجهوية والعائلية، وأخيراً على سياسات السلطتين؛ الأوسلوية وتقزيمها لفلسطين كأرض الهوية في الضفة والقطاع، والدينية الإسلاموية التي في خطابها وسلوكها تقزم الهوية الوطنية لانتماءات دينية ■

أمهات فلسطين انتصرن فعلا

جمال فهمي– كاتب صحفي ووكيل نقابة الصحفيين المصريين سابقًا/ مصر

قبل عامين أعلنت لجنة رسمية تابعة للكنيست الإسرائيلي بياناً سنوياً يسمى «البيان البرلماني بشأن تعداد السكان»، أقرت فيه بحقيقة كارثية بالنسبة للكيان الصهيوني، ملخصها أن الشعب الفلسطيني برغم سيل عربدات الإجرام والحصار والقتل والاقتلاع التي لم تنقطع ساعة واحدة منذ سرقة وطنه قبل 70 عاماً، استطاع أن ينتصر إنسانياً وسكانياً انتصاراً مدوياً على هذا الكيان العدواني العنصري، إذ نجح – حسب بيان الكنيست– أن يحقق على أرض وطنه المسروق، توازناً عددياً ربما يلامس حدود التفوق، مع البزرميط البشري اليهودي (أو حتى مدعين اليهودية بالكذب طمعاً وانتهازية)، هؤلاء الذين استجلبهم الصهاينة من شتى بقاع الأرض ليسكنوا وطناً لا يعرفونه ويستوطنون قرى ومدناً وبيوتاً لم يبنوها، ويأكلون من ثمار حقول لم يزرعوها وإنما نشلوها بالقوة والعنف من أصحابها الأصليين.

حسب البيان الإسرائيلي المذكور، فإن عدد أهلنا الصامدين في فلسطين المحتلة بلغ في العام 2018 نحو ستة ونصف مليون نسمة (4,8 مليون في الضفة الغربية وقطاع غزة، 1,4 مليون في أراضي فلسطين المحتلة عام 1948) وهذا العدد يساوي، أو يزيد قليلاً عن العدد الإجمالي لليهود المستجلبين في الكيان الصهيوني، هذا طبعاً من دون حساب المواطنين الفلسطينيين في الشتات ومخيمات التهجير، وعدد هؤلاء يساوي، أو قد يفوق، عدد اليهود المنتشرين في العالم كله خارج فلسطين المحتلة.

ومن دون أي ادعاء للحكمة بأثر رجعي، فإن العبد لله كاتب هذه السطور يدعو منذ سنوات طوال إلى ترك أرحام أمهات أهلنا في فلسطين المغتصبة، تحسم هي الصراع مع العدو الصهيوني وتتولى تقويض وتفكيك مشروعه الاغتصابي العنصري على أرضنا ومقدساتنا المسروقة هناك.

لقد قلت من قبل ما معناه أن هذه الأرحام الطاهرة كفيلة بإنجاز المهمة المقدسة بكفاءة واقتدار عظيمين، بدل الاستمرار المهين والكارثي في إسقاط خيار المقاومة بكل وسائلها، ومن ثم الكف الطوعي عن إلحاق أي أذى بالعدو، والاكتفاء بثرثرات فارغة وأهازيج عبيطة تصاحب عملية هرولة دائمة خلف أوهام السلام والتعايش المستحيل مع كيان عدواني واغتصابي لقيط ومسلح حتى الأسنان بترسانة هائلة من التخاريف العنصرية، فضلاً عن آلة دمار وقتل أمريكية عرمرم.

هذه الحالة المزرية التي غاصت فيها أمتنا العربية على مدى أكثر من أربعين عاماً حتى الآن، لم تصنع سلاماً ولا حققت استقراراً ولا تنمية حقيقية، بل كان الحصاد مروعاً، فقد شاع الخراب والبؤس الشامل (مادي وروحي وعقلي) في أغلب أرجاء الأمة، فيما فاز العدو بهدايا مجانية ثمينة أهمها أنه استغل حالة غفلتنا وقعودنا الطوعي المشين عن بناء قوتنا الذاتية وممارسة حقنا في المقاومة، في تعميق جذور وجوده غير المشروع على أرضنا وابتلاع المزيد منها والتجرؤ الفاضح على مقدساتنا، كما أغراه عجزنا غير المبرر؛ فراح يرفع باضطراد جنوني من وتيرة عربداته وعدوانه، لأن الحقيقة التي يؤكدها الواقع المعيش، إضافة إلى التاريخ الإنساني كله، أن الغناء والثرثرات الفارغة لا تردع عدواً ولا تعيد أو تحمي حقوقاً ولا تحرر أوطاناً ولا تنقذ أية مقدسات من الضياع.

الآن يأتي خبر بدء تفوق عدد أهلنا في فلسطين على عدد البزرميط البشري الغريب المستورد، ليؤكد أن التنازل والاستسلام للعدو ليس له ما يبرره، ذلك أنه يقيم مشروعه وكيانه العنصري على قاعدة اقتلاع شعب فلسطين من ارضه وإحلال خليط مستجلب من أصقاع بعيدة محله، بحيث تصير أكذوبة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض حقيقة، وفي ظل هذه القاعدة الإجرامية، كان الصهاينة وما زالوا يحسبون ألف حساب لما يسمونه الخطر الديموجرافي العربي على كيانهم، ويضعونه على رأس قائمة المخاطر التي يعدون العدة دائما لمواجهتها ومنعها (هذا الخطر بالذات بند دائم على جدول أعمال مؤتمر هرتسيليا السنوي، المخصص للخطط والسياسات الاستراتيجية للدولة الصهيونية)، لكن ها هم يفشلون فشلا ذريعا فعلا، إذ تمكن أهلنا الصامدون المرابطون على أرض الوطن السليب من سحق تلك الخرافة العنصرية المحمية بالقوة الغاشمة والخيبة العربية الرسمية وبدأوا، مستعينين بأرحام الأمهات، مسيرة النصر النهائي على أسوأ وأقبح وأحط مشروع احتلال عنصري في تاريخ البشر■

العودة إلى الفهرس

يوم الأرض: ضد الصهيونية

خاص «الهدف»

«أنا الأرض
والأرض أنت
خديجة! لا تغلقي الباب
لا تدخلي في الغياب
سنطردهم من إناء الزهور وحبل الغسيل
سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل
سنطردهم من هواء الجليل».

كتب محمود درويش هذه الأبيات تحيّة لشهداء يوم الأرض، ومن بينهم الشهيدة خديجة شواهنة، تلك من بين آلاف السطور التي خطت حول هذا اليوم الخالد في ذاكرة الشعب الفلسطيني، لأنه تحديدًا يتعلق بمعنى كون هذه المجموعة البشرية ليست مجرد أقلية أو أقليات متناثرة، أو طائفة أو جزء من أمة كبرى، بل هي شعب يستشعر ذاته وصفاته المتمايزة، ويتصل ببعضه على نحو وثيق، ويستحضر كل هذا في مواجهة المحاولة الاستعمارية الوحشية لشطبه أو تمييع وجوده.

لم يكن يوم الأرض هو جزء من برنامج الفعل السياسي للثورة الفلسطينية، بل كان قفزة في هذا البرنامج أحدثتها هبة أبناء شعبنا في الداخل الفلسطيني المحتل عام 1948، فهؤلاء قرروا أن يكون تصديهم لمشروع تصفية وجودهم بإعلان تمسكهم بالهوية الفلسطينية الجامعة، وتعزيز أدوات تنظيمهم الوطني، ليكن يوم الأرض منذ ذكراه الأولى يوم للتعبير عن قرار هذا الشعب بأن بالكفاح ليبقى كشعب موحّد، لتكون كل الأرض لكل الشعب المناضل ضد المشروع الصهيوني.

رصاص العدو الذي قتل الشهيد منير عنبتاوي في حيفا؛ ينضم لرصاص عصابات الصهاينة منذ لحظة وجودها الأولى على أرض فلسطين، وكل صوت لا زال يتلعثم في الحديث عن جذرية المواجهة مع كل مفصل أو ذراع للمنظومة الصهيونية، هو امتداد لمشاريع روابط القرى وفصائل السلام والاستسلام، ولكل عملاء الفاشية أو المتعاونين معها على امتداد التاريخ، فيما تقف كل قبضة مشهرة ضد المشروع الصهيوني، وكل رصاصة، في معسكر القتال الإنساني الشجاع ضد الفاشية والعنصرية والإبادة؛ ضد عروش القهر الرجعي العربي الحارسة للمشروع الصهيوني وللهجوم الاستعماري المستمر على المنطقة.

إنّ يوم الأرض هو محطة لا لإدراك وحدة الهوية الفلسطينيّة فحسب، ولكن وحدة كفاح الشعوب العربيّة في وجه المشروع الاستعماري، وواجب الإنسانية جمعاء في النضال ضد مشاريع الهيمنة والاستبداد والإبادة والاستعباد■

مرشح افتراضي فائز!

د. محمد أبو ناموس – كاتب في الأدب الساخر

كعادته سرح بعيداً بعد صدور مرسوم إجراء الانتخابات، وهو جالس على سطح منزله يستمتع بأشعة الشمس، يعج من سيجارته التي تحوي اسوأ أنواع التبغ، وبعد كل نفس يسحبه يسعل بشدة ويرتشف من كأس الشاي الأكرك عجم الذي يضعه أمامه، مما حدا بزوجته وأولاده أن يتوخوا الحذر من مخالطته اعتقادا منهم أنه مصاب بفيروس كورونا، فكانوا يضعون الكمامات على وجوههم بأشكالها وألوانها المختلفة ويغسلون ويمسحون أيديهم بالصابون والمعقمات.

وفي إحدى نوبات أحلام اليقظة التي يبتلى بها المغلوب على أمرهم، والتي كثيراً ما تصيبه، وتكاد أن تأتي عليه، لولا أنه أدمنها ولا يستطيع العيش بدونها، سرح به الخيال ورأى نفسه مرشحاً للانتخابات التشريعية، بل فائزاً بها على رأس قائمة من الصعاليك أمثاله، حصدت أغلبية المقاعد، وقد تم تكليفه بتشكيل الحكومة!

وذهب به الخيال وتصور نفسه يقف أمام المجلس التشريعي أثناء انعقاد جلسته لنيل الثقة لحكومته التي تقدمت ببيانها الوزاري طالباً من المجلس منحه الثقة ومتمنياً على الاعضاء ألا يغامر أحد ويقع في المحظور ويحجب عنه الثقة، لأنه يمثل صوت الحق والحقيقة، وهو الصادق الأمين والمعبر عن أماني وآمال الشعب في كافة أماكن تواجده، وقد خيل له أن عاصفة من التصفيق تقاطعه والحناجر تهتف بحياته، وهذا ما جعله يتمايل طرباً على كرسيه وقد غط في نوم عميق، وتعالى شخيره بينما تتحرك يداه على إيقاع خطاب يلقي!

وفجأة خرجت إحدى بناته وهالها ما شاهدته وخشيت أن يكون قد وقع له مكروه، فعادت أدراجها وهي تستغيث بوالدتها ليهرع الجميع باتجاه الصوت، وما أن وصلت أم العيال حتى انتهرته: يا حج... يا زلمة قطعت قلوبنا.. انتفض واقفا وهو يردد: هل جننت؟ لقد قطعتم عليّ خلوتي وحلمي الجميل. - وبماذا كنت تحلم؟ - لم أكن نائم بالأصل لقد كنت غارقاً في مصالح البلاد والعباد؟ - بتفكر يا نور عيوني ... الحج:- إنت لا بترحمي ولا بتخلي رحمة الله تنزل.. ردت مدندنة: القريب منكَ بعيد والبعيد عنك قريب، خيالك وسرحانك يمكن يجيب لنا الدور - قال الله يغلب فالك انا بحالي أم العيال: ما دام عارف مقدارك ومكانتك وإمكانياتك ابعد عن الشر وغني له.. الحج: لا أريد دروساً وعبراً منك أو من غيرك، ظبي حالك احسن ما ابتلي فيك.. أم العيال: هيَا للانتخابات في المنزل وطبقاً للنتائج تتخذ القرارات.. الحج: إن هذا مخالف لكل العادات والتقاليد التي كبرنا وتربينا عليها فأنا رب الاسرة ولكن هيا بنا للميدان!

أم العيال: لكم اشهى الأكلات وأحلى الهدايا، فخالكم ما زال على عهده لكم بتلبية كل احتياجاتكم المادية والمعنوية، فيما طلب منهم الحج توخي الحقيقة والوقوف إلى جانب الحق ورفع رايته، فردت عليه: أحبائي انتم مع من وأنا عند وعدي لكم إن كنتم عند حسن ظني بكم.

ارتفعت الايدي وصدحت الأصوات تبايع الوالدة على السمع والطاعة.

الحج: يا أنجاس، أكلتم خيري وهديتم حيلي ورفعتم أيديكم لغيري بعد أن ثلم سلاحي... والله زمان يا سلاحي، وتناول مطرق رمان كان مركون بجانبه وصاح بهم والله لأخلي الله ما خلقكم قال انتخابات والله لا فرجيكم نجوم الظهر فما كان من الجميع إلا أن أطلقوا سيقانهم للريح وأم العيال تصرخ يا ناس امسكوا المجنون■

الأرض: الميراث والمحرات

حسام أبو النصر– كاتب ومؤرخ– عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين/ فلسطين

كانت النكبة محاولةً يائسةً لخلع الفلسطيني الكنعاني عن أرضه وجذوره، فأبعدته جسداً، فيما بقي فيها روحاً، بل عاشت الأرض وسكنت قلوب أبناء المهجرين وأحفادهم، وأصبحت هدفاً سامياً وحلماً بالعودة، يراود تلك الأجيال المتعاقبة، ولم يكن للنسيان مكانٌ في عقولهم، سافرت الكواشين (أوراق الطابو التي تثبت ملكية الأرض) على قوارب المهجرين، وقوافلهم، براً وبحراً، متشبثين بأمل العودة، ومفتاح البيت، وبطاقة تعريف للهوية، التي لم يغير كرت وكالة الغوث منها شيئاً، سوى تصنيفات الأمم المتحدة للفلسطينيين، التي سجلت 6 مليون لاجئ فلسطيني تقريباً هجروا عن أرضهم قسراً، وأذكر هنا حادثة المؤرخ مصطفى الدباغ حين أوشك قاربه على الغرق خلال النكبة، فرمى بمخطوطاته في البحر وظل محتفظاً بكوشانه ومفتاح المنزل، ثم عاد وكتب تلك المخطوطات أفضل مما كانت عليه وأنتج موسوعة بلادنا فلسطين؛ أهم مرجع في التاريخ الفلسطيني، حتى شفيق الحوت البيروتي ضلت يافا في مخيلته، وبقي محتفظاً بمفتاح منزله هناك، على اعتبار أن العودة قريبة ما أن تهدأ الأوضاع، حتى أصبحت فلسطين كتباً وحكايات يحكيها، وتفاصيل تعيش في داخله حتى الممات، فيما كتاب عارف العارف؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود يجسد تفاصيل التهجير قبل وبعد النكبة،

أنا الأرض

والأرض أنت

خديجة! لا تغلقي الباب

لا تدخلي في الغياب

سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل

سنطردهم من هواء الجليل

محمود درويش

حيث كانت الأرض بالنسبة للفلسطيني ليست فقط الميراث، بل المحراث الذي يخرج من باطن الأرض خيرات فلسطين؛ فارتباط الفلسطيني بأرضه كارتباط السمكة ببحرها، والنجوم بفضائها، لذلك انتفض الفلسطينيون في 30 آذار 1976 انتصاراً لشهداء الأرض، وليكون يوماً مشهوداً، يعلن كل عام عن تجدد الأمل بالعودة، وتخليداً لشهداء الأرض، حين صرخ توفيق زياد «أناديكم وأشد على أياديكم» وأعلن الانتفاض في وجه المستعمر، دفاعاً عن تراب الوطن.

وقد كشفت ثورة الأرض نوايا دولة الاحتلال في وثيقة كينيغ آنذاك التي جاءت في سبع نقاط، الملفت فيها التحذير من خطر العرب الديموغرافي ومنع الشيوعيين من السيطرة على البلديات، والأهم هو عزل اليهود الشرقيين العاملين في الوسط العربي لتعود النعرة الأشكنازية إلى الواجهة، وبذلك جاء يوم الأرض ليخلط الأوراق من جديد داخل الكيان، وهنا أعود بالذاكرة إلى ثورة 1936م التي ثار فيها الفلاحون وألقوا بفؤوسهم، واستلوا بنادقهم، في مواجهة الاستعمار البريطاني؛ حامي المشروع الصهيوني، حتى ظلت كوفية الفلاحين رمزاً للثائرين إلى يومنا هذا، وجزء كبير من اللاجئين الفلسطينيين كانوا مزارعين، لهم أملاكهم وأراضيهم في قراهم التي هجروا منها، وعندما زرت مخيمات الشتات في لبنان عام 2002م، كانت لي جولة في مدارس مخيم عين الحلوة، والمية مية، برج البراجنة وشاتيلا، وحين كنا نسأل أي طفل عن عائلته واسمه؛ يجيب باسم العائلة وقريته المهجرة، كان شعوراً لا يوصف بأن الأمل لم يمت ومازالت الأجيال تتوارث عشق الأرض، حتى لو لم يولدوا فيها، أباؤهم وأجدادهم ورّثوهم هذا العشق لوطنهم وشعبه؛ الممتد جذوره إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد، حيث ترك فيها الكنعانيون أوابدهم، ومخطوطاتهم التي رسخت الارتباط بالأرض منذ الأزل، حتى اليوم، حين تشتم رائحة برتقال يافا، وزيتون عكا، وعنب الخليل وحيفا، وتوت غزة؛ تشي الأرض بمالكها الحقيقي، رغم كل ما أخفته وزارة المستعمرات البريطانية من وثائق ملكية للفلسطينيين وأراضيهم قبل النكبة، إلا أن وثائق الباب العالي في إسطنبول، تركيا، التي تعود للدولة العثمانية التي حكمت فلسطين منذ 1517م؛ أعلنت عن ملايين الوثائق حول الملكيات والعائلات الفلسطينية، وكانت مروسة بشعار السلطاني، للدولة العلية العثمانية، وبعدها صدرت أوراق الطابو مروسة بحكومة فلسطين؛ شهادة تسجيل، تحمل شعار الحكومة (اسدين)، وفيها يظهر القضاء: القرية أو المدينة، الدونمات والأمتار، والقسيمة، وصاحب الملكية، وتفاصيل أخرى، وكثيراً من هذه الشهادات موجودة لدى اللاجئين في قطاع غزة والذين شكلوا 70% من

العودة إلى الفهرس

في ذكرى يوم الأرض: متجذرون

سكان غزة، وهجروا من قرى محاذية أو من مدن كبرى على الساحل الفلسطيني استقروا في القطاع.

وقد حاولت إسرائيل بعد احتلال عام 1948م سن قوانين تصادر بها الكم الأكبر من الأراضي الفلسطينية، منها قانون أملاك الغائبين 1950م، الذي ينقل بموجب هذا القانون أملاك المهجرين الفلسطينيين إلى دولة الاحتلال، وقانون (كيرين كاييمت) 1953م، ويعطي الحق للصندوق القومي اليهودي صلاحيات تخفيض في الضرائب لشراء أراضي لصالح اليهود في فلسطين، وقانون شراء الأراضي الصادر في نفس العام يقضي بامتلاك اراض في 34 قرية وبلدة فلسطينية هُجّر أهلها منها، وقانون أساس أراضي إسرائيل الصادر عام 1960م، الذي يقضي بأن الأراضي التي استولت عليها دولة الاحتلال تقع تحت ملكية سلطة التطوير أو الصندوق القومي اليهودي، لا يمكن نقل ملكيتها أو بيعها والصندوق يطلب تخصيص الأراضي التي تملكها لليهود فقط، فيما قانون دائرة أراضي إسرائيل؛ يقوم بطرد مقتحمي الأراضي، حسب تعبير دولة الاحتلال الصادر عام 1981م، ويستهدف البدو العرب في النقب.

فيما جاء تعديل لقانون دائرة أراضي إسرائيل عام 1960م، يفرض خصخصة واسعة للأراضي بما فيها أراضي اللاجئين الفلسطينيين في الداخل والخارج، ويمكن تبادل الأراضي بين الدولة والصندوق القومي اليهودي، وهي أراض محفوظة بشكل حصري لاستخدام الشعب اليهودي وكان هذا عام 2009م، فيما جاء عام 2010م قانون سلطة تطوير النقب المعدل لعام 1991م، يعطي صلاحيات أوسع للمستوطنات، مستهدفاً أراضي النقب، وقانون كمينتس تعديل 109 لقانون التخطيط والبناء 1965م؛ الصادر عام 2017؛ يوسع القانون الصلاحية الإدارية للدولة في هدم البيوت والعقوبات على مخالفات التخطيط والبناء، تستهدف الفلسطينيين وتضييق الخناق عليهم في حالة تمييز عنصري تفوق حركات الاستعمار التاريخ والعالم.

إذن؛ الصراع صراع وجودي، وصراع بقاء، رغم كل محاولات الاحتلال لتزييف التاريخ وربط الروايات التاريخية باليهود ووجودهم، وهذا منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر، وتوافق مع حملات نابليون بونابرت إلى فلسطين 1799م، ثم تسيير رحلات استكشافية من الملكية البريطانية وتأسيس صندوق استكشاف فلسطين عام 1865م، في محاولة لربط كل المكتشفات الأثرية بالتوراة، وكل ذلك لتماشي الحركة الاستعمارية مع الرواية التاريخية المزيفة، ونحن كفلسطينيين ليس لدينا رواية، بل لدينا تاريخ فلسطيني ممتد لأربعة آلاف عام قبل الميلاد، بل يصل إلى أبعد من ذلك من عمق التاريخ، لحد النطوفيين ما قبل ظهور الحضارة الكنعانية، بحصونها وقلاعها وبيوتها ونقوشها وآثارها، لذلك فإن صراع الأرض لم يكن وليد الاستعمار البريطاني والإسرائيلي، بل إنه صراع تاريخي، في محاولة لسلب الفلسطينيين تاريخهم والتمهيد لاستدعاء آخر استعمار في العالم.

أما اليوم، فإننا نرى حركة الاستيطان التي انتشرت كالسرطان في الأراضي الفلسطينية، والذي زاد بنسبة 200% عما كانت عليه قبل توقيع اتفاق أوسلو، حيث بلغ عدد المستوطنين في شرقي القدس 450 ألف مستوطن، وقد التهم هذا السرطان أكثر من 45% من أراضي الضفة الغربية، ولم تنجح كل المحاولات الدولية والاتفاقيات الموقعة برعاية أممية، بوقف المشاريع الإسرائيلية وحملات التوسع الاستعماري الإحلالي الاستيطاني، ورغم محاولات الـBDS لمقاطعة إسرائيل وتضييق الخناق دولياً، إلا أن الاستيطان ظل مستمراً، وقد شكلت هذه النقطة حجرة عثرة في وقف المفاوضات بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل لسنوات، لكن لم يتغير الحال؛ بسبب الدعم المستمر للإدارة الامريكية لهذا التكتل الاستيطاني الذي أرق كل مناحي الحياة الفلسطينية وحاصر سكانها.

وهنا ندرك أهمية الأرض ومحاولات الاحتلال كسب الوقت لتحقيق توسع سكاني للمستوطنين، لم تحققه خلال حروب عامي 1948م و1967م، وحين نقول احتلال عام 1967م، رغم إنه سيطر على الضفة الغربية وقطاع غزة، لكن بالشكل العسكري، لا الاستيطان الاستعماري المدني مثلما هو حاصل الآن، في محاولة لخلق واقع جديد وشرعنته وفرضه على أي طاولة مفاوضات قد تذعن لها إسرائيل، رغم كل إدانات دول عدم الانحياز والاتحاد الأوربي والدول العربية (ما قبل التطبيع) لهذه العملية الاستيطانية المستمرة التي تشكل محور تفجر الوضع في المنطقة.

وأستطيع القول؛ أن كل ذلك لن يغير من الأحقية الفلسطينية والملكية التاريخية للأرض، لكنها تزيد من عمر الاحتلال أمام واقع سياسي دولي متراجع، لم تعد فيه القضية الفلسطينية أولوية، ولم يتبقَ للفلسطينيين سوى صمودهم على هذه الأرض، رغم كل المنغصات الاحتلالية، بل وواقع الانقسام الذي أرق الحياة الفلسطينية، وأدى إلى تراجع في محورية القضية، ودفع بدول عربية أن تصل محطة التطبيع مع إسرائيل لتشرعن أعمالها العدائية والاستيطانية، في ظل نظام سياسي فلسطيني للأسف لم يحفظ حتى مقومات صمود شعبه، لكن رغم كل ذلك الفلسطيني جسد إرادة البقاء، لأنه لا يريد أن يكرر هاجس التهجير عام 1948م، ويفضل الموت في أرضه، على أن يرحل عنها، وقد كانت الحروب التي شنت على غزة في السنوات الأخيرة؛ خير دليل على هذا الصمود وهذا البقاء والتجذر، والتحام الدم الفلسطيني بالأرض وهذا ما تبقى لنا■

الأرض الفلسطينية:
في مواجهة تحديات الاستيطان والتهويد

ليان عليان– باحث وكاتب سياسي/ الأردن

إحياء ذكرى يوم الأرض المجيد في أرجاء فلسطين التاريخية كافة، يشكل قيمة نضالية كبيرة لما يتضمنه من تعبئة نضالية، ضد الاحتلال الصهيوني، الجاثم على صدور الوطن والشعب، ولما يتضمنه من تفعيل وتنشيط للذاكرة الجمعية الشعبية للاجيال الفلسطينية التي صنعت ملحمة انتفاضة الحجارة (1987– 1993)، وانتفاضة الأقصى(2000–2005)، وهبة الدهس والسكاكين عام 2015، وهبات القدس المستمرة، وهزمت العدوان على غزة في الأعوام 2008، 2012، 2014، 2019، وبما أفرزه ويفرزه من هبات جماهيرية بين الفترة، والأخرى على امتداد الوطن؛ تنطق بلغة التمرد والمقاومة، ورفضاً لمشاريع التسوية التي لم تجلب سوى البؤس على قضيتنا.

والأهم من ذلك، أن يوم الأرض، رغم الاحتفال المناسبيّ به في الثلاثين من آذار من كل عام، إلا أنه في تداعياته ومفاعيله؛ أصبح فعلاً نضالياً مستمراً في عموم فلسطين التاريخية، سواءً في صمود الأهل في مناطق 1948 وخوضهم صراع البقاء في الجليل، والمثلث والنقب، وفي سائر المدن والقرى الفلسطينية، أو في الهبات الجماهيرية المستمرة، وفي العمليات الفدائية الجريئة غير المسبوقة في الضفة الفلسطينية.

الخلفية التاريخية ليوم الأرض

لقد شكل تطور العامل الديمغرافي الفلسطيني في مناطق 1948 عامل قلق للكيان الصهيوني خاصةً في منطقة الجليل؛ إذ أنه بعد تشريد حوالي (900) ألف فلسطيني من وطنهم إثر النكبة، بقي في الأراضي المحتلة (150) ألف عربي، عاشوا على (35) ألف دونم من الأراضي الفلسطينية في الجليل والمثلث والنقب، وبعض الأحياء في عكا وحيفا ويافا، حيث صمدوا رغم كافة أشكال القهر القومي، والتضييق الاقتصادي والاجتماعي عليهم.

وقد تضاعف عدد العرب، في المناطق المحتلة عام 1948 من (150) ألف إلى (450) ألف عام 1967، وليصل عددهم إلى (600) ألف عام 1976، مما أربك القيادة الصهيونية، ومخططاتها التهويدية، خاصة وأن نسبة التوالد لدى العرب بلغت في حينه 5,8 في المائة، في حين لم تتجاوز نسبة التوالد لدى اليهود آنذاك 1,5 في المائة، ومما زاد من قلق القيادة الصهيونية آنذاك، وجود أكثرية عربية في منطقة الجليل، بنسبة 70 في المائة مقابل 30 في المائة فقط من اليهود، حيث لجأ ما يسمى بمتصرف اللواء الشمالي في الكيان الصهيوني «يسرائيل كنج» إلى وضع مذكرة سرية عام 1975، تدعو إلى مصادرة 21 ألف دونم في الجليل تعود ملكيتها الى 16 قرية عربية، وضمها إلى إقليم مسجات الإسرائيلي وإقامة ثمان مدن صناعية عليها، واقترح كينج في مذكرته أيضاً، توطين اليهود في المناطق التي يشكل فيها العرب أكثرية، وتقليص التجمعات السكانية العربية، بالإضافة الى سلسلة من الاجراءات التضييقية في مجالي التعليم والعمل، وتلا ذلك صدور قرار بإغلاق منطقة رقم 9 بتاريخ 31-2-1976، ومنع السكان العرب من الدخول اليها.

لقد جاءت مذكرة كينج، في إطار استراتيجية الحركة الصهيونية، قبل قيام دولة الكيان الصهيوني الاحتلالية، وبعدها والمستندة إلى الاستيلاء على أوسع مساحة ممكنة من الأرض العربية، وزيادة الهجرة اليهودية والاستيطان عبر إحياء وتفعيل القوانين الانتدابية البريطانية قبل عام 1948، وعبر سن قوانين جديدة لمصادرة الأراضي.

العودة إلى الفهرس

في ذكرى يوم الأرض: متجذرون

هبة يوم الأرض

ما أن تسربت وثيقة كينج، وعرف العرب بمضمونها، حتى قاموا بتشكيل لجان الدفاع عن الأرض، وعقدوا مؤتمرهم الأول في 15- 8- 1975 ومؤتمرهم الشامل في الناصرة في 25- 3- 1976، واتخذوا قرارهم التاريخي بتنظيم الإضراب الشامل، وتنظيم المهرجانات والمسيرات في 30 آذار (مارس) 1976، في ذلك اليوم التاريخي، أعلن المواطنون العرب الإضراب، وانطلقوا في مظاهرات الغضب الجماهيري والتحدي، احتجاجاً على سياسات مصادرة الأراضي والتجويع والإفقار والتجهيل، مما شكل صدمة قاسية لحكومة العدو الصهيوني التي توهمت أن عرب 1948 استسلموا لقدرهم واستكانوا لسياسات الأمر الواقع، حيث لجأت سلطات الاحتلال، إلى أقصى أساليب العنف ضدهم وأرسلت قوات عسكرية ضخمة، إلى المدن والقرى العربية، خاصة في منطقة الناصرة، لتحول دون نجاح الإضراب؛ فتصدى لها المواطنون العرب المسلحون بإرادتهم، وبعمق انتمائهم لوطنهم وأمتهم، حيث ارتقى إلى العلا ستة شهداء ليرووا بدمائهم أرض فلسطين، وهم : يوسف ريان وخضر خلايلة وخديجة شواهنة من سخنين، ومحسن طه من كفر كنا، وخير يسن من عرابة ورأفت زهيري من نور شمس.

ومنذ ذلك اليوم، أصبحت مناسبة يوم الأرض، معلماً بارزاً ومحطة نوعية على طريق نضال الشعب الفلسطيني ووحدته الوطنية، وتمسكه بترابه الوطني، ومناسبة للمراجعة واستنهاض الهمم للتشبث بالأرض، ولوضع الخطط والبرامج اللازمة للتصدي للإجراءات التهويدية للأرض، وللتصدي لسياسات الحصار والتضييق والتنكيل الإسرائيلية، ضد أبناء الشعب الفلسطيني سواء في مناطق 1948 أو في الضفة الغربية وقطاع غزة.

التشبث بالوطن والهوية

في ذكرى يوم الأرض لا بد من التوقف أمام مسائل غاية أبرزها:

أولاً: أن الجيل الجديد في مناطق1948، متمسك بوطنه على نحو كبير أفشل مقولة الصهاينة «بأن الأجداد والآباء، يموتون والأبناء ينسون»، وأن هذا الجيل يمتلك جرأة وإصراراً غير مسبوق، في التمسك بالهوية وبالحق التاريخي في فلسطين.

ثانياً: أن الاختلافات الأيديولوجية، بين العرب في مناطق 1948 لم تضرب الوحدة الوطنية، إذ أن أبناء الشعب الفلسطيني المنضوين في تيارات وأحزاب قومية ويسارية وليبرالية وإسلامية، موحدون في مواجهة سياسات الأسرلة والتذويب، وفي الحفاظ على هويتهم العربية، في إطار من التنسيق النضالي الذي يشكل إرباكاً حقيقياً للاحتلال.

ثالثاً: أن مقاومة يوم الأرض شكلت عامل توحيد للشعب الفلسطيني، إذ أنه في نفس اليوم، انتقلت الهبة وحميتها فوراً إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، لتشد من أزر الأهل في مناطق 1948، ولتؤكد وحدة الشعب الفلسطيني في الدفاع عن الأرض، حيث ارتقى إلى العلا عددٌ من الشهداء، نذكر منهم: تمام ستيتية، من نابلس، وعلي عقلة من أبوديس، واحمد ذيب من سلفيت المقاومة.

رابعاً: في إطار الدروس اللاحقة لهبة يوم الأرض، يمكننا الجزم بأن المقاومة؛ شكلت عامل توحيد للشعب الفلسطيني، وأن التعلق بسراب التسوية شكل على الدوام عامل قسمة وتفريق، وقد لمسنا ذلك في كافة انتفاضات شعبنا، حين شاهدنا جماهير شعبنا في مناطق 1948، توفر الدعم المادي واللوجستي لانتفاضة الحجارة وتقدم الشهداء (15) شهيداً في حراكها الجماهيري المتضامن مع انتفاضة الأقصى.

النظام العربي يوفر غطاءً للاستيطان والتهويد

تحل الذكرى الخامسة والأربعون ليوم الأرض المجيد، في ظل ظروف فلسطينية وعربية ودولية بالغة التعقيد، وبهذا الصدد نشير إلى ما يلي:

1- أن مؤامرة تصفية القضية الفلسطينية، دخلت مرحلة غاية في الخطورة، جراء تساوق معظم أطراف النظام العربي الرسمي، مع صفقة القرن الأمريكية التي شرعت الاستيطان في الضفة الغربية بالضد من قرارات الشرعية الدولية، ما سهل وغطى إجراءات العدو الصهيوني، في خلق وخلق حقائق أمر واقع استيطانية على الأرض يستحيل معها قيام دولة فلسطينية على الأرض.

2- اندلاق دول الخليج- باستثناء الكويت- والسودان والمغرب للتطبيع مع العدو الصهيوني من موقع التبعية، بغطاء سياسي من جامعة الدول العربية.

3- أن القيادة المتنفذة في السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير لم تستفد من تجاربها مع العدو الصهيوني ومع الإدارة الأمريكية، إذ أنه وبعد مرور 28عاماً على اتفاقيات أوسلو وما تفرع عنها من اتفاقيات وخطط (اتفاق أوسلو 2، اتفاق الخليل، اتفاق واي ريفر، تفاهمات أنا بوليس، خطة كيري المتدحرجة، وصفقة القرن) ما زالت تتمسك بذات النهج الذي سهل مهمة العدو في الاستمرار في قضم الأرض والاستيطان، وفي استكمال تهويد القدس.

4- عدم تراجع الرئيس الأمريكي جوزف بايدن عن مفردات صفقة القرن خاصة فيما يتعلق بالقدس، وحديثه مجدداً عن حل الدولتين لدفع السلطة للتمسك مجدداً باتفاقيات أوسلو التي شكلت غطاءً للتهويد والاستيطان، كما أن تهافت قيادة السلطة على المفاوضات، وتعلقها بأهدابها بعد وصول بايدن للسلطة، يأتي في الوقت الذي لم ينفك فيه نتنياهو عن الاستمرار في مصادرة الأرض والاستيطان، وفي رفض حل الدولتين المزعوم، وفي تغيير المعادلة الديمغرافية والجغرافية في القدس لصالح اليهود.

أوسلو شكلت غطاءً للتهويد والاستيطان

في ذكرى يوم الأرض، لا بد من الإشارة إلى أن اتفاقيات أوسلو وما تفرع عنها لاحقاً شكلت غطاءً للتهويد والاستيطان، عندما رحلت قضيتي الاستيطان والقدس إلى مفاوضات الحل النهائي، دون أن تستندهما بقرارات الشرعية ذات الصلة التي تعتبر الاستيطان وضم القدس غير شرعي وباطل قانونياً.

لقد قطع الاستيطان شوطاً كبيراً بغطاء أوسلو، وبهذا الصدد نشير إلى ما يلي:

1- وفق تقرير مركز الابحاث التابع لموقع عرب 48، فإن عدد المستوطنات المقامة على الأراضي الفلسطينية بالضفة الغربية والقدس المحتلتين، تضاعف من 144 مستوطنة قبل توقيع اتفاق أوسلو إلى 515 مستوطنة وبؤرة استيطانية حتى أيلول/سبتمبر 201، وهذا الرقم الكبير لعدد المستوطنات،

يبدو وكأنه مختلف عن إحصاءات أخرى لعدد المستوطنات التي تحصرها بوجود 150 مستوطنة و128 بؤرة استيطانية و15 مستوطنة في مدينة القدس المحتلة، لكن الفرق الحقيقي بين الاحصائيتين؛ يكمن في وجود نقاط ومستوطنات عشوائية، ومستوطنات ذات طابع صناعي، وقواعد عسكرية تفسر أن عدد المستوطنات وصل إلى 515 مستوطنة.

2- تضاعف عدد المستوطنين في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 بأكثر من ثلاث مرات وارتفع من 2000 2 قبل أوسلو إلى حوالي 834000 مستوطن اليوم؛ أكثر من نصفهم يعيشون في القدس ومحيطها.

ووفق تقرير مركز الابحاث التابع لموقع عرب 48، فإن مساحة الأراضي التي تم الاستيلاء عليها لصالح المشروع الاستيطاني، والتي كانت تبلغ مساحتها قبل اتفاق أوسلو حوالي 136000 دونما أصبحت حوالي 500000 دونم أي بزيادة قدرها حوالي 368% مقارنة ما كانت عليه.

ووفق تقرير المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان بتاريخ 26-1-12019، بلغ عدد المستوطنين في قلب أحياء القدس 3500 مستوطناً بعد أن وضعوا أياديهم على منازل وعقارات الفلسطينيين بدعم من الاحتلال، وأن خطر الإجلاء القسري يتهدد (800) عائلة فلسطينية لصالح جمعيات استيطانية متطرفة، وأن المحاكم الإسرائيلية تنظر في قضايا رفعها مستوطنون ضد مئات العائلات الفلسطينية للمطالبة بإجلائهم عن منازلهم وتسليمها للمستوطنين، بذريعة ملكيتهم لها.

كما كشفت صحيفة «يسرائيل هيوم»، بتاريخ 20 يناير (كانون ثاني) 2021، عن إحصائيات وصلت إليها، أن عدد المستوطنين الإسرائيليين في الضفة الغربية المحتلة (من دون القدس المحتلة) يصل إلى 476,033 مستوطناً يعيشون في مستوطنات الضفة الغربية، وكان المبعوث الأممي للسلام السابق نيكولاي ميلادينوف، قد أعرب عن قلقة لإقامة (3500) وحدة أخرى ستقام معظمها في عمق الضفة الغربية.

3- أنجزت حكومة العدو جدار الضم والتهجير العنصري، البالغ طوله (780) كيلو متر تقريباً، وهذا الجدار، يتلوى في مناطق الضفة الغربية، بهدف ضم كل الكتل الاستيطانية للكيان الصهيوني، ويعزل الجدار (37) تجمعاً فلسطينياً يقطنها (300) ألف فلسطيني، من ضمنهم (50) ألف فلسطيني تم إخراجهم خارج بلدية القدس الصهيونية، ويحاصر (173) تجمعاً فلسطينياً يقطنها (850) ألف فلسطيني.

وكانت سلطات الاحتلال الإسرائيلي، قد صادرت مئات الآلاف من الدونمات في الضفة الغربية من أصحابها الفلسطينيين، لإقامة الجدار، حيث بلغت مساحة الأراضي الفلسطينية المعزولة، والمحاصرة بين الجدار وما يسمى بالخط الأخضر (باستثناء ذلك الجزء، من محافظة القدس، الذي ضمته عنوة حكومة العدو الصهيوني بعد احتلالها للضفة الغربية عام 1967) حوالي كيلو متر مربع (555) ألف دونم، أي حوالي ما نسبته 9,8 في المائة من مساحة الضفة الغربية، في حين تبلغ المساحة الواقعة شرق الجدار والمحاطة بجدار جزئي أو كامل، حوالي 191 كيلو متر مربع، أي ما نسبته حوالي 3,4 في المائة من مساحة الضفة الغربية.

4- أقامت سلطات الاحتلال، منطقةً عازلة على طول الحدود الشرقية لقطاع غزة، بعرض يزيد عن 1500 متراً، وبطول 58 كيلو متر، ما يعني اقتطاع (87) كيلو متر مربع، من مساحة القطاع، وبهذا بات الاحتلال الصهيوني يسيطر على (24) في المئة، من مساحة القطاع البالغة (365) كيلومتر مربع.

5- استثمار حكومة العدو الصهيوني في الأوضاع العربية الناجمة عن أحداث «الربيع العربي» منذ عام 2011 - والذي تحول إلى خريف وشتاء أسود لاحقاً - واندلاق العديد من الدول العربية على التطبيع والتتبيع للعدو الصهيوني، وارتهان الجامعة العربية لدول الخليج، بمصادرة وابتلاع مساحات واسعة في الضفة الغربية وفي محيط مدينة القدس، خاصة وأن هذه الدول مندغمة في «صفقة القرن» التي وفرت الدعم والغطاء السياسي للاستيطان في الأراضي المحتلة.

6-إعلان حكومة العدو الصهيوني برئاسة نتنياهو في سبتمبر (أيلول) 2019 عن قرارها بضم منطقة الأغوار وشمال البحر الميت بغطاء من صفقة القرن، والذي تم تجميده مؤقتاً لظروف تتصل بالانتخابات الرئاسية الأمريكية.

وتمتد منطقة الأغوار وشماليي البحر الميت على مساحة 1,6 مليون دونم بمحاذاة الحدود الأردنية وتشكل ما يقارب (30) في المئة من مساحة الضفة الغربية.

خلاصةً: فإن الكيان الصهيوني وفق مختلف الاحصاءات، بات يضع يده على حوالي (52) في المائة من مساحة الضفة الغربية بشكل مباشر، تشمل المستوطنات والمستوطنات العشوائية، والبؤر الاستيطانية، والقواعد العسكرية المقامة على أراضي الضفة، والمناطق العسكرية المغلقة، والمناطق الخضراء، وشبكات الطرق الالتفافية للمستوطنات، والأراضي المصادرة لإقامة الجدار.

يضاف إلى ذلك، أن سلطات الاحتلال بسطت سيطرتها على 68٪ من مساحة المنطقة «ج» في الضفة لمصلحة المستوطنات، وهي المنطقة التي تضم 87% من موارد الضفة الطبيعية و90% من غاباتها و49% من طرقها.

الأدبيات الصهيونية والاستيطان

العدو الصهيوني بإصراره على مصادرة مساحات واسعة من الضفة الغربية، وتهويد القدس، وسلب ما تبقى من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948، إنما يطبق بدقة استراتيجية الحركة الصهيونية، القائمة على ثلاثية الأمن (القوة المسلحة) والاستيطان، والهجرة، حيث يحتل الاستيطان موقعاً رئيسياً في هذه الاستراتيجية، وخاصة في القدس.

لقد حفلت المؤتمرات الصهيونية، والأدبيات الصادرة عنها، بالتركيز على مصادرة الأراضي من العرب وبناء المستعمرات، وجاء في محاضر أحد هذه المؤتمرات، ما يلي: «إن ملكية الأرض الخاصة بالمناطق التي تمنح لنا يجب أن ننتزعها تدريجياً، من أيدي أصحابها، ويجب أن نحاول نقلهم بهدوء إلى خارج الحدود، وإيجاد العمل لهم في الأقطار التي ينقلون إليها، ولكن في بلادنا يجب أن نحرمهم من العمل، ويجب نقل ملكية الأرض وتهجير السكان بليونة وحذر» (دراسة للباحث نواف الزرو- الدستور، 2010/3/30، بالإستناد إلى:

محاضر المؤتمر الصهيوني الأول، رؤوبن ماس،1946- ص 42- 44). كما جاء في دستور الوكالة اليهودية (م3) نستملك الأراضي كملك لليهود، وتسجل باسم صندوق رأس المال اليهودي، وتبقى مسجلة باسمه إلى الأبد، كما تظل هذه الأملاك ملكاً للأمة اليهودية غير قابلة للانتقال (انظر إميل توما، جذور القضية الفلسطينية، ص 180 -181).

وللقدس خصوصيتها في النهج الاستعماري الصهيوني، إذ أنه إذا كان الاستيطان هو التطبيق العملي للصهيونية، أو الصهيونية في الممارسة، وإذا كانت الصهيونية تحيا وتموت مع قضية القوة المسلحة - حسب تعبير الزعيم الصهيوني جابوتنسكي- فإن هذه المقولات الاستيطانية تأخذ أبعاداً إجرائية ملموسة عندما يتعلق الأمر بالقدس، وهوس الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة وفي القدس على وجه الخصوص، يمكن تلمسه في حديث مؤسس الكيان الصهيوني ديفيد بن غوريون لحكومة العدو، حين حثّ حكومة العدو على استثمار الزمن في بناء المستوطنات ،وفي القدس على وجه التحديد، حيث قال: «مهما كان الثمن يجب جلب اليهود الى شرق القدس، حتى وإن سكنوا أكواخاً، ولا داعي لانتظار بناء أحياء منظمة، المهم أن يكون فيها يهود».

حقائق لا يمكن تجاهلها

إن المتأمل للوحة الصراع بشأن الأراضي الفلسطينية المحتلة، يتوقف أمام الحقائق التالية:

أولاً: أن النظام العربي الرسمي، بما فيه م.ت.ف، ومنذ توقيع اتفاقات أوسلو وصولاً إلى تفاهمات أنابوليس، والمفاوضات التي تلتها، وحتى اللحظة، وفر الغطاء السياسي، للعدو الصهيوني، في مصادرته للأرض والاستيطان من خلال إشاعة الوهم أمام المجتمع الدولي، بوجود إمكانية عبر المفاوضات التي تمت وتتم، لحل القضية الفلسطينية بشكل عادل، وبما يضمن الانسحاب من الأراضي المحتلة، مما سهل مهمة العدو الصهيوني في فرض الوقائع الجديدة على الأرض، من استيطان وجدار وتهويد للقدس، وتحويل الضفة الغربية إلى مجرد كانتونات معزولة، أشبه ما تكون بالجبنة السويسرية التي تملأها الثقوب.

ثانياً: هنالك علاقة طردية بين تهافت النظام العربي الرسمي، ومن ضمنه السلطة الفلسطينية على عملية (السلام)، وبين تعاظم شهية الاحتلال في قضم الأراضي والاستيطان والإمعان في الممارسات القمعية والاحتلالية، فبعد الإعلان عن مبادرة السلام العربية في قمة بيروت عام 2002، قام العدو الصهيوني بارتكاب مجزرة مخيم جنين، وبإعادة احتلال الضفة الغربية وبوضع حجر الأساس لجدار الضم والتهجير العنصري.

وبعد تأكيد قمة الجزائر عام 2005، على المبادرة العربية، ردّ شارون على المبادرة مباشرة، بإعلانه رفض تجميد توسيع المستوطنات الصهيونية وإعلانه عن خطة لتوسيع مستوطنة معاليه أدوميم شرق القدس لتضم 3500 وحدة استيطانية جديدة، وبعد تأكيد قمة الرياض عام 2007، مجدداً على المبادرة العربية (للسلام) وانتدابها وزراء خارجية عرب، ترتبط دولهم بمعاهدات مع (إسرائيل) لزيارتها لشرح المبادرة، ردّ وزير حرب العدو على هذه الزيارة، بقوله: إنّ هذا العام عام حرب وإنّ الاستيطان لن يتوقف.

وبغطاء من اجتماع أنابوليس وتفاهماته، في 2007/12/27، تمت مضاعفة الاستيطان، حيث تضاعف (14) مرة بعد أنابوليس عما قبله، وذلك على حد تعبير رئيس م. ت. ف، رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس (أبو مازن) في خطابه أمام مؤتمر البرلمان الاوروبي في ستراسبورغ عام 2008.

وعشية قمة الدوحة 2/26/ 2009، أعلنت حكومة العدو، عن البدء في مسح منطقة (اي-1) في المنطقة الفاصلة بين مستوطنة معاليه أدوميم، وبين والقدس، توطئة لبناء وحدات استيطانية، وإقامة فنادق، ومشاريع تشغيلية ومناطق تجارية، بما يحقق الفصل الكامل، ما بين شمال الضفة الغربية وجنوبها، كما أرسلت حكومة العدو في حينه، اشعارات بهدم 1500 منزل في القدس توطئة لهدم 8000 منزل عربي في غضون عامين.

وبعد إعلان وزراء الخارجية العرب، في الثاني من شهر آذار 2010، عن منح تفويض لرئيس السلطة الفلسطينية، بالولوج في مفاوضات غير مباشرة نزولاً عند المشيئة الأمريكية، لاختبار نوايا رئيس حكومة العدو نتنياهو بشأن وقف الاستيطان، ردّت حكومة العدو على هذا التفويض - وأثناء وجود نائب الرئيس الأمريكي جوزيف بايدين في تل أبيب- بالإعلان عن خطة لبناء 1600 وحدة سكنية في القدس الشرقية.

وعشية مؤتمر القمة العربية في سرت في آذار 2010، ردّ نتنياهو على مطلب أوباما بتجميد الاستيطان لفترة مؤقته بقوله: أن الاستيطان مشروع لنا في القدس كما في تل أبيب.

ثالثاً: أن اللجنة الرباعية الدولية التي يطالب رئيس السلطة محمود عباس بإحيائها، متواطئة مع الاحتلال في قضايا الاستيطان وتهويد القدس، بحكم أن مقودها بيد الإدارة الأمريكية.

ولإنعاش ذاكرة قيادة السلطة الفلسطينية، نذكرها بأن «الرباعية الدولية» لم تتوقف عامي 2003 و2004، عن مطالبة السلطة الفلسطينية بالوفاء بالالتزامات المترتبة عليها في خطة خارطة الطريق، ممثلةً بوقف المقاومة «العنف»، في حين أنها لم تتخذ أي إجراء؛ حيال عدم التزام الكيان الصهيوني بما هو مترتب عليه، وفقاً لخطة خارطة الطريق «بوقف الاستيطان».

وفي الوقت الذي التزمت فيه السلطة بمنع المقاومة المسلحة التزاماً منها بخطة خارطة الطريق، لم تلتزم حكومة العدو بما هو مطلوب منها بوقف عمليات الاستيطان، يضاف إلى ما تقدم، فإن رئيس اللجنة الرباعية «توني بلير» عمل على تسويق السلام الاقتصادي بالتناغم مع رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو.

رابعاً: أن دول الاتحاد الاوروبي، مرتهنة في موقفها من قضايا حق العودة والاستيطان والجدار للإدارة الامريكية، فعلى صعيد الاستيطان، تكرر الدول الأوروبية مقولة «الاستيطان المشروع وغير المشروع»، وأنها ترفض ما تسمى بالمستوطنات العشوائية، وكأنه في القانون الدولي، استيطان مشروع، وآخر غير مشروع في الأراضي المحتلة، وهي بذلك تعتبر قرارات المحكمة العليا الإسرائيلية، بديلاً لميثاق الأمم المتحدة ولاتفاقات جنيف، وبخاصة اتفاقية جنيف الرابعة، وتتجاهل عن عمد القانون الدولي الذي لا يجيز ضم أراضي الغير بالقوة، وتتجاهل قرارات مجلس الأمن التي تؤكد بطلان وعدم شرعية الاستيطان، وخاصة قرارات رقم 425،446،466، ناهيك أنها تحفظت على طرح قرار محكمة العدل الدولية عام 2004 - الذي قضى ببطلان وعدم شرعية بناء جدار الضم والتهجير العنصري- على الجمعية العامة للأمم المتحدة■

وجهت دعوة للقيادة الفلسطينية..

الجبهة الشعبية في سجون الاحتلال تصدر رسالة هامة بذكرى يوم الأرض الخالد

أصدرت اللجنة الإعلامية والثقافية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في سجون الاحتلال، مساء اليوم الأربعاء، رسالة هامة في ذكرى يوم الأرض.

وقالت اللجنة، في رسالتها، «في آخر يوم من آذار من العام 1976، كان الفلسطينيون في الداخل المحتل على موعد مع الانفجار لهبة في وجه آلة القضمِ الصهيونية التيِ ما توانت لحظة عن ابتلاع ما يمكن من الأرض الفلسطينية، في سياسة ممنهجة ومتفق عليها صهيونيًا للسيطرة على الحيز الجغرافي، وإفقاد الفلسطينيين قاعدتهم الزراعية ومصدر رزقهم وكرامتهم وبالتالي هويتهم».

وتابعت «فالأرض من المرتكزات الأساسية التي أقيمت ولا تزال على أساسها الحركة الصهيونية، وهي الهدف المنشود والضامن الوحيد لاستمرار المشروع الذي أبدعت الأدمغة الصهيونية وتسابقت لتقديم المشاريع والاقتراحات والخطط الرامية للسيطرة على الأرض واستلابها، فما سياسة برج وسور أو كما يطلق عليها باللغة العبرية (هوماه فمغدال) أو مشروع العامل الدفاعي عن الاستيطان العبري الذي نفذ زمن الانتداب البريطاني، أو مشروع فوخمان ومشروع غاليلي ومشروع إيغال آلون الشهير، أو مشروع دروبلس إضافة لتأسيس حركة غوش أمونيم الاستيطانية والاعتراف بهما رسميًا سنة 1977 وسلسلة الأوامر والقوانين العسكرية والمدنية من قبل قانون أملاك الغائبين، وقانون أملاك الدولة، وقانون الأملاك المتروكة، إلا خير دليل على حالة الهوس الزكام التي أصابت ولا تزال دفاع الحركة الصهيونية بالأرض ومركزيتها في تنفيذ مخططاتها».

وأضافت: لكن وبالرغم من كل ذلك لم تنجح الآلة الصهيونية في إفقاد الفلسطينيين الثقة بقضيته وعدالتها ولم تثنه للحظة عن الدفاع عن أرضه ولو بجَسده العاري، فما ارتقاء ثلاثة عشر شهيدًا في هذا اليوم واستشهاد عاطف حنايشة ابن قرية بيت دجن قضاء محافظة نابلس إلا خير دليل على ذلك، وهنا يحضر السؤال الأهم؟ لمَ ما حدث في آذار بقي عالقًا في الذاكرة الفلسطينية بل وغدى ذكرى واجبة الإحياء والتمثل؟.

وأوضحت اللجنة، أنه للوصول إلى إجابة على هذا السؤال لا بد من معرفة ما حققه الفلسطينيون من مكاسب هامة للقضية في هذا اليوم والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي:

التأكيد على حقيقة ثابتة ومبدأ أساس في النضال الفلسطيني وهو أن الأرض جوهر الصراع.

إبراز الهوية الفلسطينية الوطنية للفلسطينيين في الداخل المحتل عام 1948م.

إيصال رسالة لدولة الاستعمار الصهيوني بحكومتها وسياساتها وقادة أركانها يؤكد فيها الفلسطينيون على عروبتهم وتمسكهم بأرضهم، وحقيقة أن لا السيطرة ولا الحرمان ولا الإخضاع الممارس بحقهم سيدفعهم للتخلي عن أرضهم وهجرتها طوعًا.

جسدت عمليًا وحدة الشعب والأرض والمصير.

التأكيد على فشل مخططات الحكم العسكري وسياساته.

إثبات عملي لفشل مقولات الأسرلة ونظريات الصهر والتذويب وكي الوعي.

إعادة ثقة الفلسطينيين في الداخل المحتل بأنفسهم وقدرتهم على المقاومة والرفض.

شكلت الأحداث صفعة لكل من شكك بعروبة ووطنية الفلسطينيين في الداخل وثبات بوصلته الوطنية.

تجاوز سقف الأحزاب في تلك المرحلة المتمثل بالمساواة المدنية.

رد واضح على قيادة منظمة التحرير التي بدأت قبل وقت قصير من الأحداث بالرقص على أنغام التسوية وأوهامها من قبيل مشروع جنيف وغيره من المشاريع الهادفة لتصفية القضية.

ووجهت دعوة للقيادة الفلسطينية الرسمية بضرورة أخذ الدروس والعبر من ما حدث في يوم الأرض وعدم الاكتفاء بإحيائه بالخطب الرنانة ومقولات الثبات والصمود وحدها، ومغادرة عقلية التفاوض بهدف اثبات القدرة على التفاوض، إضافة لضرورة القفز من مربع الرهان على الأنظمة العربية الرسمية بما تعنيه من تطبيع وخزي وعار، بدلًا من مخاطبة الجماهير العربية وتحشيدها، فذلك أضمن للأرض ولدماء شهداء يوم الأرض■

العودة إلى الفهرس

أنقذوا الشيخ جراح..

خاص الهدف

سعي الاحتلال لإنهاء الوجود الفلسطيني في القدس وإبادته، والذي لم يبدأ الآن؛ فأهمية هذا الوجود.. لا تنبع فقط من أهمية القدس لكل فلسطيني وعربي، ولكن من كونه تمثيل لجوهر وحقيقة المشروع الصهيوني، وسياساته تجاه الشعب الفلسطيني؛ قضية وحقوق.

الشيخ جراح هو نقطة استهداف آلة القمع والتدمير الفاشيّة الصهيونيّة، هذا الحي المقدسي وعائلاته الصامدة؛ يشكل وجودها الحيوي خطرًا حقيقيًا على الكيان الصهيوني، وتهديدًا جوهريًا لأمنه، لأنه حي فلسطيني، وتعبير عن هوية الضحية، ووجود يرفض الطمس والإبادة، وكل ما هو كذلك هو في عين استهداف المشروع الصهيوني. هنا تتراجع المسببات والذرائع التقنيّة، ويجب علينا أن نلتفت للأسباب الجذرية، وهي ببساطة المشروع الصهيوني، بكل ما يمثله.

إنّ استمرار بقاء الفلسطيني في أرضه لا يعتمد على رغبة هذا الكيان أو اقتناعه، ولكن بالأساس يستند إلى قدرة الفلسطيني على تنظيم نفسه، والمقاومة والقتال، وهذا أمر لن يتاح إلّا وفق ربط لكل مساحات النضال الوطني، ورفض لتقسيم أو تجزئة الحق الفلسطيني؛ الحق في الوجود والبقاء والنمو والازدهار وتقرير المصير، والبناء السياسي والاجتماعي وتحقيق الدولة المستقلة على كامل التراب الوطني الفلسطيني.

المواجهة مع الاحتلال في الشيخ جراح ضد هدم الحي وطرد سكانه وتهويده واستيطانه، وفي أم الفحم ضد هجمة الاحتلال وعصابات الإرهاب والإجرام المنظم، يربطهما خيط واضح؛ اسمه الدفاع عن فلسطين وقضيتها، ووحدة شعبها، وقطع هذا الخيط يعني التسليم بالبقاء فقط دون معاني الهوية والكرامة والوجود الحي؛ كشعبٍ يناضل لأجل حريته ويواجه جلاديه.

إنّ الحفاظ على المعنى السياسي كما الإنساني لوجود هذا الشعب ونضالاته، هو مسؤوليّة جماعيّة تقع أولًا على عاتق تلك القوى التي أفرزها هذا الشعب وطوع فيها أبناءه وبناته، أي الفصائل الوطنية والجهات التي تدعي أو تمارس أدوار تمثيل هذا الشعب، والواجب هنا لهذه القوى هو الدفاع عن صلة شعبنا لا الإسهام بتقطيعه؛ من خلال الاعتراف بالتقسيمات الاحتلالية أو الخضوع لها، أو مواصلة الاخفاق الكارثي في تقديم المشروع السياسي التحرري الموحد لهذا الشعب■

هي معركة وبعدها ننتظر الشعراء

طلال عوكل – كاتب ومحلل سياسي – فلسطين

انتهت الجولة التي انتظرها الجميع لحسم ما تبقى من قضايا عالقة أهمها الانتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني باستثناء التوقيع على ميثاق شرف لم تخرج اجتماعات القاهرة، باتفاق واضح بشأن ملف المجلس الوطني، حيث اكتفى البيان الختامي بالحديث عن نقاش جرى لآليات انتخابات المجلس، وعلى التزام الجميع بوحدة الأراضي الفلسطينيّة المحتلة منذ عام 1967.

رضي الجميع تقريباً بما تم وما لم يتم الاتفاق عليه، وذهبت لحسابات التوافق الإيجابي، عديد النقاط التي حملها البعض وكانت تقتضي تعديل مراسيم صدرت وبقي الحال على ما قررته المراسيم الرئاسية، المهم أن مناخات التوافق العام، والتساهل إزاء قضايا تفصيلية حتى لو كان بعضها مهماً، هو سيد المناخ العام.

في الهدف

المناخ العام الايجابي وتساهل الفصائل يعكس بالنسبة للبعض توفر إرادة فلسطينية بشأن المضي قدماً، ولكن هل تكتفي الإرادة الفلسطينية الظاهرة، لإنجاز هذا الملف بنجاح ؟

واضح أن إسرائيل بدأت تتحرك لإفشال هذه الإرادة ومنع الوصول إلى محطة إجراء الانتخابات، إسرائيل تقوم بتهديد عديد من المرشحين بأن مصيرهم السجن إذا لم يتراجعوا، وتقوم أيضاً بتوجيه التهديدات مباشرة للسلطة، بذريعة أن هذه الانتخابات ستعطي حركة حماس الفرصة للشراكة، وتوسيع عملها ونشاطاتها في الضفة الغربية.

في الأصل فإن المسألة بالنسبة لإسرائيل تتصل بمقاومتها أي محاولة لإنهاء الانقسام، وعدم رغبتها في أن يقدم الفلسطينيون مشهداً ديمقراطياً ناجحاً، فيما الديمقراطية تنهار وتنهار معها ادعاءات إسرائيل بأنها واحة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة.

إذن، هي معركة ينبغي أن يخوضها الفلسطينيون بكل العزم على الفوز، وبإرادة وطنية جامعة، وإلا، فإن ما يقال عن توفر إرادة فلسطينية ليس سوى وهم خالص من الواضح أن إسرائيل لم تقل كلمتها بعد بشأن موضوع انتخابات المقدسيين، وربما تفتعل مشاكل أخرى لتعطيل الوصول إلى صناديق الاقتراع، وبذلك فإن من المبكر كيل المديح لأي طرف فلسطيني قبل أن نشهد نتائج هذه المعركة■

لويزة حنّون للهدف:

هناك مقاومة شرسة وعملية انقلابية ضد إرادة الشعب وضدّ الثورة الشعبيّة الثانية

من الواضح الآن أن عودة الثورة الفلسطينية بكل أشكالها هو المخرج

أجرى الحوار: د. وسام الفقعاوي / تحرير: أحمد بدير

دعمنا كحزب عمال للثورة والقضية الفلسطينيّة غير مشروط، ونؤكّد دائماً أن القضية الفلسطينيّة لا يمكن أن تموت

ضيفة هذا العدد من الهدف، الرفيقة لويزة حنّون، النقابية والسياسية الجزائرية وأحد مؤسسي حزب العمال الجزائري، والأمين العام الحالية له، والمرشحة الرئاسية عامي 2009 و2014.

الرفيقة حنون مناضلة اشتراكية بارزة معادية للامبريالية والصهيونية مؤيدة لكفاح الشعب الفلسطيني، بدأت حياتها موظفة في مطار عنابة ثم نقابية في شركة الطيران، وأعلنت عام 1990 عن تأسيس حزب العمال، وتعتبر أول سيدة تدخل في منافسات الرئاسة في الجزائر والعالم العربي.

العودة إلى الفهرس

*** بعد مرور عامين على الحراك الجزائري، كيف تقيّمين وضع الجزائر اليوم، وهل من أفق لإكمال أهداف الحراك خاصّة فيما يتعلّق بالحرية والعدالة الاجتماعيّة؟**

** بالنسبة لنا في حزب العمّال، لا يتعلّق الأمر بمجرّد حراك، لأنّ مصطلح حراك يعني أنّ هناك مطالب لها سقف محدود، وهذا المصطلح كان لدى أشقائنا في المغرب منذ أربع سنوات خلت في انتفاضة كانت في منطقةٍ معينة إثر استشهاد شاب على يد قوات الأمن في تشابه مع قصة البوعزيزي في تونس، ولكن لم تأخذ حجماً وطنياً ولا طرحت مسألة الحكم، لكن نحن في 22 فبراير 2019 انقطعت شعرة معاوية ما بين الأغلبية الساحقة والنظام الموجود آنذاك؛ بسبب تراكمات كانت موجودة لعقود من الزمن في الجانب الاجتماعي وتقييد الحريات وتدهور الوضع السياسي والاجتماعي، ومنذ البداية مباشرة تم رفض العهدة الخامسة لعبد العزيز بوتفليقة، ومن ثم تم رفض التأجيل لسنتين من أجل الانتخابات وطرحت مسألة رحيل النظام برمته وليس فقط رئيس الجمهوريّة أو حتى الباءات «ابن صالح وغيره...إلخ»، أي كبار المسؤولين، بل كل النظام بمؤسساته ورموزه وسياساته وممارساته المقيتة، ولكن كما تعلمون بالنسبة أيضاً للثورة الفلسطينيّة وأي ثورة حقيقيّة أصيلة تُعاني من الرجعيّة والثورة المضادة، أي لا يتم تسليم مفاتيح الحكم بسهولة، بل هناك مقاومة شرسة وعملية انقلابيّة ضد إرادة الشعب وضد الثورة الشعبيّة الثانية، مباشرةً بعد استقالة عبد العزيز بوتفليقة أصبح الصراع مفتوحاً ما بين الأغلبية التي كانت متمسكة بالمطلب الجوهري المركزي المتمثل برحيل كل النظام وما بين الحكم الذي فرض نفسه آنذاك والسلطة التي فرضت نفسها صاحبت برنامج إنقاذ النظام الموروث عن نمط نظام الحزب الواحد الذي فرض نفسه على الجزائر منذ الاستقلال، وهذا بغض النظر عن السياسة والمواقف التي تكون أحياناً إيجابيّة جداً مثلاً تجاه القضيّة الفلسطينيّة وغيرها من القضايا، ولكن بالأساس سيادة الشعب الجزائري لم تُمارس منذ الاستقلال بل صودرت كلياً، والإشكاليّة المتعلّقة بالتمثيل السياسي الشعبي للشعب الجزائري من خلال مجالس منتخبة ومن خلال مجلس شعبي وطني حقيقي ظلّت غير موجودة؛ بسبب طبيعة الانتخابات وطبيعة النظام الذي فرض مساراً انتخابياً يرمي لإنقاذ النظام من الزوال وفرض استمراريته، بينما الأغلبيّة ظلّت متمسّكة بطلبها وتخرج في مسيرات، وبدأ العنف والقمع الشديد من قبل السلطة منذ صيف 2019، ولكن المَسار الثوري عرف نوعاً من الغربلة، لأنّ الأمر يتعلّق برحيل نظام، وكانت هناك مسيرات مليونيّة تجمع كل الأطياف السياسية وكان الهدف المشترك هو رحيل النظام حتى من قبل الأغنياء الذي كانوا يواجهون مشاكل من هذا النظام لأنّه كان يقوّض مصالحهم، وحتى الانتخابات الرئاسيّة في 2019 لم تُخرج الجزائر من الأزمة الثوريّة، بل عقّدتها، لأنّه كان واضحاً للأغلبية الساحقة أنّ ما يجري عبارة عن مناورة ترمي للحفاظ على النظام، ثم فرض تعديلات دستورية قاطعها 88٪ من الهيئة الناخبة، أي الأغلبيّة الساحقة من الشعب الجزائري رفضت الرزنامة الانتخابيّة وكل ما جاء من عند السلطة، وبصراحة كان موقف الأغلبيّة رائعاً وبكل هدوء منقطع النظير ولم يذهب أحد للاستفتاء دون أي تنسيقٍ مسبق.

*** في ضوء ما أطلقت عليه الثورة الجزائرية الثانية، وفي الوقت الذي يجري التحضير للانتخابات النيابية.. هل سيشارك حزبكم فيها؟**

** الثورة اليوم بكل مضامينها استعادت كل أنفاسها وانتعشت، وبمناسبة الذكرى السنوية لاندلاع الثورة الجزائرية الثانية تشكّل هذه الثورة راهنية الثورة التحريرية من أجل الاستقلال وتحرير الانسان سياسياً في ظل تواصل القمع السياسي وتكميم الأفواه وتكميم الإعلام، ولقد اخترنا وبكل وضوح معسكر الثورة أي رحيل النظام وليس ترقيعه أو محاولة بائسة لإنقاذه من خلال الانتخابات التشريعيّة القادمة التي يجري التحضير لها، بل بالعكس هذه الانتخابات ستزيد تعمّق الأزمة ونحن اتخذنا قراراً بعدم المشاركة في هذه الانتخابات، استخلصت اللجنة المركزيّة أنّه لا يمكن بتاتاً التعايش مع السلطة الحالية والأحزاب التي تمثلها، والتي تسعى لإنقاذ نظام بالٍ يشكّل أكبر خطر على الأمّة.

*** اليسار المغاربي صاحب تجربة خاصة ومتمايزة عن اليسار في المشرق العربي.. هل يمكن لحزب العمال أن يُساهم في وحدة اليسار لديكم، ومن ثم وحدة اليسار العربي؟**

** المشكلة المطروحة اليوم استقلالية ما يُسمى باليسار، وصحيح أن اليسار تأثّر بعد تفكيك الاتحاد السوفييتي وتقهقر في البلدان العربية وغيرها، ونحن حزب عمالي نختلف عن الأحزاب التقليديّة ومواقفنا معروفة وحزب مستقل، لذلك نحن صمدنا، والآن لو نأخذ رفض التطبيع مع الكيان الصهيوني جماهيرياً، وأغلبيّة الشعب المغربي ضد هذا التطبيع، ولكن النظام في المغرب وظّف ظروف الحجر وظروف الكوفيد ١ من أجل قمع كل الوقفات والمظاهرات الرافضة للتطبيع، وفي تونس أيضاً الموقف الرسمي واضح لغاية الآن وهو رافض للتطبيع، بل هناك حديث عن قانون لتجريم التطبيع.

لو أردنا الحديث عن الخليج، صحيح أن هناك بلداً واحداً فيه تقاليد يساريّة وهو البحرين، ولكن هناك ظلم واضطهاد مطلق هناك، ولكن عندما نشاهد اليمن والموقف المبدئي من رفض التطبيع، فهذا يثلج صدورنا جميعاً مع أنهم ليسوا يساريين، ولكن على صعيدنا نحن؛ فنحن مواقفنا مبدئية منطلقة من تاريخنا وطوال الفترة الماضية كنّا ندعم توجهات الحكومات الرافضة للتطبيع وكنّا نؤيّد ذلك لأنّ هذا هو موقفنا، ودعمنا أيضاً رفض دولة الجزائر تصنيف حزب الله بالإرهاب في القمة العربية، كما دعونا الدولة الجزائرية لرفض توقيع أي لائحة في الجامعة العربية تدين إيران وتجعلها العدو بدلاً من الكيان الصهيوني، وتحويل كفاح الشعوب خدمة للكيان الصهيوني، وكل هذه قضايا جوهرية.

اليسار في القارة الإفريقية ومختلف القارات يواجه ظروفاً صعبة لأنّ بعض الأحزاب اليسارية؛ شاركت في الحكم وتصرّفت كأنها أحزاب يمينيّة، بل كأبشع من ذلك، واليوم في كل المعمورة مطروح إشكالية جديدة تتعلق بإعادة بناء تمثيل سياسي جديد للفئات العمالية والشعبية الواسعة ولا يمكن بطبيعة الحال إلّا أن يكون هذا البناء يسارياً، لأنّ الأحزاب التقليدية أفلست لكونها دعمت أنظمة ديكتاتوريّة، واليوم في كل البلدان

تواجه كل الصعوبات، واليوم عندما نتحدّث عن نصرة القضية الفلسطينية ليس شرطاً أن يكون ذلك حكراً على اليسار لأنّ اليسار تم تفتيته، وأذكر عندما ذهبت لمصر في العام 1993 صُدمت من أن الحزب الشيوعي المصري الذي أصبح عشرات الأحزاب، وعندما نرى تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، وتاريخ الحزب الشيوعي السوري أيضاً كذلك، وفي بلادنا واجهنا ولو جزئياً مثل هذه الانقسامات، لكن نحن لدينا نوع من الخصوصيّة لأن الثورة كانت تحريرية، والشيء السلبي منذ بداية الثورة أنّه فرض على الأحزاب أن تنصهر داخل جبهة التحرير لتشارك في الحرب التحريريّة كشرط، أي لم يكن باستطاعة أي حزب أن يلتحق بالكفاح المسلح كحزب، ونتيجة لذلك بعد الاستقلال تأسّس نظام الحزب الواحد.

*** ما المطلوب من القوى الثورية العربيّة لمواجهة التوحّش الأميركي، خاصّة باتجاه تحصين الشعوب العربيّة في مقابل استسلام الأنظمة للمشروع الصهيوني الأمريكي في المنطقة؟**

** الأمور الآن أصبحت واضحة، والشيء الإيجابي في هذه الضربات الأخيرة ومع أنها خنجر ضد القضية الفلسطينيّة، لكن في نفس الوقت جلبت الفرز، وأقول الآن، الصورة أصبحت واضحة أي يجب ألّا ننتظر أي شيء من هذه الأنظمة، فهي أنظمة عميلة للإمبرياليّة لا يمكن أن تخدم القضية الفلسطينية ولا تخدم شعوبها، هل ننتظر مثلاً من النظام البحريني أن يدعم القضية الفلسطينيّة وهو يضطهد الشعب البحريني برمته؟ هذا لا يمكن، كل الأنظمة التي تتسلّط وتجوّع يجب ألّا نرتكز عليها.

الإمبرياليّة أسست كيانات في المشرق حتى تكون أدوات لها لتستعملها، وفي الأعوام 1946-47-48 أصبحت الأمور واضحة وهذه الأنظمة هي التي قالت للفلسطينيين اخرجوا من فلسطين ونحن سنُحارب ونعيدكم إلى فلسطين فيما بعد، وهذا في الواقع جزء من الخيانة والتكالب على الشعب الفلسطيني رغم المجازر والإبادة، وهذا من قبل أنظمة ادّعت دعم القضية الفلسطينيّة، والتي في عامي 1948-1967 قرّرت طرد اليهود من كل بلدانها، وأقول أن هواري بومدين كان من أكبر المدافعين عن الثورة الفلسطينيّة، ولكن أعتقد بناء على تغليط أو سوء فهم من قبل أنظمة عربية قرر طرد اليهود من الجزائر وهم جزائريين، ورحلوا إلى أين؟ إلى فلسطين والكيان الصهيوني تقوّى عددياً بالسكان، وهذا كان هدفه من الأساس استجلاب اليهود إلى الأرض المحتلة.

أؤكّد أن الأمر يتعلّق باحتلال استيطاني أقرته الإمبريالية العالميّة من أجل تعويض اليهود عن محرقة الهولوكوست، وبالتالي هذا المسعى الخاص بالقومية العربية هو الذي خلق الثورة الفلسطينيّة، لأنّ الثوار في فلسطين كانوا ينتظرون من الأنظمة العربية أن تنصرهم وتقدم لهم كل الدعم، ولكن في الواقع بالنسبة لبعض الأنظمة كان الدعم صورياً وكانوا يخططون لاغتصاب الثورة الفلسطينيّة وفلسطين وتسليمها كهدية للكيان الصهيوني وللإمبريالية الأمريكيّة وأذنابها، وأنا تتبعت موجة التطبيع الأخيرة، وكيف أنّ هناك وقاحة لا تُطاق في بعض دول الخليج، أيعقل أن يكون الانسان مفبركاً إلى هذا الحد؟ بالأمس كانوا يناصرون فلسطين وقضيتها واليوم يعشقون اليهود ويروجون للسياحة المشتركة، وهذا استفزاز كبير، ولكن في ذات الوقت هذا يوضّح للشعب الفلسطيني أنّه لا يمكنه أن يتكل على هذه الأنظمة، وصحيح أن هناك أوضاعاً هشّة وهناك بعض الأنظمة لم تنبطح بعد، والدولة الجزائرية اليوم حتى تتمكّن من مقاومة المدّ الإمبريالي والصهيوني يجب أن تقوي الجبهة الداخليّة للجزائر وتُعيد الكلمة للشعب الجزائري وتستجيب للمطالب والتطلعات في الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتى نتمكّن من نصرة الثورة الفلسطينيّة، وأذكر في سنة 1947 كان هناك حزب الشعب الجزائري الذي طرح مسألة الاستقلال للجزائر واجه قمعاً شرساً من قبل المُستعمِر الفرنسي، وعندما بدأت مسألة التقسيم والتصويت عليها في الأمم المتحدة كان هناك مناضلون سافروا مشياً على الأقدام من الجزائر إلى فلسطين لنصرة الشعب الفلسطيني وللتصدي لتجزئة فلسطين؛ نحن لدينا علاقة جيّدة جداً مع فلسطين خاصّة بعد الاستقلال، وأول تصريح كان للراحل أحمد بن بلّة: لن يكتمل استقلالنا إلّا عندما تستقل فلسطين، وفلسطين جزء من قضيتنا الوطنيّة.

*** كيف تقرأون تطورات الوضع في دولة المغرب على صعيد التطبيع مع العدو الصهيوني وما يجري داخليا وعلى صعيد تونس وليبيا لجهة الأوضاع السياسيّة والأمنيّة المطربة وفي ظل تواصل الأزمات وتأثيراتها المتوقّعة على الجزائر؟**

** كل هذه الأمور أثرت سلباً على الجزائر، والجزائر مستهدفة، ولكن ليس بسبب ما يتعلق بتونس، تونس كان فيها ثورة أصيلة وحقيقيّة عام 2011، ولكن التكالب الدولي عليها ومن قبل أنظمة عربية حرف هذه الثورة، وما يسمى بالثورات العربية التي فشلت وتم اجهاضها لم تفشل فقط بسبب التدخلات الخارجية، لأن هذا الطبيعي جدًا أن تتكالب الإمبرياليات والأنظمة الرجعية على الثورة؛ لأن لا تسمح لها بأن تفوز وتنتشر وترتكز عليها الشعوب الشقيقة وتصعّد وترفع من مستوى المطالب، ولكن المسؤولية هنا تقع على ما يسمى بالنخب الذين أفرغوا الثورات العربية من مضامينها الاجتماعية والاقتصادية، وحافظت فقط على مطلب رحيل الأنظمة والديمقراطية وكأنها ثورات برجوازية، وكأننا بلدان من شرق أوروبا في عهد الاتحاد السوفييتي وهذا غير منطقي بتاتاً.

اليوم الثورة المضادة هي التي تنتشر، والنخب لم تلعب دورها فيما يتعلق في الأيديولوجيات، ونحن اليوم في الجزائر ترتفع أصوات من طرف ديمقراطيين وإسلاميين يطالبون بترك الإيديولوجيا جانباً، بينما هناك أطراف أخرى خفية تستعمل كل الوسائل من أجل تمرير مشروعها الرجعي، وهنا توجد خطورة كبرى، ويجب ألّا نقع في فخ نظام الحزب الواحد أو في ظل نظام رجعي أكثر، ونحن كحزب رفضنا كل هذا، وهناك أطراف تتهجم علينا، حيث نؤكّد أننا لا يمكن أن نكرر الخطأ التاريخي في العام 1954 بأن تذوب الأحزاب داخل كيان غير واضح وفيه أطراف لديها الأموال الطائلة ووسائل الإعلام التي تدعمها دول في الخليج وتدعمها تركيا وتدعي الديمقراطية، نحن نعتبر أن الشعب عندما خرج كان من أجل التحرر الكامل؛ السياسي

الديمقراطي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، ولا يمكن أن نجزئ الثورة وأن نتوقع أن تنتصر الثورة بمحطات، فكيف يمكن لنا أن نتوجه لعامل لم يتقاضى راتباً منذ 13 شهراً أو 18 ونقول له ما رأيك في طبيعة النظام وفي كذا وكذا؟ وكيف يمكن لنا خوض معركة انتخابية وأطلب من عامل أو شاب تحول إلى البطّالة ومنبوذ وأطلب منه توقيعه حتى أصبح نائباً في المجلس التشريعي الوطني؟ أليس هذا استفزاز، بل يمهد لنفور الأغلبية عن الثورة من العمال والشباب؟

التداعيات في المغرب بما يتعلق بالتطبيع؛ نقول إن التطبيع المغربي ليس جديداً، وعلق التطبيع بقرار عربي والقمع الشرس الذي كان يمارسه الكيان الصهيوني آنذاك، ولكن لم يقطع العلاقات نهائياً، ولكن تاريخ الشعب المغربي متضامن مع القضية الفلسطينية كلياً، ونحن كحزب متمسكون جداً بتقاليد نجم شمال إفريقيا يعني علاقات التآخي والتآزر ما بين الشعوب الثلاثة التونسي والجزائري والمغربي من الاستقلالات الوطنية، ولن ننسى أبداً أن أول بلد دعمنا في الثورة الجزائرية هو المغرب الشقيق ثم تونس، ولا يمكن أن نتخندق في أي مسار يؤدي إلى حرب في المنطقة لأننا نرفض أن تسيل أي قطرة دم لا جزائرية أو مغربية تحت أي ظرف كان، ونحن نرى أنه يجب أن تعالج المشاكل من قبل المغاربة لأن القوى العظمى لا تريد الاستقرار في منطقتنا ولا تحب أي شعب أو حتى شعوبها، بل هي تبحث عن مصالحها، وأي حرب تنشب في منطقتنا ستخدم فقط صناع الأسلحة الإمبريالية وتفرض علينا تواجداً عسكرياً دائماً بالمنطقة، ويجب على الشعوب المغاربية وشعوب المشرق أن تتخلص من هذه الأنظمة التي تطبّع العلاقات لمصالح الإمبريالية، والتطبيع المغربي أكيد خطر على الجزائر، والكيان الصهيوني منذ أكثر من عقد من الزمن يسعى من أجل اقتحام الاتحاد الإفريقي، فهو يريد التغول إلى كل مكان، ويتلقى الدعم من كل مكان من الأموال الطائلة ليشتري فيها ذمم

أنظمة أفريقية تعاني من المديونية الخارجية والفقر في بلدانها، والآن عودة العلاقات رسمياً ما بين المغرب والكيان الصهيوني يشكّل خطراً على الجزائر في إطار الابتزاز الأمريكي للجزائر، وعندما يوظّف ترامب ورقة الصحراء الغربيّة يمارس ضغطاً على الجزائر من أجل الاعتراف بالكيان الصهيوني، ونؤكّد أنّه لغاية الآن الموقف الجزائري لم يتغيّر بتاتاً.

نحن متضامنون مع نضالات أشقائنا في تونس وفي المغرب، فهؤلاء مناضلون يقاومون التطبيع في ظل ظروف صعبة، ويندّدون بتوظيف كوفيد 19 لأغراض سياسيّة، حتى تطبيع العلاقات مع الكيان جاء في ظل الحجر الصحي، وفي ليبيا أيضاً هناك دور للإمبريالية الفرنسيّة ولتركيا دور وللنظام المصري دور في محاولة تمزيق ليبيا ليستحوذ كل طرف على منطقة من المناطق في ليبيا بلد الثروات، وصحيح أن نظام القذافي كان هش جداً، ولم يكن نظاماً ديمقراطياً، ولكن ساركوزي لعب دوراً كبيراً من أجل تمزيق ليبيا وإدخالها في دوامة، وهذا أيضاً يؤثّر علينا مباشرة ويهدد حدودنا، ونحن فعلاً في خطر لأن هذا السلاح المنتشر في يد المجموعات المنتشرة تشكل خطراً كبيراً علينا، وهناك خطّة أمريكيّة ترمي لتفتيت منطقتنا في إطار مخطط الشرق الأوسط الكبير الأمريكي على أسس قبلية وعرقية، ولكن لغاية الآن فشلت كل محاولاتهم، ولكن نعلم أن الإدارة الأمريكيّة لن تتخلى عن أهدافها التوسعية لأنها تريد فرض تواجد عسكري في كل مكان.

في منطقتنا الآن هناك قنابل موقوتة، والإمبريالية توظّف ملف الصحراء الغربية وتسعى من أجل تفجير الأوطان، ونحن كنّا تعساء عندما شاهدنا تمزيق السودان، والآن الأوضاع مأساوية في كل مناطق السودان؛ لأن ثروات الشعب السوداني تصادر، وهناك مسؤول أمريكي قال: سمعت الآن أن الجزائر أصبحت أكبر بلد إفريقي، ولكن هل هذا النظام قادر على تسيير بلد بهذا الحجم؟!.. هذا معناه تهديد حقيقي للجزائر، وحاولوا في السابق عدّة مرات زعزعة استقرار الجزائر، والبنتاغون كانت تشير في تقاريرها أن الجزائر ستشتعل فيها نيران الفتنة بمناسبة رئاسيات 2014، ولهذا السبب عزز البنتاغون من وجود المارينز في عدّة مناطق تحسباً للتدخل السريع في الجزائر، لكن الشعب الجزائري تصدى لكل هذا، ولأن الشعب الجزائري بعد 10 سنوات إرهاب وقتلى وضحايا، ليس مستعداً أبداً أن يعود لهذه المرحلة الفظيعة.

نقول أنّ الدولة الجزائرية عندما تصبح قوية بنظام قوي بثقة الشعب والديمقراطية؛ تستطيع آنذاك المساعدة في تشكيل تكتل آخر، وتساعد ليس فقط الثورة الفلسطينية أكثر من الآن، بل تساعد الشعب اليمني الشقيق وتساعد سوريا أكثر رغم موقفنا المبدئي إزاء سوريا القائم إلى غاية الآن.

*** أزمة كوفيد 19 أظهرت النظام الرأسمالي على حقيقته، وبيّنت جشع هذا النظام.. كيف تنظرون إلى تطورات هذا النظام ومستقبله على الصعيد العالمي؟ وما هو مصير الطبقات الشعبية والنقابات العمالية في مواجهة هذا النظام المتوحّش على مستوى العالم؟**

** من الواضح أن كوفيد 19 وطريقة مواجهته ومعالجته من قبل الحكومات والأنظمة الرأسمالية والحكومات أسقطت القناع كلياً عن مدى وحشية هذا النظام الرأسمالي الإمبريالي؛ سواء في الولايات المتحدة أو القارة الأوروبية وفي كل القارات، ونقول أنّ القارة الإفريقية هي التي نوعاً ما عدد الضحايا فيها قليل مقارنة بأمريكا وأوروبا، والوحشية الآن أصبحت واضحة، فمثلاً في البرازيل؛ هناك نظام فاشي لم يعترف بوجود المرض أصلاً ولم يقرر الحجر، وقام بتوظيفه من أجل التهجّم على كل المكاسب الديمقراطيّة والسياسيّة الاجتماعيّة، وبوادر الثورات موجودة وهناك مؤشرات انطلقت في 201 وكان هناك وضع ثوري، بل في عدة بلدان وأماكن في المعمورة وبدأت المسيرات العمالية تنفجر، ونقول أن الفيروس أوقف هذه المسيرات، ولكنه لم يوقف التعبئات.

هناك إشكالية حقيقيّة مطروحة لها علاقة بالتمثيل السياسي للعمال والمستقل، لأن الأحزاب التقليدية الآن أصبحت مرفوضة اليوم في كل المعمورة، وهناك أحزاب مسماة بالاشتراكية وتنتسب صوراً للاشتراكية طبّقت سياسات فظيعة وإجرامية بحق العمال، وهذا ما فتح النقاش الآن حول خلق أشكال جديدة من التمثيل السياسي المستقل، والنقابات اليوم أمام اختبار تاريخي لأن قيادات النقابة مساءلة أيضاً، ونحن في الجزائر في بداية المسار الثوري قالت النقابات المستقلة أنّه لا يجب إدراج المسائل الاقتصادية والاجتماعية وهذا خطأ، ولكن الآن راجعت مواقفها وتناقش الأمر، في وقت لم يلعب الاتحاد العام للعمال الجزائريين دوراً بشكل كامل في الثورة، بل أحدث قطيعة مع ماضيه وتاريخه سواء بعد الثورة التحريرية أو بعد الاستقلال، وهو الذي قاد المسيرات الشعبية ضد مخاطر الحرب الأهلية تحت شعار «سبع سنوات بركات» أي كفى، والكثير من التنظيمات النقابية لها مشكلة في هذا الجانب، ووضع العمال الفلسطينيين أيضاً اليوم أصعب من وضع العمال في البلدان الأخرى.

في المشرق توجد اتحادات نقابية وكأنها أجهزة لسلطات الدولة، وتوجهها مطروح على المحك، إمّا القيادات النقابية تتحمل مسؤوليتها وتطرح القضايا والانشغالات الخاصة بالعمال وتنخرط في المسارات الثورية أو أن يقوم العمال بكنس كل هذه النقابات وتأسيس نقابات جديدة، وكانت الحكومة دائماً تسعى من أجل تفتيت كل النقابات والأطر من أجل اضعافها، وهذا النقاش فُتح الآن داخل الأطر النقابية، واليوم مستقبل النقابات مرهون ومشروط في مواقفها إزاء الأوضاع التي ترتبت عن تسيير الحكومات الإمبريالية الرأسمالية والحكومات والأنظمة الموالية لها فيما يتعلق بكوفيد 19 وفيما يتعلّق بالسقوط الجهنمي في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والديمقراطي، ونحن في الواقع انطلاقاً من المعطيات التي تصلنا ومن نقاشنا المفتوح؛ متفائلون لأنّ هناك مناضلين ومسؤولين عماليين من عشرات البلدان يتبادلون الآراء حول تنظيم العمال، لأننا في بلداننا المضطهدة نختلف عن البلدان الرأسمالية التي يوجد فيها طبقات برجوازية، لأنها ليس علاقة بالصناعة وإنتاج الثروة وتكون في غالب الحالات تابعة للإمبريالية، وهناك الأغلبية الواسعة من الشعب العامل وفي مقدمته الطبقة الشغيلة. وبالنسبة لنا طبقة الشغيلة في الجزائر هي وحدها القادرة على قيادة الثورة، ولكن حتى الآن لا يوجد قيادة للثورة، وهناك أطراف تسعى من أجل تحريف الصورة وتغيير طبيعتها وحرفها نحو مسار مشروع ظلامي والإدارة الأمريكية يعجبها مثل هذا التوجه، ليس فقط في الجزائر وإنما في كل البلدان العربية من أجل القضاء على طبقة الشغيلة وعلى استقلالية النقابات باسم الدين، ولكن رغم أن هناك تيارات دينية وطنية تتصدى لهذا المد الرجعي.

بالنسبة لنا الخروج من النظام الموروث عن نموذج الحزب الواحد؛ يُطرح كضرورة أننا نتوجه نحو الجمعية التأسيسيّة، وبعد الاستقلال في سنة 63 كان هناك جمعية تأسيسيّة، ولكن مزيّفة وفرض عليها نظام الحزب الواحد، ولكن قادة الثورة رأوا في حينه أنّه لا يمكن لنا أن نمر إلا من خلال هذه الجمعية التأسيسية.

*** المعركة مصيرية من الجزائر إلى فلسطين.. هل هناك كلمة تودين توجيهها للشعب الفلسطيني عبر مجلة الهدف؟**

** نقول للشعب الفلسطيني أننا نتتبع يومياً وبكل وسائل الإعلام المتاحة أوضاع ونضالات وتطورات وكفاحكم المتواصل، وكنا أخيراً استعدنا الأمل في توحيد الشعب الفلسطيني، في كل الأحوال نحن نسجّل يومياً أن كفاحية الشعب الفلسطيني لم تتراجع بتاتاً، بغض النظر عن الأوضاع المأساوية بفعل الخيانات والحصار والتكالب العربي وغلق المخارج والمداخل والإرهاب الصهيوني، لكن نحن بالنسبة لنا هذه التطورات في السنة الماضية بشأن التطبيع مع الكيان الصهيوني والهرولة تجاه الكيان والإدارة الأمريكية من قبل بعض الأنظمة العربية العميلة هو عنصر فرز مهم بالنسبة للقضية الفلسطينية، وللأسف لا نتمكن من الخروج بفعل الاغلاق، ولكن دعمنا كحزب عمال للثورة والقضية الفلسطينيّة غير مشروط، ونؤكّد دائماً أن القضية الفلسطينيّة لا يمكن أن تموت لأنه لا يوجد ما يخسره الفلسطينيون داخل فلسطين أو حتى في المخيمات في الخارج، والمخرج الوحيد للشعب الفلسطيني الذي سيحرره من الكيان الصهيوني هو العودة إلى ميثاق منظمة التحرير الذي يطرح المخرج الديمقراطي الحقيقي الدولة الفلسطينيّة الواحدة على كامل التراب الفلسطيني لكل فلسطيني بغض النظر عن الديانة

والعرق والثقافة والأصل، لأن كل التجارب الأخرى فشلت وباعتراف الجميع، ونحن من بين الأطراف التي لم تدعم بتاتاً أو كان لديها أوهام بما يتعلق باتفاقات أوسلو، بل نقول أن الشعب الفلسطيني دفع ثمناً باهظاً، وهناك تقهقرات عدة في قضيته، ولكن لا يضيع حق ورائه مطالب، والثورة الجزائرية انطلقت منذ أن وطأت أقدام المستعمر أرض الجزائر في عام 1830، وأخذت مختلف الأشكال من ثورات ومقاومات وانتفاضات، ثم تشكّلت الحركة الوطنية الجزائرية من نقابات وأحزاب وتنظيمات، وعندما لم ينتزع الشعب الجزائري حريته واستقلاله بالنضال السياسي؛ اضطر إلى أن يلجأ للكفاح المسلح، ولكن الثورة الفلسطينية عرفت مساراً مختلفاً عكس المسار الجزائري، ومن الواضح الآن أن عودة الثورة الفلسطينية بكل أشكالها هو المخرج، فللشعب الفلسطيني أجيال من القيادات التي لديها الخبرة والحنكة، ونحن على يقين أنه مثلما انتصر الشعب الجزائري ودفع الثمن الباهظ؛ اليوم يدفع الشعب الفلسطيني ثمناً أيضاً. نقول أن الكيان الصهيوني زادت وحشيته لأنه يرى مقاومة الشعب الفلسطيني داخل أراضي 1948 بالذات ورأى هذا الكيان أنه لا يستطيع أن يقتل الثورة الفلسطينية، لأن الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق وسيستعيد حقه في يوم من الأيام، ونحن نتتبع التطورات داخل أراضي 48 وكيف يتخبط الكيان الصهيوني في مشاكل وأزمات لا تحصى لها علاقة بالفساد وأزمة كوفيد؛ إذن نؤكّد أن هذا الكيان مصيره الزوال، والثورة الفلسطينية سوف تنتصر وسوف يستعيد الشعب الفلسطيني أراضيه وسوف يعود كل اللاجئين من المهجر إلى بلادهم ليلتم الشمل من جديد وليؤسس الشعب الفلسطيني الدولة الفلسطينية المطابقة لتطلعاته بالمؤسسات التي تسمح له بممارسة سيادته بالكامل، ونتمنى أن نكون على قيد الحياة لنتمكّن من زيارة فلسطين■

الانهيارات الطبية: حياتنا بلا قيمة لديهم

خاص «الهدف»

جريمة الإهمال التي قتلت عددا من مرضى مستشفى السلط في الأردن، والسياسات التي انتهجتها الحكومات العربية منذ بداية أزمة كورونا، هي امتداد لنظرتها لمواطنيها، وسياساتها المنتهجة منذ سنوات والتي ضحت بصحة وتعليم هؤلاء المواطنين لمصلحة رأس المال المرتبط بالشرائح الحاكمة وشبكات النفوذ الدولي والمحلي.

لمدة تجاوزت العام أتيح مدى زمني معقول أمام هذه الحكومات للقيام بإجراءات وترتيبات استثنائية لحماية أرواح المواطنين؛ ترتيبات قد لا تؤذي منظومة مصالحها، أو شبكات نهبها المنظم للمال العام وحقوق المواطنين، فقط بقليل من الاكتراث والاهتمام، كان يمكن تحضير القطاع الطبي للتعامل مع ذروة الأزمة، ولكن الوقاحة تمثلت في إصرار هذه العصب الحاكمة على اللامبالاة بأرواح الناس.

القرار بهلاكنا لم تتخذه وزيرة الصحة الفلسطينية مي كيلة بالأمس؛ حين توفي أكثر من 27 فلسطينيًا جراء المضاعفات الصحية للفيروس، ولم يتخذه مدير مستشفى السلط في الأردن، أو وزير الصحة، بل اتخذه كل قطب في هذه المنظومات الحاكمة؛ في كل لحظة من حكمها، وبكل قرار أعطت فيه الأولوية لرأس المال، ولإدامة سياسات النهب؛ الخيار الأساسي أن أرواح الناس غير مهمة، وما تبع ذلك كله تفاصيل.. فلا البنى التحتية، أو الأجهزة أو الكادر الطبي تم تحضيرها لمواجهة الأزمة، والموارد المحدودة التي تبرعت فيها دول صديقة تم نهبها وسلبها من مستحقيها المرضى وكبار السن لمصلحة كبار هذه المنظومة وأعوانهم وحراسهم، ما تفعله وزارة الصحة هنا أنها تشكل الواجهة لعمليات النهب، والاستعراض والدعاية السياسية للمتنفذين الحقيقيين، فيما دورها الأساسي في رعاية صحة المواطنين هو شأن هامشي، ستفشل فيه هذه الوزارات في كل مرة. ربما تكون ساعات تفصل بين تلقي الفلسطيني والأردني وغيرهم من العرب، وتلقي أخبار أخرى سيئة، حيث سندفع من أرواح أبناء شعبنا ثمن سياسات الإهمال والفساد والسرقة والارتزاق، وهذا أمر لن يكفينا عنده محاسبة وزير أو موظف عليه، وواجبنا الآن ألا ننتظر وقوعه المحتوم، بل المسارعة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، قبل تمدد الكارثة الواقعة بالفعل؛ نحن بحاجة للجنة كفاءات واختصاصات وطنية تدير هذه الأزمة، والشروع بتحقيق فوري مع من أدار القطاع الصحي وموارده، أو تدخل في إدارته، واستلب هذه الموارد خلال هذه الأزمة؛ أيّ كان منصبه أو ذرائعه■

الدولة الأمة:
المأزق والمخرجات

المصطفى زويدي– عضو اللجنة المركزية لحزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي/ المغرب

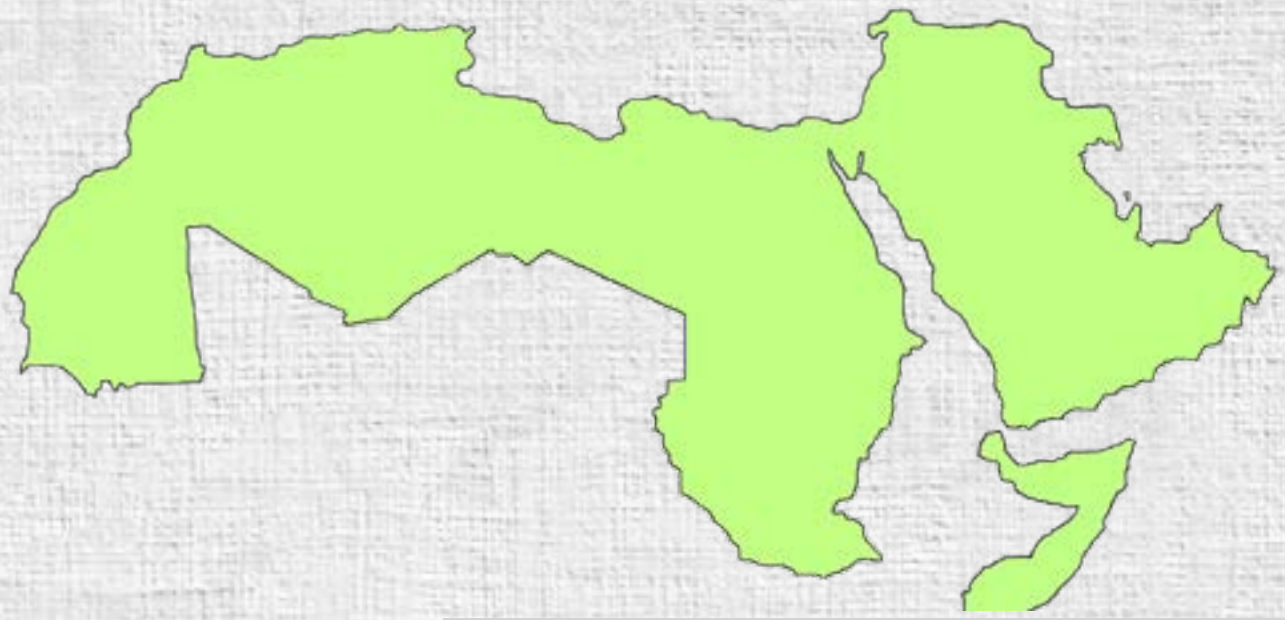

مدخل:

يثير الحديث عن الدولة في إطار الأمة بعض التعقيدات، بحكم الالتباس الحاصل في المفاهيم المرتبطة بها، ونتيجة التباين في تناولها، إن على مستوى الفكر الغربي أو العربي أو هما معاً، نتيجة اختلاف المنطلقات، وهذا ما يستدعي التعاطي مع المسألة منهجية تحديد نوع من المواءمة ولو نسبياً، على ذلك يفضي إلى عمل يثمر خلاصات منتجة، وهو ما يقتضي الاشتغال انطلاقا من:

النظر في المفاهيم:

مفهوم الأمة: سيتم تناوله من خلال:

- **مسار يرتبط بتكون الدولة في إطار الأمة من منطلقات وتجربة الغرب.**
- **مسار آخر يرتبط بها في إطار البيئة العربية بكل تعقيداتها وتشعبها عبر المسار التاريخي الملتبس.**
- **مسار ينطلق من توجه ثوري أو ماركسي، يري في الدولة أداةً للسيطرة الطبقية، ويتغير اضمحلالها في أفق تحقيق مجتمع تنتفي فيه الطبقات (الحلم الشيوعي النبيل)**

لقد اعتبرت الدراسات الغربية أن الأمة نتاج عاملين اثنين:

عامل موضوعي ويتمثل في اللغة والتاريخ، ووحدانية الجنس والإقليم، والمصالح المشتركة، والآمال الواحدة، والعادات والتقاليد والثقافة الواحدة.

عامل ذاتي يتجسد في وعي الأفراد بأن شخصيتهم المتميزة والمنفصلة تدفعهم إلى التعبير التنظيمي عن ذلك الانتماء، كما اعتبرت الدراسة أن التفاعل النوعي من العوامل المفضية إلى تكوين أمة ذات أداء حضاري مشترك، وذات وحدة سيادية، وقد اعتبر المفكرون الألمان اللغة والتاريخ يشكلان أهمية قصوى في تشكل الأمة، في حين يري المفكرون الفرنسيون أن العامل التراثي يعتبر الأول في تشكل الأمة، واعتبروا الدولة العنصر الأهم في تحقيق ذلك، فوحدة الأمة وشخصيتها مستمدة من التنظيم السياسي، لذلك يعتبرون الدولة سابقة عن الأمة، وهي سبب وجودها، والعكس صحيح، لهذا رفض المستشرق الفرنسي رينان (1882) خلال محاضرة له بعنوان: ما الأمة/ رفض اعتبار عامل اللغة والتاريخ أساس تشكل الأمة، فأكّد أن اللغة المشتركة مثلها مثل الأصل الواحد أو المصالح المشتركة، كلها عوامل غير مكتفية بذاتها لتكوين أمة، ومن ثمّ فهي عوامل مساعدة للمعيار الأهم، وهو وحدة التراث، فالتاريخ المشترك أهم عوامل التقريب بين الأفراد، وتوليد الرغبة في الحياة المشتركة، فتنشأ الأمة التي يكون لها الولاء الأول.

بينما مفهوم الأمة في الحضارة الإسلامية فقد أتى في عدة سياقات تبعاً لما ورد في القرآن وفي الكتابات التراثية، ففي القرآن ورد في العديد من الآيات بمعان متباينة تبعاً للسياقات التي وردت فيها، ومن ذلك

-اجتماع المسلمين على صعيد واحد، زيادة على ضرورة اتصافهم بصفات أخرى يحققونها في وجودهم وكيانهم.

-الشهادة على الناس (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس)

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله (آل عمران-210) (1)

يستخلص من هذه المعطيات التي تعكس رؤى نخبة الغرب ومسلمي الشرق بالأساس، على أن هناك تبايناً كبيراً في شأن مفهوم الأمة، وأهم ما ميزه أن رؤية مثقفي الغرب أكثر دقةً

العودة إلى الفهرس

وانسجاماً، وأنها تعطي تصوراً واضحاً يفضي إلى الانسجام والتناغم بين الدولة والأمة، وهو ما أفضى ويفضي إلى إعطاء دينامية للتطور، وأكيد أن التطور والسبق العلمي، والحسم مع الكثير من القضايا المعيقة كان له الفضل في بناء دولة المؤسسات، على خلاف ذلك أتى مفهوم الكثير من مفكري الحضارة الإسلامية ضبابياً وهلامياً وفضفاضاً، ولم يكشف لا تصريحاً ولا تلميحاً علاقة الأمة بالدولة، ويبدو أن مردّ ذلك يعود إلى ربط مصير البشرية بالدين في كل المجالات بعيداً عن المنطق والفكر العلمي، إضافة إلى الرغبة والنزوع إلى الهيمنة اعتماداً على الفكر الخرافي، انطلاقاً من هذه الخلاصة، فإن الموضوعية تقتضي التعاطي مع مفهوم الدولة من زوايا متعددة، على أن يفضي هذا التناول إلى ملامسة تصور للدولة في إطار الأمة انطلاقاً من التنظيرات الفكرية الجادة، ومن التجارب التي عرفها تطور الدولة بالغرب والشرق، وهذا يستدعي تناول مفهوم الدولة في علاقة بالأمة.

مفهوم الدولة: إذا كان القانون الدستوري يحدد الدولة في أرض محددة ذات سيادة، ومجموعة بشرية يؤطرها قانون ولها لغة رسمية، فإن مقاربة مفهومها أتت مختلفة بين منظري الاتجاهات، فمنظرو الاتجاه الديني (الإسلامي) ينظرون إلى الدولة نظرة ميتافيزيقية في الغالب الأعم، ويربطونها بالمقدس من منطلق الخلافة، بينما منظرو الرأسمالية يرون في الدولة أداة حيادية لضمان الاستقرار والرفاه، في حين يعتبرها ومنظرو الفكر الماركسي أداة للسيطرة في إطار الصراع الطبقي، بمعنى أنها تشكل هرم الطبقة السائدة، ووفق المنظور الثوري فإن وجود الدولة أمر عرضي، وسيكون مصيرها الاضمحلال بعد تحقيق المشروع الحالم المتمثل في المرحلة الشيوعية كما يرى ذلك انجلز وباقي منظري الماركسية.

وحيث أن المفكر فيصل دراج ينتمي إلى الاتجاه الاشتراكي، فقد بدا لي اعتماده في الحديث عن القومية والدولة، وفي ذلك يرى أن تحول التاريخ إلى زمن مجرد متجانس، وإلغاءه دور السياسة باعتبارها صراع اجتماعي مفتوح، أدى بالفكر القومي السابق إلى:

*إهمال مفهوم الدولة بالمعنى النظري الدقيق

*صادر الفكر هذا مفهوم الدولة، ورمى به إلى أحد حقلين:

- حقل النسيان، حيث لا تستدعي القومية الدولة وتقوم خارجاً عنها

-حقل البداهة، حيث يكون دور الدولة تطبيق معاني القومية التي هي سابقة عنها، وتغيب الدولة لأنها لحظة زمنية عارضة لا تغير شيئاً في طبيعة القومية التي تتجاوز الزمن دائماً، وهكذا يغوص مفهوم الدولة في مثالية مطلقة، شأنه في ذلك شأن القومية، فيقفز الفكر القومي على مفهوم الدولة، ليتمحور دائماً حول مفهوم الوحدة، لأن دور الدولة البديهي هو تحقيق الوحدة= سذاجة تعتقد أن إضافة القومية إلى الدولة ينتج أتوماتيكياً دولة قومية، ودورها الأساسي في استرجاع الماضي العربي المجيد (منظور سلفي حالم)، وحيث إن موضوع المقالة يتعلق بالدولة في إطار الأمة، فإن الأمر يقتضي التعاطي مع هذا المفهوم في كليته من خلال التعريف الآتي: الدولة الأمة منطقة جغرافية تستمد شرعيتها السياسية من تمثيلها أمة أو مدينة مستقلة، وذات سيادة، والدولة كيان سياسي وجيو سياسي، بينما الدولة القومية هي كيان ثقافي وإثني، مصطلح (دولة القومية) يفيد التقاء وتوافق السياسي والجيوسياسي مع الثقافي والإثني معاً، تشكل دولة القومية يمكن أن يحدث في أوقات مختلفة، وفي بقاع مختلفة (2) انطلاقاً من هذا التعريف واستحضارا لتصور المفكر فيصل دراج المتعلق بالقومية والدولة، وبغاية الإغناء، استعرض مضمون طرح للباحث مهنا الحبيل يرى فيه أن الفكر القومي الحديث يعتبر مدخلا للسعي إلى إنشاء الدولة القومية العربية (، وإن شئت القول إنشاء الدولة في إطار الأمة العربية) وأكيد أن الفكر القومي العربي الحديث الذي يعتبر مدخلا لبنا الدولة المأمولة (الأمة العربية) نشأ وتبلور في إطار الصراع مع الدولة (الإمبراطورية) العثمانية في تقابل للطورانية التركية (قومية تركية متشددة)، وبحكم التفاعل فقد كان تأثير التجربة التركية باديا على بعض التطبيقات المتبعة من لدن مفكري القومية العربية، وهذا ما سيتضح في الدينامية الجامحة لكلتا القوميتين من منطلق فكرة البناء الجمهوري لدى القوميين العرب، مقابل القوميين الأتراك، كما يؤكد ذلك الباحث مهنا الحبيل، والملاحظ أن العهد الجمهوري الذي تبناه الطرفان حسب رأيه وإن تحدث عن فكرة الحداثة الديمقراطية، فقد هيمنت عليه نزعة النظام الجمهوري الحامي للولادة الجديدة، لتشكيل أمة منفصلة عن أمة الرسالة الإسلامية، وبالتالي هيمنة نزعة النظام الجمهوري الاستبدادي بدل الديمقراطي (3)

• وحتى تكتمل الصورة يقتضي الأمر استعراض أهم التجارب العربية وفق تمفصل يحدد ما قبل وبعد الظاهرة الاستعمارية المجسدة في الاستعمار العثماني والغربي، وعليه أمكن التساؤل هل كان العرب قبل الحكم العثماني يشكلون دولة أمة يمكن اعتبارها دولة الأمة العربية، وتحديداً مع نشأة الدولة الاموية إلى الانهيار والهيمنة العثمانية تحت نفس الغطاء الذي كان يستظل به من سبقها، ونعني بذلك الغطاء الإسلامي، وهذا يستدعي القيام بإطلالة على تجربتي الفترة الأموية والعباسية، نشأة وانتهاء.

قيام دولة ما بعد الخلافة:

بتأسيس الخلافية الثانية على يد معاوية ابن أبي سفيان، أمكن الحديث عن تكون الدولة الأمة (الأمة الاسلامية) انطلاقا من مرجعية التأسيس الجامع بين العقيدة الدينية والعصبية القبلية، وقد بنت أمجادها على ما اصطلح على تسميته بالفتوحات، حيث بلغت مساحة امتدادها ما يناهز 12 مليون كلم مربع، وقد استفادت من بزنطا على مستوى الحكم والإدارة، وتميزت فترتها التي دامت لمدة 88 سنة (662 م- 750م) بثورات عديدة قام بها الخوارج والشيعة، على اعتبار أن الخلافة اغتصبت من أهلها (آل البيت) بعد هزم معاوية لعلي على خلفية فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وهكذا سيؤول الحكم للعباسيين الذين استعانوا في ثورتهم بالمسلمين الأجانب، مستغلين التهميش والتمييز العنصري الذي كان يطالهم بحكم عدم انتمائهم للعنصر العربي.

تأسست الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية سنة 750م، ولئن تقلصت مساحتها إلى حوالي 6 ملايين كلم مربع، فإنها تمكنت من الاستمرار في الحكم زهاء3 قرون (750 -2517) وبحكم انفتاحها على مجتمعات متحضرة وتعاونها مع دولها، من قبيل الرومان والفرس، عرفت ازدهارا ونهضة علمية وخاصة في فترة هارون

الرشيد وابنه المأمون، وقد بدأ الوهن يطال مرتكزاتها بفعل اتساع رقعتها، وبفعل تنامي النزعة الشعبوية وتوسع الخلاف السياسي بين مواطنيها، وساعد على تصدع الوحدة العقائدية التي هي أساس الوحدة الياسية، التي يعتمل فيها تناقض الديني بالعصبية القبلية للعرق العربي، وقد تولد عن هذه الوضعية انشقاقات أدت إلى نشأة الدولة الإدريسية والغالبية والفاطمية، وبذا انهارت الدولة العباسية (4)

تحت يافطة الإسلام، وباسم الخلافة الإسلامية، شرع الأتراك في بسط نفوذهم على المناطق التي كانت تابعة للدولة العباسية، وقد احكمت سيطرتها بقوة الحديد والنار، واعتماد محوي الهويات وخاصة العربية، وتكريس الهوية العثمانية المقنعة بمسحة الاسلامية، والتي يصطلح على تسميتها بسياسة التتريك، وقد استمرت في الحكم زهاء 6 قرون، وإن كان الوهن قد طالها في المراحل الأخيرة، وفق ما يعبر عنه ابن خلدون بدخول مرحلة التراخي والإسراف على يد الجيل الأخير الهادم للدولة، وبذلك أصبحت تلقب من طرف المؤرخين ورجال السياسة بالرجل المريض، إذ ذاك سيتدخل المستعمر الغربي الذي كان يترقب الفرصة، فيفرض خريطة جديدة بمواصفات تخدم مصالحه، مستغلا بعض التململ في أوساط العرب وإن بشكل محتشم، والذي قاده بعض المتنورين أمثال عبد الرحمان الكواكبي الذي انتقد الاستبداد العثماني من خلال كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.

بحكم هذا الالتباس الذي يطال ماهية الأمة ويطال دولتها الراعية، وبحكم التجارب العديدة والتي كان مآلها الإخفاق لاعتبارات موضوعية وذاتية، نتيجة التدخل الاستعماري بكل تلاوينه تحت غطاء ديني كما فعال العثمانيون، أو بشكل سافر لاعتبارات توسعية تخدم المصالح الاستعمارية على جميع المستويات، وبفعل الشرط الذاتي الذي تمثل في الضعف العسكري، والتأخر المعرفي تمكن المستعمر من بسط نفوذه على الوطن العربي لمدة قاربت 400 سنة بالنسبة للعثمانيين، وحتى عندما حدثت هبة التحرير فقد استطاع الاستعمار الغربي الذي هيمن بقوة على العالم العربي لعشرات السنين، بفعل القوة والخبرة- فيما يبدو- استغفال واستبلاذ أبناء الأمة العربية بصنع دول قطرية على المقاس، وفق محددات اتفاقية سايس بيكو بعضها يفتقر إلى مقومات الدولة، وقد نصب على معظمها فئات موالية أو قابلة للتدجين، وهكذا فبدل التحرر والانعتاق، تم تأبيد الاستبداد والديكتاتورية التي تكرس التبعية المطلقة، وهذا ما يثبته الواقع المعيش وتؤكده الدراسات الموضوعية والجادة، ويبدو أن إطلالة على بعض التجارب، أبرزها التجربة الناصرية والبعثية، ستقربنا أكثر من الصورة، فبماذا تميزتا ؟ (5)

التجربة الناصرية والبعثية:

- التجربة الناصرية: استطاعت ثورة يوليو 1952 التي قام بها الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر، أن تلفت الانتباه على المستوى الدولي عامة، وعلى المستوى العربي بصفة خاصة، بفعل ما حققته من انجازات مهمة، تمثلت بالأساس في الانتصار على العدوان الثلاثي الناتج عن قرار تأميم قناة السويس، وفيما حققته من إصلاحات اقتصادية واجتماعية ولو في حدود دنيا، إضافة إلى مساعيها الرامية إلى تحقيق الوحدة العربية، وبغض النظر عن وطنية القائد وكرزميته، فإن المشروع الناصري عانى من إعطاب عبر عنها المفكر سمير أمين (باسمه الحركي حسن رياض) بما مفاده، اعتبر ما قام به الضباط الأحرار سنتي 1962 و1954 انقلاباً جسدت فيه الناصرية محصلة لفترة المد الثوري، انطلاقاً من سنة 1919، وأنتج النظام ما كان يستطيع أن ينتجه في ظرف 10 سنوات لا أكثر ثم فقد نفسه، وانتهز الاستعمار الأمريكي عن طريق الصهاينة هذا الضعف فضربه في عام 1967 (وبالفعل الضربة كانت فاصمة وأحدثت نكسة مازالت تداعياتها وتبعاتها تطال الشعوب العربية العرب، وفي مقدمتهم الشعب الفلسطيني، الذي تتعرض قضيته للاجتثاث بفعل التكالب الإمبريالي الصهيوني الرجعي) (6)

- التجربة البعثية: تأسيس حزب البعث بدمج أساسه حركة البعث سنة 1947 تحت اسم حزب البعث العربي على يد مشيل عفلق وصلاح البيطاروزكي الأرسوزي، ثم عرف عملية اندماج ثانية مع الحزب العربي الاشتراكي لمؤسسه أكرم الحوراني سنة 1952 تحت اسم حزب البعث العربي الاشتراكي، ويعني مفهوم البعث النهضة أو الصحوة، وتبنى خليطاً إيديولوجيا غير متجانس من القومية عربية والوحدة العربية والاشتراكية عربية واللاإمبريالية، ويدعو إلى توحيد الوطن العربي في دولة واحدة تحت شعار وحدة- حرية- اشتراكية وقد سار له تواجد في العديد من البلدان العربية، غير أن وصوله إلى السلطة لم يتحقق إلا بسوريا والعراق، وإن كان هذا الوصول أدى إلى عكس الشعار الوحدوي، فكان الفشل والانهيار والذي نتائجه الكارثية في بلاد الرافدين بادية للعيان، نتيجة:

- فشل التجربة الوحدوية الفوقية والمتسرعة بين مصر وسورية سنة 1958.

-هزيمة 1967 النكراء التي تعرض لها العرب في شخص مصر وسوريا وفلسطين بالأساس على يد الكيان الصهيوني، كان لها الدور الأكبر في ضرب كل الآمال المرتبطة بالوحدة.

- وعوض إعادة ترتيب الأمور من أجل بناء الوحدة، والاستعداد لموجهة العدو الصهيوني من أجل تحرير فلسطين، قامت الانظمة الثلاثة باعتماد أجندة تخدم مصالحها، وتمكنها من إحكام قبضتها على شعوبها، ومن الأمثلة على ذلك (انبطاح السادات وصفقة كامب ديفيد- الحرب العراقية الإيرانية- تعويض فقدان الجولان بالهيمنة على لبنان-) إنها بداية الانهيار الذي ستجسد حرب الخليج الأولى والثانية، والتكالب والتآمر على القضية الفلسطينية من أجل تصفيتها أسطع تجليات الانكسار، ليخلو الجو للكيان الصهيوني فيصبح المتحكم بالمنطقة، باختصار فإن كل هذه التجارب المريرة كان مآلها الفشل (7)،

وجدير بالإشارة أن هناك دراسات جادة ورصينة لمثقفين ومفكرين يساريين يكشفون مسببات هذا المأزق، وفي هذا الإطار يرى المفكر اليساري فواز طرابلسي بأن السياسات النيولبرالية، تطال الدول بدل الانظمة الاستبدادية، وهي تستهدف إضعاف الدولة، نادراً ما تعمل على تغير الأنظمة الاستبدادية وتحويلها ديمقراطياً، بل غالباً ما تعمل على دعم الانظمة الاستبدادية (نموذج : مخلفات حرب الخليج الأولى 1991 التي تم فيها تدمير مقومات الدولة العراقية، مع الحفاظ على النظام الاستبدادي، (وأكيد أنه حتى عندما تم تفكيكه إبان حرب الخليج الثانية سنة

2003، فقد عوض بالأسوأ في إطار تأبيد السيطرة الإمبريالية الصهيونية عبر ما سمي بالفوضى الخلاقة التي تعمل على تفتيت المفتت من الكيانات، وتصفية القضية الفلسطينية لضمان تفوق الكيان الصهيوني الغاصب).

- شعار الأسواق والديمقراطية والمجتمع المدني ينطوي على مخاطر تخدم الأسواق فقط، ويتجاهل الارتباط العميق بين عملية تحقيق الوحدة الوطنية والقومية وبين الدولة.

- تفكيك الدولة يفضي وبسهولة إلى تفكيك الكيانات الوطنية والقومية... (نموذج ما يجري بالشرق الأوسط.

• وفي نقده للديمقراطية البرجوازية اعتمد حجتين متكاملتين:

-المساواة السياسية والقانونية، غالبا ما تستخدم كمسوغ إيدولوجي وسياسي للحفاظ على اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية، وهي فكرة تبناها المفكر سمير أمين في حديثه عن المساومة الديمقراطية.

-المساواة السياسية والقانونية تظل مهددة دوماً ما لم تقترن بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية.

الماركسية نظرية ديمقراطية منسقة، والماركسيون يسمون أنفسهم دعاة الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية، ليخلص إلى أن مهمة بناء الدولة الجمهورية الديمقراطية تطرح نفسها في جدول أعمال بلادنا، وستبقى لفترة طويلة. (8)

بناء الدولة في إطار الأمة:

تماشيا مع الطرح الوارد أعلاه، وباستحضار ما يطال البشرية عامة، وجماهير دول المحيط خاصة من قهر واستغلال، نتيجة التوجه النيولبرالي المتوحش، وإمعاناً فيما يتعرض له الوطن العربي من تكالب إمبريالي صهيوني يستهدف محو القضية الفلسطينية، وإعادة تفكيك الكيانات العربية وبنائها وفق ما يخدم المشروع الصهيوني الإمبريالي، واستحضاراً للتصور الاشتراكي الذي يرى في الدولة أداة للسيطرة الطبقية، يبدو أن منطلق بناء الدولة في أطار الأمة يقتضي؛

- الاقتناع بضرورة امتلاك مشروع بناء الدولة الوطنية الديمقراطية بأفق اشتراكي، بكل فطر عربي على حدا، يحس فيه كل مواطن (ة) ودون تمييز بأنه كامل المواطنة، إذ لا يمكن بناء الوحدة في غياب الدولة الديمقراطية.

-العمل وبأفق تحرر متعدد الأبعاد بما في ذلك بعد المقاومة بكل أشكالها من أجل حل القضية الفلسطينية، بغاية تمكين الشعب الفلسطيني من استرجاع أراضيه المغتصبة، من طرف الكيان الصهيوني المجرم وكامل حقوقه، وإنشاء دولته تكون عاصمتها القدس، وأكيد أن حل القضية الفلسطينية جوهري، وبتحقيقه يحسم الصراع لصالح القضية العربية، إذ لا بناء وحدوي مادام الشعب الفلسطيني مسلوب الحقوق لصالح الكيان الصهيوني العنصري اللقيط.

- لإنجاز هذه المهمة التاريخية والشاقة، يستدعي الأمر قراءة التجربة العربية بما لها وما عليها، واستخلاص الدروس والعبر لنبذ ما هو سلبي وتثوير ما هو إيجابي ودمجه في مشروع وحدوي ديمقراطي حداثي تلقى فيه كل الأطراف ذاتها، وتقتنع بضرورة العمل على إنجازه وضمان استثماره، وأكيد أن هذا الأمر يتطلب الإرادة الصلبة، وطول النفس، والاستعداد للنضال عل كل المستويات وفي جميع الجبهات، (الجبهة الطبقية - الجبهة الامبريالية - الرجعية ...)، ومهما كانت صعوبة المهمة، وجسامة المسؤولية، فسيكون هناك من ينبري لها من حاملي وحاملات الهم التحرري الذي يمنح من القيم الثورية، ويبدو أن المهمة ملقاة على الأداة الثورية لاستنهاض تحالف شعبي واسع يكون بديلا طبقيا قوامه كل القوى الاجتماعية المناهضة للبورجوازية، والمحددة في الطبقة العاملة والفلاحين وأوسع الفئات الاجتماعية المسحوقة، إنه الطرح العلمي الذي عبر عنه المفكر فيصل دراج، وسيكون دور هذا الحلف الشعبي إلغاء الاستغلال والتبعية معاً، وهو ما يعني اعتبار النضال من أجل تحقيق الديمقراطية بأفق اشتراكي، يندرج ضمن التحرر الوطني، إذ لا يمكن الحديث عن التحرر القومي دون ربطه موضوعياً بالتحرر الاجتماعي، ولا يمكن لأحدهما التحقق دون أن يتحقق الآخر حسب طرح الباحث فيصل دراج (9)، ويبدو أنه طرح في الصميم، وبه أنهى هذه المساهمة، وهي مساهمة قابلة للنقاش والإثراء ■

المصادر :

1) موسوعة العلوم السياسية – المادة 257 ص :405

2) د فيصل دراج / مجلة الطريق اللبنانية عدد مزدج /6 بتارخ : كانون الأول/دجنبير 1988 ص :267 وما بعدها.

2) صفحة المدينة فيسبوك بتاريخ : 2019/2/1

3) مقال بعنوان القوميون العرب وأسئلة العمق الديمقراطي لـ: مهنا الحبيل مدير مركز الدراسات الإسلامية باسطنبول/ الجزيرة بتاريخ : 2014/5/14

4) ويكيبيديا جريدة الإلكترونية

5) كتاب طبائع الاستبداد لعبد الرحمان الكواكبي

6) عن المقهى الثقافي بتاريخ :2012/9/20> بوابة الأهرام

7) جريدة ويكيبيديا الإلكتروني .

8) فواز طرابلسي/مجلة الطريق اللبنانية عدد 4 - بتاريخ :1997 ص :158> 161

9) فيصل دراج العدد المزدوج (6/5) السابق لمجلة الطريق اللبنانية.

لماذا فشلت الدولة القطرية في بناء الهوية الوطنية الجامعة؟

رضي الموسوي– كاتب صحفي/ البحرين

لا يختلف اثنان على أن الأوضاع في البلدان العربية انحشرت في عنق زجاجة الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وبلغت من العمق ما حوّل بلداننا إلى مجموعة دويلات وكانتونات تتصارع فيها الهويات الفرعية بكل تفاصيلها وتفريعاتها الإثنية والعرقية والمذهبية والطائفية، بعد أن انكشفت الدولة القطرية واتضحت الكثير من تفاصيل الأزمات التي قادت إلى هذا التفكك الذي يلاحظه المراقب في شكل صراع دموي كنتاج لفشل النظم السياسية في تأسيس الدولة المدنية الديمقراطية الجامعة والحاضنة لكل الهويات الفرعية والآراء المتباينة باعتبار أن التعددية الاثنية والثقافية والسياسية تشكل عنصر قوة للمجتمع. لكن الواقع سار عكس ذلك، فدخلت العديد من الدول العربية في دوامة الحروب الداخلية المغذية من قبل الدول الغربية الكبرى التي تريد بعضها الحفاظ على مصالحها في البلاد العربية، بينما تبحث الأخرى عن موطئ قدم لها في تلك العواصم، وأن تطلب الأمر تأليب مكونات المجتمع بعضها على بعض وإثارة نزعات الهويات الفرعية من أجل الوصول لإهدافها.

تشبه الحالة العربية الراهنة حالة أوروبا في القرن السابع عشر، التي احتاجت إلى صلح أو معاهدة وستفاليا التي تم التوقيع عليها في 1648 وأنهت حرب الثلاثين عاماً في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، رسمت خرائط جديدة لحدود الدول، وبدأت في ترسيخ مفهوم السيادة الوطنية.

وتعتبر هذه المعاهدة أول اتفاقية ديبلوماسية في العصر الحديث تؤسس نظاماً جديداً في أوروبا، لكن هذه الاتفاقية أسس لها صلح أوجسبورج الذي أرسى الحرية الدينية للحكام فقط، حيث سمح لهم باختيار دينهم ومن ثم فرضه على الرعية ليرسخ مبدأ الناس على دين ملوكهم، ومن يرفض الانصياع للدين الجديد الذي تحول له الحاكم فله العاقبة والحساب والعقاب والاضطهاد، ما جرى هناك كان بداية انصهار الإمارات والدويلات في تشكيلات أكبر تمكنها من الصمود والاستمرارية وتشكيل حالة جديدة من الكيانات الكبرى المؤسسة لألمانيا ما قبل الحرب العالمية الأولى.

كانت الهوية في إرهاصاتها الأولى والدويلات تتلمس فوائد الوحدة، والمكونات تتوجس الانصهار في بوتقة الدولة ذات الحدود المعترف بها والسيادة التي يتوجب تشكيل جيوشا لحماية حدودها، والبحث عن كيمياء تصهر المكونات من خلال تشابكها وتعضيد المصلحة العامة في ذلك، واحترام الخصوصيات العرقية والإثنية والدينية، وإن كان بنسب وما يتطلبه أمر وحدة الدولة ذات السيادة، وكانت القوى السائدة أمام تحدٍ يتمثل في تشكيل الهوية الوطنية الجامعة واستثمارها كمحرك للشعور بالذات الإنسانية والارتقاء بها نحو وحدة قادرة على تحقيق المكتسبات وإحداث الفرق الكبير بين حالة التشرذم وبين حالة الوحدة الجديدة التي تحتاج لمحفزات البقاء والتطور.

تعرف الهوية بأنها مصطلح مشتق من الضمير هو، ومعناها صفات الانسان وحقيقته، كما تعرف بأنها مجموعة من المميزات التي يمتلكها الأفراد، وتساهم في جعلهم يحققون صفة التفرد عن غيرهم.

وتعرف الهوية الوطنية بأنها الخصائص والسمات التي تتميز بها كل أمة، وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها، وبدونها تفقد الأمم كل

العودة إلى الفهرس

معاني وجودها واستقرارها.

وفي الدول المعاصرة تعتبر الهويات الفرعية عنصر قوة بسبب التنوع الثقافي والإثني والعرقي الذي يخلق أجواء لإغناء الهوية الوطنية الجامعة التي تحتاجها الدولة لبناء وحدتها وخلق ابداعاتها التي تميزها عن الأمم الأخرى.

وقد استخدمت مفردة أمة قبل العام 1800 في أوروبا إشارة إلى بلد ما والهويات الموجودة في بقعة جغرافية تتمتع بتاريخ مشترك وحقوق سياسية وولغة ودين وتقاليد، ويمكن الإشارة إلى المملكة المتحدة التي تأسست في العام 1801 من اتحاد انجلترا وويلز واسكوتلندا وشمال إيرلندا.

حالة اتحاد المملكة المتحدة لم تضمر ولم تفشل، إنما نمت واستمرت رغم المشاكل التي واجهتها طوال ما يربو على قرنين من الزمان، خصوصاً في السنوات الأخيرة التي وضعت الدولة الاتحادية على محك عضوية الاتحاد الاوروبي ومدى الاستمرار فيه أو الخروج منه حتى حسمت الأمور بقرارات شعبية غير فوقية تؤيد مسالة الخروج من المنظومة الأوروبية، ما شكل خسارة اقتصادية وسياسية لكلا الجانبين الأوروبي والبريطاني، وأشاع بهجة لدى الأمريكان الذين وجدوا في تعثر الاتحاد الأوروبي ووصوله إلى البريكسيت، مصلحة أمريكية يمكن استثمارها، ولا شك أن الفشل في الحفاظ على عضو رئيسي في البقاء في الاتحاد الأوروبي، شكل نكسة للمنظومة برمتها، لكنها ليست نهاية المطاف.

على الصعيد العربي، تمكن تنظيم الدولة الإسلامية داعش من خلط أوراق المنطقة وقلبها رأساً على عقب بتمزيقه اتفاقية سايكس بيكو، وإلغاء الحدود العراقية السورية، في خطوة اعتبرت تحدياً لكل التقاليد الراسخة منذ العام 1916.

لم تكن لدى التنظيم المتطرف استراتيجية غير استراتيجية الإخضاع والتطهير، فأعاد التاريخ لنحو خمسمائة عام، وأسس لمعطيات الرأي الأوحد الذي تغلب على كل الديكتاتوريات العربية والعالم ثالثية، ولم يقبل في مناطق سيطرته سوى هويته الضيقة المتطرفة الدموية والتي لم تدم طويلا حتى تم هزيمتها كدولة رغم استمرارها كفكرة، بالتوازي مع حالة التردي والانهيار الحاصلة في أكثر من دولة عربية لم تتمكن من معالجة أوضاعها الاقتصادية والسياسية بسبب الفشل الكبير في برامج التنمية المستدامة التي قادت إلى إنعاش الهويات الفرعية إثنياً وعرقياً ودينياً.

الأقليات المهمشة

عندما فشلت الدولة الوطنية من القيام بمهماتها الأساسية في الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، برزت الهويات الفرعية بديلاً عن الهوية الوطنية الجامعة بعد أن تراجعت الهوية القومية وتم طمسها عنوة وبإصرار، لتبدأ الدول القُطرية التي تمسكت بنفس النهج والسلوك طوال عقود من الزمن، تتحول إلى دول فاشلة لم تتمكن من إنجاز المهام المطلوبة منها، فتغذت الهويات الفرعية من هذا الفشل ودخلت الدول الأجنبية من هذا الخرق الكبير لتؤسس للدمار الشامل وتفتيت المفتت.

بعد الربيع العربي الذي تفجر أولا نهاية العام 2010 في تونس، وانتشر في مصر والعديد من الدول العربية، برز الحديث عن الأقليات العرقية والدينية في الوطن العربي، وبدأت مراكز البحث الغربية تصنف وتدرس كل أقلية ومدى إمكانية تعاونها وتلبيتها لمتطلبات البحث العلمي كلاً في بلده، كما أسست الدول الغربية ودعمت الكثير من مؤسسات المجتمع المدني، بعضها بصدق وإخلاص والبعض الآخر لغرض في نفس يعقوب.

هناك أقليات في الوطن العربي تعاني من التهميش كسياسة معروفة لدى الجميع ومنها الأكراد، الذين يبلغ عددهم في مختلف أنحاء العالم نحو 27 مليون نسمة، منهم 6 ملايين نسمة في كل من سوريا والعراق، ويتواجدون في إيران وتركيا أيضاً، وفي الحالة الاخرى يأتي البربر والأمازيغ الذين يتواجدون كاقليات في بلدان المغرب العربي، مع أن بعض الدراسات تشير إلى أن البربر يشكلون نحو 80 بالمئة في الجزائر والمغرب و60 بالمئة من سكان تونس وليبيا، ليصل عددهم في هذه الدول إلى نحو 50 مليون شخص، بينما تشير دراسات أخرى إلى أنهم أقليات في هذه الدول ويشكلون 40 بالمئة من سكان المغرب و30 بالمئة من سكان الجزائر و5 بالمئة من سكان تونس و10 بالمئة من سكان ليبيا، أي أن عددهم يصل إلى نحو 20 مليوناً فقط.

وهناك الأقليات الدينية أو المذهبية مثل الشيعة والأرمن والعلويين والدروز والأزيديين والآرمن، وفي هذا الجانب يشكل الشيعة أغلبية المواطنين في كل من العراق والبحرين، وأقليات في السعودية ولبنان والكويت والإمارات وقطر وعمان، وخارج الوطن العربي يشكلون أكثرية في إيران وأقلية في باكستان، ويبلغ عددهم على مستوى العالم ما بين 150 مليون إلى 200 مليون نسمة، والأزيديون الذين يتركزون في شمال العراق وقد تعرضوا إلى اكثر من 70 حملة إبادة، ويصل عددهم أكثر من 700 ألف شخص، بينما يشكل العلويون أقلية أخرى في سوريا، الذين يشكلون نحو 12بالمئة من إجمالي عدد السكان في سوريا، كما يتواجدون في لبنان، فالدروز الذين يصل عددهم في سوريا إلى نحو 700 ألف نسمة، وفي لبنان حوالي 250، بينما يصل عددهم في فلسطين إلى 130 ألف نسمة تقريبا، وفي الأردن نحو 20 ألف نسمة، أما الآرمن فهم طائفة مسيحية يصل عددهم في لبنان إلى 156 ألف نسمة وفي سوريا 100 ألف نسمة، وفي العراق 20 ألف نسمة وفي مصر 6500 نسمة وفي الأردن 5000 نسمة وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة نحو 3000 نسمة، هناك الشركس أيضاً في العراق بعدد يصل إلى نحو 30 ألفاً، كما يتواجد بعضهم في سوريا والأردن.

أما النوبيون فهم يسكنون على ضفتي نهر النيل من أقصى الشمال السوداني إلى أقصى الجنوب المصري ويصل عددهم الى ما بين 3- ملايين نسمة.

في ظل فشل الدولة الوطنية من ترسيخ الهوية الوطنية الجامعة بإرساء العدالة الاجتماعية ودولة القانون والمؤسسات، تتحول الأقليات العرقية والإثنية والمذهبية إلى قنابل موقوتة يمكن أن تنفجر على الظلم في أي لحظة، ويمكن استثمار هذه المعطيات من قبل جهات ودول لإرساء والتحول إلى دولة فاشلة غير قادرة على التعبير والدفاع عن مواطنيها، بعد أن استشرى الفساد الإداري والمالي وتحول التنوع الثقافي إلى عبئ بعد أن كان مصدر قوة، وزادت مساحة الإقصاء والتهميش، واستشرت سياسة التمييز في أغلب الحقول، بما فيها حقلي التعليم والسلك الأمني والعسكري.

الدولة المدنية هي المخرج

لا شك أنها اشكالية كبرى، ليس بين الهوية القومية التي تم وأدها منذ عقود بمؤامرات ما تزال تشتغل، وبين الهوية القُطرية فحسب، فهذه قد تجاوزها الزمن بعد الاحترابات الطائفية والمذهبية والحروب الداخلية التي شهدتها أربع دول عربية على الأقل، بينما تواجه بقية الدول مخاضات وإرهاصات اختمار الحالة الداخلية في العديد من مكونات البلدان العربية لتفرز وضعاً أكثر تعقيداً.

وفي ظل هذا الوضع المتردي يتوجب البحث عن مخرج من شأنه إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والشروع ببرامج نهضوية قادرة على معالجة الخلل، وفي مقدمها تطبيق العدالة الاجتماعية الغائبة في أغلب البلدان العربية، وذلك من خلال إعادة النظر في كل السياسات التي تأكد فشلها على الصعد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ومنها الشروع الجدي في تعميد أركان أسس الدولة المدنية الديمقراطية الحديثة القائمة على أساس أن الإنسان هو هدف التنمية المستدامة وهو وسيلتها في آن واحد، وقد اجتهدت العديد من الأحزاب والتنظيمات العربية في البحث عن حلول لهذه الازمات المتراكمة، ووجد الكثير منها الدولة المدنية الديمقراطية مخرجاً.

يعتبر مفهوم الدولة المدنية الديمقراطية المعروف في العصر الراهن بأنه نتاج تطورات وصراعات عديدة مرت بها المجتمعات المختلفة مع أشكال الدولة التي تنتجها المجتمعات في كل مرحلة من مراحل حياتها الاجتماعية والسياسية، ومما لا شك فيه أن الدولة المدنية الديمقراطية قد غدت النموذج الأحدث في حياة البشرية كأرقى ما وصل إليه الفكر الإنساني، وتقوم هذه الدولة على مبادئ المساواة ورعاية الحقوق، وتنطلق من قيم أخلاقية في الحكم والسيادة، وقد تبلورت فكرة الدولة المدنية من خلال إسهامات متعددة ومصادر مختلفة في العلوم الاجتماعية؛ فالدولة المدنية هي التي يحكمها دستور ذو مرجعية بشرية وقوانينه محققة لمبادئه على مستويات الممارسة العملية لحياة الناس في تفاصيلها المتنوعة والتي تهدف إلى تحقيق المصالح العادلة لكل المواطنين بلا استثناء، وهي دولة مؤسسات تقوم على الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، إنها دولة ديمقراطية قائمة على حق الاختلاف والتمايز، بقدر ما هي دولة مواطنة لا يمكن أن تسمح لأحد بالتمييز بين مواطنيها على أساس من الثروة أو الدين أو الجنس أو الانتماء السياسي، فجميع المواطنين سواء أمام القضاء ودستور الدولة الذي يجمع بينهم دون تمييز، والدولة الوطنية الدستورية تقوم على التعددية الحزبية سياسيا وتنوع التيارات الفكرية، وهي على النقيض من الدولة الفئوية بمختلف نماذجها وأشكالها المكرسة للتمييز القسري بين المواطنين على أساس قبلي أو ديني أو مذهبي، كما تقتضي الدولة المدنية بأن يكون الرابط الاجتماعي بين الناس مدنياً وليس عقائدياً أو قبلياً، وأن تكون وظيفة الدولة تنظيم الحياة المشتركة وإدارة التعايش والاختلاف بما يمنع الصدام والفوضى، فضلاً عن احترام الحريات الفردية في الحياة العامة.

إن مشروع مدنية الدولة هو النظام الأنسب الذي وجد حتى الآن لتنظيم التعددية داخل المجتمع الواحد، وإذا كانت للديمقراطية نقائص معروفة، فإن معالجتها تتم بمزيد من الديمقراطية، وذلك باعتبارها النهج الأسلم لتنظيم حياة البشر وما يعيشونه من مآسي النزاعات المدمرة المتذرعة بالدين أو الطائفة أو العرق أو اللون أو اللغة، والدولة المدنية التي ننشدها تتمثل في مبادئ خمسة، هي المواطنة التي هي مبدأ الشراكة كأساس للدولة المدنية ويقوم على مفهوم المواطنة الذي يختزل في العصر الحديث جملة مفاهيم وقيم أهمها المساواة بين المواطنين من دون تمييز بحسب الدين أو العرق أو الجنس أو اللغة، وكذلك المساواة في الحقوق والواجبات والحرية والمشاركة في الحياة العامة، لتقوم على هذا المفهوم الدولة بمؤسساتها وتشريعاتها، إذ لا مجال لقيام الدولة المعاصرة الناجحة والناجزة على ممارسة التمييز بين المواطنين.

والمبدأ الثاني هو الديمقراطية، حيث أن قيام الدولة المدنية التي ترتكز فيها علاقة السلطة بالمواطن على أساس المواطنة المتساوية، يقتضي حتماً تحقيق العدالة ومنع التمييز، ولكن العديد من التجارب في المجتمعات جاءت مترافقة مع الديكتاتورية والاستبداد من ذوي السلطة، الأمر الذي استوجب التخُّوط من نشوء هذا الاستبداد أو عودته، وقد توجب تطبيق الديمقراطية التي هي روح الدولة المدنية، وباعتبارها منهجاً معتمداً لثقافة ونظم ومؤسسات تجسد المبدأ الدستوري العالمي الشعب مصدر السلطات جميعا.

أما المبدا الثالث هو الفصل بين السلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية، فقد أصبحت عملية الفصل بين السلطات وسيلة فعالة في النضال ضد الاستبداد والحكم المطلق والشمولي، الذي يجمع أو يهيمن على السلطات الثلاث، وعملية الفصل تعتبر الطريق الذي يوصل المجتمع لدولة ديمقراطية، يملك الشعب فيها فعلياً، عن طريق نوابه المنتخبين، سلطة التشريع والرقابة على عمل السلطة التنفيذية والتي تكون مهماتها تطبيق التشريعات وإنفاذها.

حقوق المرأة، هي المبدأ الرابع، حيث تشكل الوضعية الاجتماعية والمدنية للمرأة ومساواتها بالرجل ومنع التمييز بينهما واحدة من القضايا الأساسية التي لا يستقيم وجود الدولة المدنية من دون تحقيقها، ويعتبر تحقيق المساواة بين المرأة والرجل وإلغاء التمييز بينهما في صميم مكونات الدولة المدنية؛ فحقوق المرأة جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان.

وأخيراً الشرعة الدولية لحقوق الإنسان، هي المبدأ الخامس، ويشكل خلاصة القواعد الفلسفية الحديثة التي تقوم عليها الدولة المدنية وأهمها حرية الإنسان ومساواة الأفراد في الكرامة والحقوق، بأن عليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء، وأنّ لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات دون أي تمييز من أي نوع، والمساواة أمام القانون والتمتع بالحقوق دون تمييز، فضلا عن حق كل فرد في حرية التفكير والضمير والدين وحرية الرأي والتعبير عنه.

إن الاستبداد هو أصل الازمات في الوطن العربي، وبدون إشاعة الديمقراطية القائمة على التعددية الحزبية والتداول السلمي للسلطة، فإن استشراء الهويات الفرعية سيكون سائداً، والحديث عن الهوية الجامعة يصبح ضرباً من خيال■

العودة إلى الفهرس

مانديلا والكورونا والملكية الفكرية!

هاني حبيب- كاتب صحفي / فلسطين

خارج النص

من منّا لا يتذكّر المناضل الأسطوري نيلسون مانديلا الذي واجه العنصرية بشتى أشكالها ووقف مع حقوق الإنسان وقضايا التحرّر من العبودية والاستعمار على خارطة العالم، إلّا أنّ القليل منّا ربما لا يعرف نضاله ضد منظمة التجارة الدوليّة واحتكار الملكية الفكريّة، عندما تفشى وباء الإيدز في القارة الأفريقيّة خلال تسعينيات القرن الماضي، عندما تمكّن مانديلا من الحصول على علاجات ولقاحات ضد هذا الوباء بأسعار رخيصة في متناول الفقراء، الأمر الذي كان من شأنه توجيه دعاوى قضائية ضد دولة جنوب إفريقيا وضد نيلسون مانديلا شخصياً كرئيس لها بصفته المدعى عليه الرئيسي وذلك من قبل 39 شركة أدوية احتكرت اللقاحات الخاصة بالإيدز ووضعت لها أسعاراً تفوق بكثيرَ قدرة المصابين في دول العالم الثالث من الحصول على هذه الأدوية واللقاحات، ولم يكن غريباً أن تقوم إدارة كلينتون بدعم هذه الشركات، إلا أنّ حركات جماهيريّة دوليّة استغلت قيام عدّة مؤتمرات عام 1999 لكي تواجه إدارة كلينتون والشركات، الأمر الذي أدى في النهاية إلى أن تسحب الشركات الـ39 دعواها بعد أن اضطر البيت الأبيض إلى سحب دعمه لها.

نستحضر هذا التاريخ، ونحن نعيش موجة مشابهة لجهة احتكار قلة من شركات الأدوية والدول الغنية للقاحات جائحة «كورونا» وعدم قدرة مصابي الدول الفقيرة على الحصول على اللقاحات نتيجة حصر صناعتها على شركات بعينها تحت شعار حقوق الملكية الفكرية، كما كان الأمر عليه إبان تفشي وباء الأيدز، ومع أن هذه الشركات قد تلقت دعماً واسعاً وتمويلاً كبيراً من قبل دولها على حساب دافع الضرائب، إلا أنّها مع ذلك لا توفر إلا القليل من اللقاحات للدول الفقيرة عبر منظمة الصحة العالمية، أسعار هذه اللقاحات تبدو بمتناول اليد لمواطني هذه الدول إلا أنّها أكبر بكثير من قدرة مواطني الدول الفقيرة على دفع مقابل للحصول عليها، وعلى سبيل المثال قامت الدول الغنيّة بعمليات شراء مسبقة كبيرة للقاحات وخزّنت كميات تفوق الحاجة إليها، في أستراليا وكندا واليابان مثلاً، هناك أقل من 1٪ من حالات الإصابة بكورونا إلا أنّها احتجزت جرعات من اللقاحات أكثر من جميع دول أميركا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي وهي منطقة تتجاوز الإصابات بها 17٪!

والسؤال الذي يغيب عن هذا السياق، كيف استطاعت حكومة نتنياهو من الحصول على ما يزيد عن حاجتها من هذه اللقاحات، لدرجة عقدها صفقات مع دول فقيرة لتزويدها بهذا الفائض مقابل ثمن سياسي، في حين أنّها امتنعت عن القيام بالتزاماتها باعتبارها دولة احتلال بتزويد المواطنين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بحاجتهم من هذه اللقاحات ؟ والسؤال المتشعّب الآخر كيف تمكنت حكومة نتنياهو من الحصول على كل هذه اللقاحات بينما عدد من الدول الغنية الأوروبية وكذلك أميركا لم تتمكن حتى الآن من الحصول على ما يكفيها منها رغم حجزها لملايين الجرعات من اللقاحات ؟

إنّ تفشي هذه الوباء الذي يطال كل أصقاع العالم، يتطلب التوسّع في إنتاج اللقاحات، إلا أن تركيز هذا الإنتاج لدى الدول الغنية من خلال التمسك بحقوق الملكية الفكرية، لن يلبي الحاجة المتزايدة للقاحات على المستوى الدولي، الأمر الذي يطرح على العالم كله وخاصة المنظمة الدولية ومنظمة التجارة الدولية إعادة النظر بقوانين الملكية الفكرية لجهة تعديلها بما يمكّن بعض الدول التي تمتلك القدرة على إنتاج اللقاحات في العالم الثالث من إنتاج هذه اللقاحات لتلبية احتياجات مواطنيها بالأسعار المعقولة ■

تنزيل مفهوم القومية والأمة
على التجربة التاريخية والراهنة لحركة التحرر العربية

د. عابد الزريعي–مدير مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء/ تونس

بات مفهوم القومية والأمة حاضراً بكثافة في الجدل والنقاش السياسي، وذلك ارتباطاً بالأحداث العاصفة التي تمر بها المنطقة العربية، خاصة بعد بدء ما يسمى بثورات الربيع العربي.

وعلى الرغم من أهمية حضور التعريف القاموسي في مثل هذه النقاشات، إلا أن اتخاذها كمقياس مجرد تحاكم على أساسه مختلف القضايا، يقود غالباً إلى الخروج عن حدود الموضوع المعالج، بل والهدف الأصلي من هذه المعالجة، والمتعلق بانطباق تلك التعريفات من عدمها على واقع المنطقة، وبمعزل عن وقائع التطور التاريخي الذي شهدته، ذلك أن المفهوم خاصة السياسي والاجتماعي، المعزول عن سياقه التاريخي ليس له معنى محدد ضابط، إنه يشبه اللفظة المفردة في اللغة، التي وإن دلت على شيء إلا أن معناها يبقى رجراجاً وغير محدد، إلى أن توضع في سياق محدد، أي في جملة، عندها ينضبط المعنى وتتكشف دلالاته، ومعانيه بوضوح، وجملة المفهوم السياسي أو الاجتماعي هي السياق التاريخي الذي يندرج فيه، وخارجه يبقى دلالة عامة، لا ننكر فائدتها ولكنها فائدة غير مكتملة، وذلك لأن دلالة المفهوم ستتغير بالضرورة حسب الأمة التي يقاس عليها وتجربتها التاريخية.

أولا: تعريف أولي لمفهوم القومية والأمة والدولة

تستدعي عملية التعريف الانتباه إلى ثلاثة مفاهيم متلازمة، وهي مفهوم القومية والأمة، والدولة الأمة، هذه المفاهيم الثلاثة يستدعي كل منها الآخر، بحيث إن أي منها يفقد قيمته العملية إذا تم تناوله بشكل مجرد، وبداية يمكن تعريف القومية بأنها نسق من الأفكار والنظريات السياسية والحقوقية والدينية والأخلاقية والجمالية والفلسفية، ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي؛ يتحدد بالظروف المادية لحياة مجتمع من المجتمعات في مرحلة تاريخية من مراحل تطوره، ويرتكز هذا المفهوم على مجموعة من العناصر الأساسية، تتمثل في وحدة اللغة والتقاليد والتاريخ المشترك، بدلالاته الماضوية والمستقبلية، للمجموعة البشرية المكونة لذلك المجتمع، ومن الناحية التاريخية فتعود نشأته إلى أواخر القرن الثامن عشر، ثم اتخذ معناه الأكثر تحديداً خلال القرن اللاحق، وذلك في سياق مرحلة الانتقال من التشكيلة الاقتصادية – الاجتماعية الإقطاعية إلى التشكيلة – الاقتصادية الرأسمالية، وهي الفترة التي شهدت تشكل الدول الرأسمالية القومية، أما بالنسبة لمفهوم الأمة، فهو أكثر اتساعاً من مفهوم القومية؛ كونه يشير إلى بنية اجتماعية يتحقق فيها وبموجبها امتداد الأجيال المتعاقبة لمجموعة بشرية، ودوام روابطها الاقتصادية والثقافية والحضارية والجغرافية، ومصالحها الثابتة والمشتركة، بما يعنيه ذلك من استمرارية التكوين الجمعي المتراكم من الماضي السحيق إلى الحاضر والمستقبل، وبذلك تتبدى الأمة كبنية وصيرورة تاريخية، للعلاقة بين الأرض والجماعة، وكذلك تنتظم العلاقة بين المفهومين، كانتظام العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون؛ فالأمة هي

العودة إلى الفهرس

المضمون الموضوعي المتحقق في الوقائع التاريخية، فيما تتبدى القومية كشكلٍ للوعي بالأمة، يتلخص هدفه في تعزيز مصالح الأمة، والحفاظ على ثقافتها، ويتأتى ذلك من خلال دولة القومية أو الدولة الأمة التي تتجسد في منطقة جغرافية محددة، وتستمد شرعيتها السياسية من تمثيلها لأمة أو قومية مستقلة وذات سيادة، فإذا كانت الدولة عبارة عن كيان سياسي وجيوسياسي، ودولة القومية عبارة عن كيان ثقافي؛ فإن مصطلح دولة القومية يفيد التقاء وتوافق السياسي والجيوسياسي مع الثقافي والإثني معاً.

ثانيا: تنزيل التعريف في سياق التاريخ

تنزيل التعريفات السابقة على الواقع العربي المحدد يترتب عليه مجموعة من الاستنتاجات تتلخص فيما يلي:

أولا: الأمة العربية هي حصيلة ونتاج التراكمات التاريخية لكل الحضارات السابقة، بأبعادها الثقافية والاقتصادية، التي بناها الانسان وتجسدت كوقائع ملموسة على هذه الأرض، بمحدداتها الجغرافية المعروفة، والتي تتسم بالتواصل والانفتاح، على ضوء ذلك يبرز مفهوم التنوع ضمن الوحدة، وليس بديلاً لها، كما يتبدى الزيف العلمي لمقولات من نوع (الأمم والقوميات العربية المختلفة).

ثانيا: إن ظهور القومية العربية كحركة تحرر واستقلال قومي، من نير الإمبراطورية العثمانية تحت لواء الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، كان من الضروري أن يقود إلى تشكل أو قيام دولة الأمة العربية أو الدولة القومية العربية الواحدة؛ المستوعبة للتعددية والتنوع، بما يعنيه أن عروبتها ذات دلالات ثقافية أكثر من كونها ذات طابع عرقي.

ثالثا: إن التوافق التاريخي لظهور القومية العربية كحركة تحرر قومي، مع الانقضاض الإمبريالي على المنطقة، بهدف تقاسم تركة الإمبراطورية العثمانية، أو كما كانت تسمى في حينه بالرجل المريض، قد وضع الحركة القومية العربية في مأزق تاريخي، تعمق بتحالفها مع الطرف الإمبريالي الذي يرتهن تحقيق مشروعه، بمنع استكمال حركة التحرر العربية، لمهمتها في استيلاد وبناء دولة الأمة العربية، وخلاصها من نير الإمبراطورية العثمانية.

رابعا: إن اتفاقيات سايكس بيكو كأداة تقسيم، لم تكن أداة تقسيم لدولة عربية موجودة، وإنما أداة تقسيم لممتلكات امبراطورية منهارة، وبالنتيجة أداة منع ميلاد الوارث الحقيقي في الجغرافيا ذاتها أي تشكل دولة الامة العربية، والمفارقة الصارخة في هذا الجانب، أن المجتمعات الأوروبية التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية، قد تمكنت أو تم تمكينها من بناء دولها القومية بعد تفكيك الإمبراطورية العثمانية، بينما وضعت العراقيل أمام حركة التحرر العربية لمنعها من تحقيق هدفها.

خامسا: إن أداة سايكس بيكو كانت تمهد لأداة أخرى، وهي وعد بلفور لتتوافق الأداتان لميلاد الدولة القطرية العربية من ناحية، وإسرائيل من ناحية أخرى، والتي أوكلت لها مهمة الاستمرار في منع تشكل دولة الأمة العربية، وبالنتيجة بقاء الدول القطرية، التي تشكل كل منها جزء مقتطع من الدولة الأم، بتكويناته وتعدديته العرقية والثقافية، والتي يتم الاشتغال عليها من قبل القوى الاستعمارية ذاتها، لتعميق عملية التفتيت والتقسيم، وإيجاد الموانع الحاسمة في منع التشكل التاريخي للدولة الأمة، وذلك بتقسيم وتفتيت المكونات الأساسية للدولة القطرية الوطنية.

ثالثا: تنزيل التعريف في سياق الحاضر والمستقبل

إن التحديات التي واجهتها حركة التحرر العربية، في مرحلتها الأولى، تعيد إنتاج نفسها أمام حركة التحرر العربية في صيغتها المعاصرة، مضافاً إليها متغيرات عديدة، وتعقيدات جديدة، لعلّ أهمها أن صيغة التقسيم الأولى، قد تحولت إلى واقع تحميه مصالح قوى وطبقات اجتماعية، تشكلت في ضوء ذلك التقسيم، وارتبطت مصالحها به، وفي دفاعها عن هذه المصالح، ارتمت في أحضان القوى ذاتها التي انتجت التقسيم، وتحولت بذلك إلى عامل إعاقة محلي شديد الخطورة؛ الأمر الذي يستدعي مزيد التعمق في وعي الواقع وكيفية إدارة الصراع مع كل قوى الإعاقة، ذلك يعني أن حركة التحرر العربية في بناء تصوراتها ونضالها، من أجل بناء الدولة القومية الموحدة، كهدف استراتيجي، لا بد أن تقوم على أساس المشاركة في بناء مشروع مثل هذه الدولة، بما يعنيه ذلك من عدم استخدام العروبة كمرادف للقومية العربية. فالأولى انتساب مجرد عن المعنى السياسي، والثانية حركة وعي سياسي وأيديولوجي نضالي؛ لتحقيق أهداف واضحة ومحددة، تتعلق بمصير الأمة، بما تتضمنه من تنوع، لا سيما وأن التكوين العرقي والإثني للمنطقة في جوهرة تكوين تعددي، وذلك ارتباطاً بالعمق التاريخي والمدى الجغرافي للدولة الأمة المبتغاة، ومن الملاحظ أن هذه التعددية باتت مستهدفة الآن، ليست بهدف التفتيت فقط، وإنما لإنتاج صورة مشابهة، لصورة الكيان الصهيوني المزروع رغماً في جغرافية المنطقة، لذلك، فإن حركة التحرر العربية كبنية نضالية منوط بها أن تؤطر كافة الشرائح والقوى الممثلة لها، وتمكنها من التوحد على مشروع نضالي جامع مستند إلى تاريخ مشترك ويتطلع إلى مستقبل مشترك أيضاً، مشروع وعي جمعي تاريخي، يؤسس لتحقيق دولة الأمة على المدى الاستراتيجي، وذلك لا يتناقض مع المهام المدرجة على جدول أعمال كل فصيل من فصائل حركة التحرر العربية، على المستوى القطري، إذا ما توفر الوعي بضرورة الانتباه الدائم، إلى إيجاد العلاقة الجدلية بين ما هو لازم قطرياً بحكم الواقع القائم، وما هو لازم قومياً بحكم الواقع الهدف■

قراءات المقال

١ . حدادين، جورج: ٢٠١٦/٢/١٩ ـ الأمة والقومية
https://maysaloon.news
٢ . بدران، نزار: ١/٢٨/ ٢٠٢١ ـ مفهوم الأمة القومية
https://www.alquds.co.uk
٣ . مطر، سليم: ٢٠١٢/٣/١٢ ـ الأمة والقومية.. ما الفرق بينهما: نعم هنالك أمم وقوميات عربية مختلفة! الحوار المتمدن-العدد: ٣٦٦٥ - ٢٠١٢ / ٣ / ١٢ -
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٢٩٨٨٠٣
٤ . ويكيبيديا، الموسوعة الحرة
https://ar.wikipedia.org/wiki
٥ . محادين، موفق: ٢٠١٢/٢/٢٦ ـ الأمة هي بنية والقومية هي ايدولوجيا
https://www.almadenahnews.com/article/

الكيان الصهيوني:
نحو انتخابات خامسة أو تمكين لنتنياهو

أكرم عطا الله– كاتب فلسطيني– بريطانية

من أزمة إلى أزمة، ومن استعصاء إلى استعصاء أكبر، ومن يمين إلى يمين أشد، هكذا تسير الانتخابات الإسرائيلية التي دخلت مأزقا منذ عامين أجرت خلاله أربع انتخابات لم تفض إلى أي استقرار، وبات من الواضح أن الأخيرة أدخلت إسرائيل إلى نوع جديد من الأزمة.

يمين إسرائيلي منقسم على ذاته لا لأسباب سياسية، حيث أصبحت تلك عنواناً هامشياً في ظل الإجماع القومي على الاحتلال والاستيطان وغيره، وبات عنوان الانتخابات شعاراً وحيداً وهو تغيير نتنياهو أو بقاء نتنياهو، وبالرغم من زيادة كتلة اليمين الخالص والمتطرف إلى 72 مقعداً إلا أن المأزق المتجدد هو أن كلا الكتلتين تحتاجان للعرب سواء لبقاء نتنياهو أو لإزاحته وتلك تشكل خطوطاً حمراء لمزاج شعبي وسياسي بات أكثر رفضاً للعرب إلى الدرجة التي يفوز فيها حزب ترانسفيري «ايتمار بن عفير».

لاشك أن غياب البرامج السياسية للمتنافسين أعاد أو غير شعارات التنافس نحو قضايا اعتبرت هامشية، لتصبح المسألة تتعلق بزعيم حزب الليكود نتنياهو الذي تمكن خلال العام السابق من تصفية خصمه القوي حزب أزرق أبيض وزعيمه الجنرال بني غانتس، أعتقد أن تلك التصفية باتت تصب في صالحه في أية انتخابات قادمة، حيث غياب حزب مركز منافس مستغلاً قدراً من النجاح في الملف الصحي، إذ عمل بطاقة غير عادية حسب وصف مدير عام شركة فايزر «ألبرت بورلا» عندما استجاب حسب طلب الليكود لمقابلة مع «أخبار 12» بأن نتنياهو يتصل معه ثلاثين مرة في اليوم حتى الساعة الثالثة فجراً.

لم تحقق الانتخابات الأغلبية التي أرادها نتنياهو، اذ أفرزت النتائج حصوله هو وكتلته المكونة من شاس ويهدوت هتوراة، ويضاف إليهما يمينا على 59 مقعداً، وتلك لا تعطيه العدد الكافي لتشكيل حكومة الأمر الذي وضعه أمام خيارين، إما أن يستنجد بأحد الخصوم وهو ما بدأه منذ الليلة الأولى بعد أن أرسل ما يكفي من رسائل الغزل لنفتالي بينيت الذي كان يستجيب بسرعة شديدة، لكن هذا لم يكن كافياً لكنه بات يريد غيره لأن بينيت هو من يوصله إلى محطة ال 59.

الجنرال غانتس الذي حصل على ثمانية مقاعد والذي دفع غالياً ثمن انضمامه وخديعة نتنياهو له هذه المرة لن يفعلها، لأن هذا كان تعهده للجمهور في الحملة الانتخابية كأنه كان يقول «جربوني لن انخدع مرة أخرى»، لذا انتقل الغزل إلى حزب أمل جديد والذي شكله قبيل الانتخابات خصم نتنياهو في الليكود جدعون ساعر اليميني المتطرف، ولكن هذا الحزب رد بسرعة رافضاً الانضمام، فلم يبق أمام نتنياهو بعد إدراكه أن الجبهة التي تقف أمامه صلبة إلى درجة عدم إغرائها لأنها اعتادت على كذبه ومناوراته وخداعه للجميع.

بقي أمامه حزب القائمة الموحدة برئاسة الإسلامي منصور عباس الذي حصل على أربعة مقاعد وهو الرجل القريب من نتنياهو إلى الدرجة التي لم يصوت فيها ليلة سقوط نتنياهو ديسمبر الماضي بغرض إبقاءه، إذ يعتبر عباس أن مسار التصادم مع الحكومات الإسرائيلية ورفع شعارات القومية الذي رفعه العرب هو مسار خاطئ، وبالتالي يتحدث عن مقاربة جديدة وهي التقرب للحكومات الإسرائيلية وتجاهل الموضوع القومي والوطني بهدف الحصول على امتيازات وموازنات، صحيح أن هذا ما يريده نتنياهو وهو الفلسطيني الجديد الذي لا يتحدث عن الحقوق القومية ويقبل الحياة تحت السقف الإنساني الحياتي، ولكن لسوء حظ نتنياهو لابد أن يعتمد على واحدة من كتلتين متنافرتين «الصهيونية الدينية» برئاسة بتسلئيل سموتريتش وايتمار بن عفير أو منصور عباس وهنا مأزقه.

فالصهيونية الدينية لا تقبل مجرد النقاش في كتلة أو تكتل أو حكومة يمكن أن تعتمد على صوت عربي واحد، وقد حاول نتنياهو على سبيل البقاء جس نبض شركائه الجدد في الصهيونية الدينية لكن الجواب كان قاطعاً وحاداً.

التفتت في الجبهة المقابلة لا يقل عن وضع نتنياهو، حيث أن على الكتلة أن تعتمد إذا أرادت أن تشكل حكومة ليس على منصور عباس المستعد للتعايش مع خطاب أقل بل حتى تحتاج إلى المشتركة وهذا يزيد الأمر صعوبة على تلك الجبهة لأنها تحوي على كتلة ليست أقل تطرفاً وكراهية للعرب، وهي كتلة أمل جديد التي يقودها غدعون ساعر.

مأزق يبدو للحظة أن لا مخرج له وبالرغم من ضعف الحالة العربية وانشقاق القائمة إلى كتلتين وتدني نسبة التصويت وتدني عدد الممثلين من 15 إلى 10، إلا أنه لا يمكن تجاهل أنهم جزء رئيس من مأزق النظام السياسي في إسرائيل، والسبب ببساطة أن الأحزاب اليهودية في هذه المرحلة لا تريد إلا حكومة يهود فقط وهذا ما يمكن أو يجب التركيز عليه والترويج لكشف «ديمقراطية الدولة».

إذا لم يحدث تغير يصل حد المعجزة فإن الخيار الذي يتبدى حسب النتائج والاتصالات هو خيار الانتخابات الخامسة، فهل نحن في الطريق إليها أو أن نتنياهو الساحر سيتمكن أيضاً هذه المرة من إخراج أرنب الحكومة من جيبه كما كل مرة؟؟ هذه المرة الأمر أصعب من السابق!

العودة إلى الفهرس

ديمقراطية الكيان الصهيوني
التفاف على طابعه العنصري

محمد جبر الريفي – كاتب سياسي/ فلسطين

ما يقال عن علمانية الكيان الصهيوني وعن ممارسته للعملية الديموقراطية هو مجرد زيف وتضليل لكسب تعاطف واستمرار تأييد العالم الغربي الرأسمالي للمشروع الصهيوني، الذي من خلاله يتم الالتفاف على طبيعة الدولة اليهودية الدينية العنصرية التي تستمد سياستها من الفكر الصهيوني المغرق بالرجعية، والذي يعتمد على نصوص دينية توراتية وتلمودية مشكوك في صحتها؛ ذلك أن السياسة الصهيونية التي تتبناها وتمارسها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة؛ تنطلق من أن إسرائيل هي دولة اليهود، وفي القاموس السياسي الممارس، فهذا يعني الانتقاص من حقوق الأقلية العربية الفلسطينية، وعلى قاعدة هذا الطرح تبدو حالة التعارض في طابع الكيان الصهيوني بين العلمانية والديمقراطية من جهة، والتأكيد على الهوية الدينية وسياسة القهر القومي التمييزية السلطوية من جهة أخرى.

ما يقال عن علمانية الكيان الصهيوني وعن ممارسته للعملية الديموقراطية هو مجرد زيف وتضليل لكسب تعاطف واستمرار تأييد العالم الغربي الرأسمالي للمشروع الصهيوني، الذي من خلاله يتم الالتفاف على طبيعة الدولة اليهودية الدينية العنصرية التي تستمد سياستها من الفكر الصهيوني المغرق بالرجعية، والذي يعتمد على نصوص دينية توراتية وتلمودية مشكوك في صحتها؛ ذلك أن السياسة الصهيونية التي تتبناها وتمارسها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة؛ تنطلق من أن إسرائيل هي دولة اليهود، وفي القاموس السياسي الممارس، فهذا يعني الانتقاص من حقوق الأقلية العربية الفلسطينية، وعلى قاعدة هذا الطرح تبدو حالة التعارض في طابع الكيان الصهيوني بين العلمانية والديمقراطية من جهة، والتأكيد على الهوية الدينية وسياسة القهر القومي التمييزية السلطوية من جهة أخرى.

أما فيما يتعلق بعملية الانتخابات بين فترة وأخرى فهي تجري في الحقيقة داخل معسكر سياسي فكري واحد، وهو معسكر اليمين، وذلك بعد انحسار نفوذ حزب العمل الإسرائيلي؛ أحد أحزاب «الاشتراكية الدولية» الذي ساهم بدور أساسي في إقامة دولة الكيان الصهيوني، وظل مهيمناً على الحياة السياسية لفترة زمنية طويلة حتى فوز ما كان يسمي بحزب (حيروت) الذي كان يوصف بالصقور؛ بزعامة مناحيم بيجين الذي أصبح رئيساً للحكومة التي اعتبرت في حين تشكيلها متغيراً سياسياً نوعياً في الخارطة السياسية الإسرائيلية، وقد تعزز ذلك التغيير بما تم التوصل إليه مع نظام السادات بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد.

لأما فيما يخص اليسار الإسرائيلي، وبالتحديد الحزب الشيوعي (راكاح) الذي كان يضم في صفوفه بعضاً من مثقفي الأقلية العربية الفلسطينية، فإنه كان يفتقر وما زال لأي تحليل علمي للصهيونية كحركة استعمارية، أي أنه لا يواجه الصهيونية وكيانها العنصري التوسعي، إلا من خلال سياستها الخارجية؛ القائمة على مبدأ العدوان والتوسع، والمرتبطة بالمصالح الأمريكية والغربية، أما موقفه من المسألة الفلسطينية، فهو مع إجماع القوى السياسية الذي يقوم أساساً على التمسك بالمطالب الإسرائيلية، خاصة في قضيتي القدس واللاجئين، وهو موقف لا يختلف كثيراً عن موقف اليمين الإسرائيلي تجاه حل القضايا الجوهرية للصراع.

إن قراءة صحيحة للخارطة الحزبية الإسرائيلية يتبين لنا إنه منذ تتابع فوز (الليكود)، ثم إعادة انتخاب نتنياهو لأكثر من مرة كرئيس للحكومة الإسرائيلية، فإن الحياة السياسية في «المجتمع» الإسرائيلي غالبيتها أضحت من لون واحد وإن اختلفت التسميات؛ فنتنياهو رئيس حزب الليكود ورئيس الحكومة الحالي هو لا يختلف كثيراً عن جانتس رئيس حزب أبيض أزرق رئيس أركان سابق، والاثنان مثلهما مثل ليبرمان رئيس حزب البيت اليهودي، هكذا في المشهد السياسي الإسرائيلي الحالي لا فرق كبير يوجد بين الساسة اليهود الإسرائيليين الذين لهم تأثير وحضور سياسي، فكلهم عنصريون بعيدون عن جوهر الديموقراطية، وأما الانتخابات البرلمانية فهي لا تعدو كونها عملية صورية؛ تندرج في إطار المصالح السياسية والتنظيمية، تقوم بها الأحزاب الإسرائيلية، بهدف الوصول إلى السلطة السياسية لتحقيق مكاسب فئوية وشخصية في مجتمع يميني عنصري فاشي ونظام سياسي نازي لا يؤمن بالمساواة بين مواطنيه، حيث التمييز الصارخ بين العرب واليهود، بل وداخل الإسرائيليين اليهود أنفسهم بين الشرقيين والغربيين والفلاشا الإثيوبيين الأفارقة، وذلك لإيهام المجتمع الدولي؛ من خلال هذه العمليات الانتخابية خاصة القوى الديموقراطية في أوروبا والغرب بصفة عامة برقي وتحضر المجتمع والدولة الإسرائيلية، وأنها الدولة الوحيدة التي تعيش وسط عالم عربي متخلف؛ معاد للديموقراطية، تحكمه أنظمةٌ استبداديةٌ فاسدة، وهذه مقارنة عممتها الصهيونية العالمية للرأي العام في المجتمع الدولي عند تأسيس الكيان الصهيوني، وكانت بالفعل وراء اعتراف الاتحاد السوفييتي السابق وبلدان منظومة المعسكر الاشتراكي المنهار فور إعلانه في شهر مايو عام 1948، وذلك في إطار المراهنة السياسية والأيديولوجية عليه، بهدف تعميم الديموقراطية وتعزيز وجود القوى السياسية التقدمية واليسارية، خاصة منها الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية والشرق الأوسط ■

الانتخابات الإسرائيلية الرابعة في غضون عامين:

قراءة أولية في الدلالات والاحتمالات

م. تيسير محيسن– باحث وكاتب وعضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني/ فلسطين

مع فوز الديموقراطيين في انتخابات الرئاسة الأمريكية يبدو أن أشياء كثيرة في الخارطة السياسية لمنطقتنا (محاور ومصالح وتحالفات) سوف تتغير وتتكيف، أو سوف تغير وتكيف.

نتائج الانتخابات الإسرائيلية في شهر مارس/أذار الجاري سوف تعزز أو تعرقل عمليات التغيير والتكييف، أما الانتخابات الفلسطينية في مايو/أيار القادم فلن تكون أكثر من مجرد «موضوع»، سواء أجريت أو أجلت أو ألغيت، من بين موضوعات أخرى كثيرة لهذه العمليات.

في هذه المقالة سوف نتناول الانتخابات الإسرائيلية بالتحليل على أمل أن يكونَ المقال التالي حول الانتخابات الفلسطينية.

أحد أهم الأسئلة المتعلقة بمعالم سياسة إدارة بايدن الخارجية في الشرق الأوسط يتصل بما إذا كان سيتبع نهج سلفه باراك أوباما، أو يتبنى رؤية جديدة؛ سوف تتسم هذه السياسة عموماً بتغيير المسار، خاصة تجاه إيران وحرب اليمن، لكنها من غير المرجح أن تحدث تغييرات كبيرة في الوضع الراهن للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. طبعاً إدارة بايدن لن تعود إلى أوسلو ولن تتراجع سريعاً عن صفقة القرن، كل ما في الأمر مجرد إحياء تدريجي لدور واشنطن التقليدي كوسيط «غير نزيه» بين طرفي الصراع.

الانتخابات للمرة الرابعة في إسرائيل خلال عامين تؤشر على متغير رئيس؛ تزايد حدة الاضطراب في نظام الحكم والحاجة الملحة إلى إدخال تعديلات جوهرية عليه، هناك من يرى أن نتنياهو، المتهم بقضايا فساد، استطاع أن يجعل من هذا الاضطراب أداة سياسية داخلياً وخارجياً لتحقيق مآرب والنجاة من الملاحقة القضائية وتجنيب إسرائيل مزيد من الضغوط الخارجية، وخصوصاً من إدارة ترامب، كما تشير المعطيات، الانتخابات القادمة لم تعد تتمحور حول نتنياهو، إذ تحتل الأزمة الاقتصادية اهتمام الناخبين، ومن ثم تفشي وباء كورونا، تشققات المجتمع الإسرائيلي وأخيرا النووي الإيراني.

بعد ثلاث جولات انتخابية في غضون عامين، يبدو أن بعض «الحقائق» أو الاتجاهات بدت تطفو على سطح السياسة الإسرائيلية: تنامي الشعور بالقلق في أوساط إسرائيلية يسارية بخصوص مستقبل «الديموقراطية» في إسرائيل، اليمين يزداد قوة، لكنه يعاني من اختلافات تتعلق بالموقف من رئيس الوزراء نتنياهو، تتنامى الأهمية النسبية لقضايا المجتمع والاقتصاد وإلى حد ما الأمن، مع بقاء الولاء الحزبي على حاله حتى مع ظاهرة تفكك القوائم المشتركة أو الخروج من الأحزاب وعليها، البعض يرى أن الأزمة متعددة الأبعاد تهدد الاستقرار الاقتصادي والسياسي وتفاقم شروخ المجتمع؛ وأنها لم تبدأ مع كورونا أو بسببه، لكن الوباء كشف وعمّق نقاط الضعف القائمة وزاد عليها.

من المفيد الإشارة إلى موقف نتنياهو واحتمالات نجاحه بعد انسحاب ساعر وتنامي المعسكر المناوئ له، استمرار التظاهرات ضده، تهديد المحاكمة بتهم الاحتيال والرشوة وخيانة الأمانة.

كان الاعتقاد أن المحدد الرئيس في الانتخابات سيكون الموقف منه (مع/ ضد)، في الواقع هذا كان صحيحاً في الانتخابات الثلاثة الفائتة، اليوم ثمة قضايا اقتصادية واجتماعية أخرى تتقدم، الغريب أنه حسب الاستطلاعات، فإن فرص نتنياهو مازالت قائمة؛ فالناخب الإسرائيلي من اليمين والجمهور العادي لا ينسى إنجازاته: التطبيع العربي، تراجع القضية الفلسطينية، أنشطة الموساد ضد إيران، الحصول على لقاح ضد كورونا وحصول إسرائيل على المرتبة الأولى في التطعيم عالمياً، وتسجيل حضور دولي قوي، بالرغم من اتهامات خصومه من يسار الوسط ومن أنصار حزب «أمل جديد» و«إسرائيل بيتنا»، بتوظيف المنح المالية المقدمة في ظل جائحة كورونا لأغراض سياسية انتخابية، وأن الإغلاق الثالث لم يكن لأسباب صحية، وإنما أيضاً لأغراض سياسيّة، وأنه تعمد عدم إقرار الميزانيّة حتى يذهب إلى انتخابات رابعة، على أي حال، دعونا نستعرض بعجالة

العودة إلى الفهرس

بانوراما القوائم والكتل الانتخابية:

من أبرز الظواهر في الحملات الانتخابية منذ تسعينيات القرن الماضي، وخاصة في عامي 2019 و2020، تعدد القوائم المشتركة، في انتخابات الكنيست (مارس) 2020، تم انتخاب قوائم تمثل 19 حزبٍ؛ اليوم تشهد الظاهرة تراجعاً واضحاً بعد أن أثبتت عدم جدواها وإمكانية استمرارها.

انتهى ماراثون تشكيل القوائم الانتخابية إلى 14 قائمة لديها فرصة لتجاوز نسبة الحسم 3,2% : 7 منها تنتمي إلى اليمين (قومي، ديني، متطرف)، تنتمي إلى معسكر يسار الوسط، قائمتين عربيتين؛ هذه القوائم هي: الليكود، شاس، يهوديت هتوراة، يمينا، إسرائيل بيتنا، أمل جديد، الحزب الصهيوني الديني، العمل، أزرق أبيض، ميرتس، الحزب الاقتصادي، يش عتيد، القائمة الموحدة، القائمة المشتركة.

حسب نتائج الاستطلاعات، من المحتمل أن يحصل تحالف نتنياهو على 50 مقعداً، بينما يمكن أن يحصل معارضوه على 59 مقعداً، بمن فيهم «أمل جديد» و«إسرائيل بيتنا»، أما يمينا فتحصل على 11 مقعدا، وبذلك يتراوح عدد المقاعد التي يحصل عليها اليمين القومي والديني مجتمعاً ما بين 75-78 مقعداً، ويحصل يسار الوسط على 33 مقعداً، كما يتراجع التمثيل العربي من 15 عضواً إلى ما يتراوح بين 9-12 فقط.

نظرياً، بمقدور نتنياهو أن يشكل حكومة لكنه بحاجة إلى دعم «يمينا» والقائمة الموحدة، وإن كانت قوة المعسكر المناوئ له تبدو أكبر، لكن لا يوجد قاسم مشترك بين جميع مركباتها، باستثناء السعي لإنهاء حكمه؛ نفتالي بينيت لم يعلن بعد انضمامه إلى أي من المعسكرين، ويشترط تولي رئاسة الوزراء في حال انضمامه للمعسكر المناوئ، اللافت أن نتنياهو مازال يتقدم على منافسيه في كل استطلاعات الرأي (ساعر، لبيد، بينيت) على منصب رئيس الوزراء.

في الطريق إلى الانتخابات الرابعة انشق جدعون ساعر عن الليكود، وشكل حزب «أمل جديد» (يمين قومي علماني)، يركز حزب «يش عتيد» برئاسة يائير لبيد على القضايا الاجتماعية والمدنية وقضايا النظام وبدرجة أقل على قضية الأمن؛ ينتمي الحزب إلى الوسط، ويشكل العلمانيون معظم أنصاره وممن ينوون التصويت له.

يتوقع أن يلعب «يمينا»، الذي يرأسه نفتالي بينت، دوراً مقرراً في مصير

نتنياهو بانضمامه لأحد المعسكرين؛ تأسس الحزب قبيل انتخابات (2019) كقائمة مشتركة من ثلاثة أحزاب: «اليمينً الجديد» بقيادة بينيت و«الاتحاد الوطني» بقيادة بتسلئيل سموتريتش، و«البيت اليهودي، وتفكك التحالف بعد انسحاب الاتحاد الوطني وتشكيل الحزب الصهيوني الديني، كما قرر «البيت اليهودي» عدم خوض الانتخابات،

بينما لم يطرأ تغييرٌ كبيرٌ على «إسرائيل بيتنا» (ويجمع في رؤيته بين توجهٍ يميني متشدد سياسياً وأمنياً واقتصادياً، وبين توجه علماني مدني تجاه طبيعة الدولة والمجتمع)، وكذلك يهوديت هتوراة، وشاس، وميرتس؛ مني أزرق أبيض بفشل سياسي كبير (بعد حوالي شهر من الانتخابات الثالثة، تفكك الحزب إلى 3 مكونات: يش عتيد، تيلم وفصيل غانتس الذي استمر يحمل ذات الاسم.

لم تعد المشاركة في الانتخابات تثير جدلاً واسعاً في أوساط فلسطينيي 48، لكن ظهرت أخيراً خلافاتٌ حول طبيعة وغرض المشاركة: هل فقط تحسين فرص الوصول إلى الخدمات والموارد أم الدفاع عن القضايا القومية الجماعية أيضا؟

بعض التطورات الأخيرة (مأزق نتنياهو،..) فتحت مساراً يهيئ لشرعنة «الصوت العربي» من قبل الأحزاب الصهيونية، وصولاً إلى الشراكة في الائتلافات الحكومية؛ كان نجاح القائمة المشتركة سابقاً نبه إلى الإمكانات الحرجة لهذا الصوت، وسؤال الشرعية، وفرص الشراكة، واللافت أنه مع هذا التطور، تنشطر القائمة المشتركة ويندلع نقاش حاد ويخرج منصور عباس على الاجماع، مغازلاً نتنياهو، ورافضاً للاتفاق مع «المشتركة» على فائض الأصوات؛ الأمر الذي يصب في مصلحة اليمين، ويضعف من الإقبال العربي على المشاركة في الانتخابات.

لم يقتصر الأمر على نتنياهو، فها هو لبيد يعلن أنه يمكن أن يشكل ائتلافا مع ممثلي الكتل العربية؛ يبقى التساؤل هل التحول لدى الطرفين يعتبر تحولاً حقيقياً أم إنه مجرد مناورة، هل يضع حداً للاستبعاد المتبادل؟ ثمة من ينبه لمخاطر الاتجاه الاندماجي من الطرفين ولأسباب مختلفة: قد يندفع اليمين المتطرف إلى تصعيد ممارساته العنصرية ضد العرب، ربما يكون ثمن التحول «التنازل» عن دعم فلسطينيي الضفة وقطاع غزة وتبني قضاياهم والدفاع عنها.

وكما في كل انتخابات، يثار تساؤلٌ عن مدى تأثير الصوت العربي؟ في الواقع، يشكل فلسطينيو 48 ممن يحق لهم التصويت 15% من إجمالي عدد الناخبين في إسرائيل، ما يؤهلهم، نظرياً، للحصول على 18 مقعداً. التمثيل البرلماني البارز مع النضال خارج البرلمان من شأنه أن يحقق بعض مطالب الجمهور العربي، ويجبر صانع القرار الإسرائيلي على الاستماع إلى صوته، وبذلك ينتقل الفعل السياسي لفلسطينيي 48 من مجرد الاحتجاج إلى التأثير (عبر امتلاك السلطة).

تنشط في أوساط فلسطينيي 48 تعدديةٌ حزبية مستقلة ووطنية وشاملة؛ في غضون ذلك يمكن الحديث عن مجتمع سياسي ومدني عربي يعبر عن تطلعات قومية ومدنية، في قمة هذا المجتمع قادة ملهمون، مثقفون، يمتلكون مهارات القيادة ولا تنقصهم الحنكة، ورغم اختلاف مرجعياتهم الأيديولوجية ومواقفهم السياسية، إلا إنهم تمكنوا من تدشين أولى لبنات الوحدة والشراكة■

أزمة العلاقة الأميركية السعودية
والحل الممكن قبل فوات الأوان

محمد أبو شريفة– كاتب سياسي فلسطيني/ سوريا

منذ أن تسلم جو بايدن رئاسة الولايات المتحدة الأميركية، بدأت تظهر ملامح سياسته الخارجية المغايرة لسلفه ترامب، وبالرغم من أن تلك الملامح ما تزال أسيرة الدبلوماسية الخفية، إلا أنها تمتلك حالياً مفاعيل سحرية في منطقتنا، وعلى ما يبدو أن الدول الإقليمية (السعودية، مصر وتركيا)، بدأت بتطويع سياساتها مع مختلف القضايا الإشكالية لتتلاءم مع متطلبات الإدارة الأميركية الجديدة، والتي طالت عديد ملفات الصراع في المنطقة؛ ابتداءً بالملف اليمني، ومروراً بالملف الليبي والسوري وبرنامج إيران النووي، وليس انتهاء بملف المصالحة الخليجية، والذي يشهد انعطافة مفاجئة بمسار العلاقات الأميركية السعودية وممارسة الضغط الدبلوماسي الشديد على الرياض، والتي اتخذت بدورها بعض التغييرات الدراماتيكية لمجاراة تلك السياسة؛ سواء على الصعيد الداخلي (إطلاق سراح بعض سجناء الرأي)، أو على الصعيد الخارجي؛ محاولة تبريد العلاقات الخارجية مع مختلف الدول التي كانت تشوبها أجواء من التوتر والاضطراب.

وتعاني السياسة السعودية اليوم مأزقاً شديداً مرده اعتمادها السابق اعتماداً كلياً على إدارة ترامب، بحيث أهملت علاقاتها مع مختلف دول الإقليم لصالح، هذه العلاقة التي انتهت برحيل ترامب، وبقيت السياسات السعودية تواجه مخاطر نهجها، والذي يمكن تكثيفه بعنوان ما مدى قبول الإدارة الأميركية الجديدة بولي العهد السعودي محمد بن سلمان ؟، حيث كان مثار نقاش وجدل لدى الإدارة الأميركية الجديدة، والتي حسمت أمرها بتصريحات المتحدثة الجديدة للبيت الأبيض جنيفر ساكي بأن نظير الرئيس بايدن هو الملك سلمان، وليس ولي العهد الأمير محمد بن سلمان؛ الأمر الذي يعكس تجاوز بايدن لمرحلة ترامب في العلاقة مع السعودية وطي صفحة الاهتمام، والدعم الأميركي الذي كان يحظى بها ولي العهد من ترامب.

وإلى الآن لم تفصح الإدارة الجديدة عن هذا الموقف، فيما يقود محمد بن سلمان دبلوماسية مكوكية مع الكثير من الدول العربية والإسلامية ليظهر نفسه في النهاية أنه من يقود الاوركسترا في المنطقة، حيث استقبل في الأسابيع الماضية الكثير من الزعماء من ماليزيا والأردن والسودان والبحرين وروسيا، وتم مناقشة الكثير من القضايا ذات الطابع السياسي والاقتصادي وإطلاق الوعود باستثمار مليارات الدولارات في الكثير من البلدان، ومع هذا، فإن مأزق بن سلمان يبدو أكبر بكثير من أن يُغطى باستثمارات مالية، وتلك المحاولات لم تعط أكلها مع الإدارة الأميركية الجديدة حتى هذا الوقت؛ فهي تفرق بين النظام السياسي في السعودية وشخص بن سلمان وتتعاطى بإيجابية مع النظام السياسي السعودي وتنتظر من بن سلمان أن يتفهم رؤية الإدارة الاميركية الجديدة قبل فوات الأوان، وأن بايدن ليس بوارد تجاهل ثقة الناخب الأميركي الذي أعطى صوته لشعارات القيم الأميركية من سيادة القانون والديموقراطية وحقوق الإنسان، ولن يكون باستطاعة إدارته تجاوز ما تنتمي إليه من شعارات، وهي تسير بعلاقاتها مع حلفاء في المنطقة يضربون عرض الحائط بكل منظومة القيم ومبادئ حقوق الإنسان والحريات العامة، وبالتالي لم تتخل هذه الإدارة في خطاباتها وتصريحاتها عن معايير القيم الاميركية وهي تنسج علاقها مع السعودية، مما شكل عقدة منشار بينهما فلا الرياض تستطيع تلبية مطالب واشنطن ولا الإدارة الديمقراطية بصدد غض الطرف عن السعودية، وأن تفعل ما يحلو لها داخليا وخارجيا.

في مشهد كالسابق، يبدو أن واشنطن ستواصل الضغوط على محمد بن سلمان، بهدف تضييق الخناق عليه وإخراجه من الحكم، وربما يكون نشر تقرير استخباراتي أمريكي حول مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي أول الخطوات في هذا الشأن، ولكن في الوقت ذاته لن تعدم الوسيلة للتواصل معه وإبقاء الباب مواربا وستنشط بالتواصل مع دوائر سعودية مالية واقتصادية وأمنية وسياسية لفتح ثغرات من حوله؛ فالمصالح الأميركية في السعودية، والتي يتوجب الحفاظ عليها تفرض خيارات عديدة، سيما أن واشنطن أكدت مراراً وتكراراً استعدادها وجاهزيتها للحفاظ على أمن السعودية وسلامتها في وجه المخاطر والتهديدات الخارجية، حيث ستبقى الولايات المتحدة على ذات النهج الدبلوماسي في حلول بعض أزمات المنطقة من دون مراعاة الموقف

العودة إلى الفهرس

السعودي، حتى وإن كانت الحلول تتعارض مع الحسابات السعودية، وفي هذا السياق عملت إدارة بايدن على تجميد صفقة أسلحة للسعودية تقدر بنصف مليار دولار، وتسعى لإيجاد حل تفاوضي للملف النووي الإيراني، بما يحمله من تأثيرات وتحديات إقليمية ودولية، وأيضا تصر على تفعيل المسار الدبلوماسي للأزمة اليمنية، وتأكيدها على استبعاد الحل العسكري لهذه الأزمة التي يراها الرئيس بايدن بأنها كارثة إنسانية أدت إلى مقتل أكثر من مئة ألف يمني، ونشر المجاعات والأوبئة ومبادرتها أيضا إلى رفع جماعة أنصار الله الحوثية من قوائم الإرهاب، وتفعيل التواصل غير المباشر معها، وفي الملف الليبي اجتمع الخصوم والأعداء برعاية الدول الإقليمية الداعمة لهم وفتحوا صفحة جديدة من العمل السياسي الذي أنضج حكومة وحدة وطنية، أما على صعيد ملف الحرب في سوريا، فقد انبثقت تصوراتٌ جديدة لقوى الإقليم الفاعلة في هذا الملف، والملاحظ هنا أن السياسة العامة للإدارة الأميركية الجديدة؛ تلتزم خطاً بيانياً واضحاً عنوانه تجميد تلك الحروب نهائيا.

وهنا يلاحظ أن معظم الدول أعادت موضعة سياساتها داخليًا وخارجياً في انتظار الإشارات الأميركية لها بفتح عصر جديد بعيداً عن التوترات والصراعات الدموية، بينما تبقى السعودية محط الأنظار، باعتبارها الدولة الأوفر حظاً على مستوى الجغرافيا السياسية وصاحبة الدور القيادي في الخليج والعالمين العربي والإسلامي والمصدر الأول للنفط والطاقة في العالم، لذلك من المرجح أن تنقشع غيمة التوتر بين السعودية وأميركا رويداً رويداً؛ بسبب المصالح المشتركة التي تجمع الطرفين من ناحية، ومن الناحية الأخرى يدرك البيت الأبيض أن ثمة جذور عميقة لابن سلمان في السلطة، وليس من المنطقي تجاهله، وبالمقابل لا يمكن للسعودية الاستغناء عن واشنطن كحليف دفاعي واستراتيجي، لهذا تتمحور مساعي بايدن؛ بإعادة ضبط العلاقة وتوظيف الضغوط على السعودية بما يتناسب وحجم التنازلات في ملفات إقليمية تصب في نهاية المطاف بمصلحة الولايات المتحدة الأميركية داخلياً وخارجياً■

«الحملة الفلسطينية» تدعو لمقاطعة جميع أنشطة «Oblong» الإيطالية في دبي

دعت الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لـ«إسرائيل» (PACBI) اليوم الاربعاء، الفنانين والجماهير في المنطقة العربية إلى مقاطعة كافة معارض وأنشطة صالة عرض «Oblong» الإيطاليّة في دبيّ، وذلك بسبب تنظيم القائمين عليها لأوّل معرض لثلاث فنانين «إسرائيليين» في الإمارات على الإطلاق. علمًا أنه «من المقرر أن يفتتح المعرض غداً، 2-3-2021 ويستمر حتّى 20-5-2021».

وأكدت الحملة على أنّ تنظيم معرض كهذا على أرض عربية يعني تواطؤ صالة العرض المذكورة في تنفيذ اتفاقية العار والتطبيع بين النظام الإماراتي و«الإسرائيلي»، وهو ما يستدعي الدعوة إلى مقاطعتها بناءً على النداء الذي أطلقته أحزاب ومنظّمات حقوق الإنسان ونقابات وأطر المجتمع المدني العربي عموما والفلسطيني خصوصاً.

وأضافت: «يدّعي القائمون على الصالة أنّها مساحة تسمح للفن والثقافة والتواصل بين الشعوب، دون حدود» معقبةً على ذلك :«لكنّ إقامة أوّل معرض لفنانين إسرائيليين في المنطقة، ما هو إلّا محاولة إضافية لنقل التطبيع من المستوى الرسميّ إلى المستوى الشعبي الذي كان وما يزال يرى في نظام الاستعمار الاستيطاني والأبارتهايد الإسرائيليّ عدوّه الأول على الرغم من كل محاولات قمع وتكميم الأفواه الرافضة. إنّ الفن حين يخدم أجندات تطبيع الاستبداد والاستعمار يصبح سلاحاً بيد أنظمة الاستبداد والاستعمار».

ولفتت إلى أنّ العدوّ «الإسرائيلي» يستغل كافة المجالات مثل الرياضة، والسياحة، والفن، والثقافة وغيرها في محاولاته للتغطية على جرائمه ضد شعبنا الفلسطينيّ وشعوب المنطقة العربية كافة وتحسين صورته المتضررة عالمياً بسبب سقوط قناعه ليكشف وجهه الاستعماري الحقيقي وبفعل حملات المقاطعة الآخذة في التوسع.

وفي هذا السياق قالت : «بعد توقيع نظام الإمارات على اتفاقية العار مع إسرائيل، وقمعه المستمر لكل من عارض هذه الخيانة، بات بإمكان النظامين (الاسرائيلي والاماراتيّ) توظيف الرياضة والفن والأكاديميا في التغطية كذلك على تحالفاتهما العسكرية والأمنية التي لن تجلب سوى الدمار والقمع لشعوب المنطقة العربية».

وفي ختام بيانها، جددت دعوتها للأشقاء الإماراتيين ورعايا الدول العربية الأخرى في الإمارات (مع مراعاة حساسية وضعهم) لمقاطعة كافة الأنشطة التطبيعية ورفض كافة محاولات توريطهم واستغلالهم في سبيل تمرير أجندات سياسية لا تخدم سوى مطامع النظام وعدوّهم في المنطقة■

حدود التباينات بين واشنطن وطهران..!

محمد صوان– كاتب سياسي فلسطيني/ سوريا

تأرجح الخلاف الأمريكي – الإيراني بين التصعيد والتهدئة، في ضوء التجاذب الخطابي بين الجانبين، ولكون التصعيد وصل إلى حد التلويح الرمزي تارة، والتصريح المباشر تارة أخرى، باللجوء للخيار العسكري، فإن قراءة المستجدات تشي بأن الجانبين ماضيان نحو الجلوس إلى طاولة المفاوضات، وحسم الجدل حول النقاط محل التباين بينهما، سواء جرى هذا التفاوض سرا، كما في عهد الرئيس الجمهوري بوش الابن عام 2001، أو علنا كما هو في عهد الرئيس الديمقراطي الأسبق أوباما عام 2012.

تحدث الرئيس الأمريكي جو بايدن في مقابلاته وتصريحاته الصحفية التي تلت فوزه بإدارة البيت الأبيض، عن رغبته في التفاوض مع طهران، وعدم استثناء خيار العقوبات، وبدا أن فرض العقوبات أو التلويح فيها هما طريقة بايدن المفضلة لجذب الأطراف المعنية نحو الحوار مستغلاً في ذلك خبرته كنائب للرئيس الأسبق أوباما، وقال في معرض رده على سؤال خلال مقابلة تلفزيونية مع «C N N» بمناسبة مرور خمسين يوماً على وجوده في البيت الأبيض، بشأن ما إذا كان سيفرض عقوبات إضافية ضد طهران أم لا ؟! «الاحتمالُ وارد» إلا أنه عاد وأكد ؛ رغبته في الحوار مع طهران بشأنِ برنامجها الصاروخي والنووي، قائلاً : «أفضّل مبدأ التحاور»..!

في طهران بدت النخبة المتنفذة سياسياً أكثر انفتاحاً لإجراء مفاوضات مع واشنطن، وهو الأمر الذي تدركه الإدارة الأمريكية تماماً، لذلك قال رئيسها في نفس المقابلة : «لا أحد يريد أن تحدث أشياءٌ فظيعة ؛ فطهران لديها فرصة للعودة إلى الاندماج بالمجتمع الدولي في ظل الإدارة الحالية»، وقد فهم من هذا التصريح إنه مسوّغ أمريكي للمرشد خامنئي لدخول حكومته مرحلة تفاوض على اتفاق تكميلي للاتفاق النووي «5 + 1» عام 2015، أو الجلوس المباشر مع الرئيس الأمريكي، على غرار التجربة مع كوريا الشمالية .

على هذا النحو، ووفقاً لهذه الطريقة في التفكير، ذكرت مديرة مجلس الأمن القومي لشؤون الشرق الأوسط : «إن الرئيس بايدن يقترح صراحة عقد لقاء مع القيادة الإيرانية لإقناعها بتغيير سلوكها إزاء دول المنطقة، وامتثالها لعدم زيادة نسبة التخصيب لليورانيوم».

يتضح من خلال هذه التوجهات أن المسار المزدوج للإدارة الأمريكية هو التلويح بالعقوبات، والدعوة للتحاور، على أساس أن العقوبات ليست هدفاً في حد ذاتها، لكنها أداةٌ لجذب الطرف الآخر وإرغامه على المفاوضات في وضعية لا تسمح له بتحسين مخرجات الاتفاق النووي السابق، علاوةً على ما سبق، تنصح مراكز البحث والفكر الأمريكية بوجوب فتح قنوات اتصالٍ مع طهران، خشية التصعيد غير المحسوب، بحيث لا تنساق واشنطن وراء رغبة بعض الأطراف في «الحسم العسكري»، ومن شأن غياب قنوات تواصل فعالة أن يجعل من الصعوبة بمكان الحَد من التصعيد بشكل مجدٍ، وعليه، فإن التفاوض هو الحلُ الأنجعُ لمنع تدحرج الأمور إلى مواجهة عسكرية غير محسوبة العواقب .

في الاتجاه نُفسه أبدت طهران رغبتها بالتفاوض، لكن على طريقتها الخاصة، مستخدمةً قدرتها على الصبر لتحسين شروط التفاوض، لذلك تحدث مسؤولون إيرانيون عن انفتاح طهرانٍ على الجلوس إلى طاولة المفاوضات مرة أخرى مع واشنطن، بيد أن هذا الانفتاح مقرونٌ بشرطين : الأول وقف الحرب الاقتصادية، المتمثلة في العقوبات، والثاني أن يكون الحوار علنياً .

– الاتجاه الأول : نادى به وزير الخارجية محمد جواد ظريف، عندما رهنَ المفاوضات بـ «رفع العقوبات»، مشيراً إلى أن معيار طهران لتقييم دعوة وزير الخارجية الأمريكي «أنطوني بلينكن» للتفاوض هو «وقف الحرب الاقتصادية على بلاده».

العودة إلى الفهرس

- الاتجاه الثاني: نادى به رئيس لجنة الأمن القومي في مجلس الشورى الإسلامي الذي حدد شرط التفاوض مع واشنطن، بعدم تحويل المحادثات إلى «سرّية»، وقال: «إن إيران في وضع يسمح لها بالتفاوض العلني مع واشنطن، لكن تحريم التفاوض يضع مصالح الأمة الإيرانية بأيدي الحكومات الغربية، ويجعل الصهاينة جزءاً لا يتجزأ من السياسة المعادية لإيران».

أيضاً، فإن المرشد خامنئي قدم مسوغاته لإدارة الرئيس بايدن للحوار، على سبيل المثال؛ رد المرشد على أحد أهم الانتقادات التي يوجهها المسؤولون الأمريكيون لدور النظام الإيراني في الإقليم وانشغاله على الدوام بتصدير الثورة، فقال في كلمته بمناسبة الذكر الـ 32 « لرحيل سلفه المرشد الخميني: «إن إيران لا تسعى لتصدير الثورة إلى الدول الأخرى، كما إننا لا نريد تصدير الثورة؛ ففكر المقاومة تجاوز الحدود الإيرانية، والشعوب الأخرى تبنّته».

حسابات الأطراف الوسيطة

تدرك الدول ذات العلاقات الثنائية مع كلٍ من طهران وواشنطن؛ أن الأخيرة في ظل إدارة بايدن لا تسعى إلى الحرب، بل إلى التفاوض، ونظراً لمصالح تلك الدول مع كلا الطرفين، فإن هذا الإدراك يشجعها على لعب دور الوساطة وتقريبهم إلى طاولة المفاوضات، خاصة وأن هناك انقساماً في الكونغرس الأمريكي، حول ما يجب أن يكون عليه التصعيد، بين من يدفعون نحو المزيد من العقوبات والردع، ومن يكتفون بالضغط للتوصل إلى اتفاق جديد حول البرنامج النووي، والبالستي، والدور الإقليمي لإيران.

إن التوجه الرسمي للإدارة الحالية، بحسب تقديرات مراكز البحوث والدراسات الأمريكية، هو أن تغيير النظام ليس مطروحاً على جدول أعمال الإدارة الأمريكية، وأن الرئيس بايدن معنيّ بإعادة إيران إلى طاولة المفاوضات، من أجل توقيعها على اتفاق جديد يشمل دورها الإقليمي، خاصة في اليمن، سوريا، لبنان، والعراق، إلى جانب البرنامجين النووي الاستراتيجي والصاروخي البالستي بطبيعة الحال.

كما أن هناك معلومات لدى عدد من الدول الإقليمية حول أنّ المفاوضات قد بدأت بالفعل بين الجانبين، على سبيل

المثال قال وزير الخارجية الإماراتي عبد الله بن زايد، في رده حول ما إذا كان التصعيد بين طهران وواشنطن مشابهاً لما سبقه في كوريا الشمالية، والذي أدى إلى طاولة التفاوض: «إن تلك التجربة كانت ناجحة»؛ معرباً عن أمله في أن تكون الحالة الراهنة مشابهة لتلك الحالة، مضيفاً: «على ما يبدو، فإن المفاوضات بين الطرفين قد بدأت، وهناك اتصالات وتحركات في هذا السياق»، مستشهداً بالزيارات المكوكية لوزير الخارجية العماني بين واشنطن وطهران، وقد كشفت الزيارات المكثفة بين المسؤولين من ألمانيا، سويسرا، باكستان، فرنسا، سلطنة عمان، قطر، الكويت، والعراق عن رغبات تلك الدول في لعب دور الوسيط ونزع فتيل الأزمة.

يمكن القول أن اليابان من أكثر المهتمين بإحلال التسوية بين واشنطن وطهران، بسبب اعتمادها على النفط الإيراني، وقد عبرت طوكيو مجدداً عن استعدادها لاستئناف الوساطة التي قامت بها في أيار 201، بالرغم من رفض المرشد خامنئي حينها تسلم رسالة الرئيس الأمريكي السابق ترامب التي حملها رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي إلى طهران، وقوله: «إن ترامب لا يستحق الحوار»، إلا أن ذلك لا يعني عدم استئناف المحاولة، ففي كل التجارب السابقة كان الخطاب الرسمي للمرشد على المنوال نفسه، ثم يواصل دبلوماسيو طهران المفاوضات مع واشنطن، كما كان الحال في مفاوضات ظريف – أولبرايت خلال رئاسة خاتمي، ثم في مفاوضات ظريف – كيري في عهد روحاني.

دروس الخبرة التاريخية

تشير الخبرة التاريخية مع النظام الإيراني إلى أنه لا يمكن بناء تصوّر وقراءة حقيقية لطبيعة صناعة السياسة الخارجية من خلال المواقف المعلنة فقط، لكن من خلال وعبر تحليل نمط التصريحات، إلى جانب تحري العامل التاريخي كمحدد لفهم طريقته الخاصة في صنع القرار واتخاذه، ذلك أن كلّ رفض علني للتفاوض أو الإقدام على اتخاذ قرار ما، يعني أن هناك تحركات عكسية سرّية للمضي قدماً في تنفيذ عكس ما يتم الإعلان عنه.

على سبيل المثال يشير تاريخ الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى أن النظام السياسي لديه قدرة استثنائية على الاستمرار والبقاء، وأنه كلما تصاعدت الضغوط الخارجية عليها، بحيث يمكن لها أن تعرّض استقرارها الداخلي للخطر، نجد النخبة القيادية تبحث عن وسيلة للتخفيف من تبعات تلك الضغوط ومن التكاليف المرتبطة بها على المدى القريب والمتوسط، هذا بالتحديد ما حدث في التجارب السابقة، عندما قررت إيران إنهاء الحرب مع العراق عام 1988، من خلال استراتيجية «كأس السم» التي تجرعها المرشد الخميني وقتها، ولجوئها إلى وقف سلسلة اغتيال المعارضين في أوربا بتسعينيات القرن الماضي، عند تهديدها بالعقوبات الأوروبية والأمريكية، وعرضها تسوية نووية عام 2003، أي بعد الغزو الأمريكي للعراق مباشرة، حين استشعرت طهران أنها ستكون التالية بعد بغداد، ثم عام 2012 عندما وافقت إيران على التواصل مع واشنطن عبر قنوات خلفية، بعد أن علمت أن إدارة الرئيس الأسبق أوباما تدرس تشديد العقوبات على البنك المركزي الإيراني، رغم التسهيلات التي كان يحصل عليها الأوروبيون..!

نستخلص مما سبق؛ أن عوامل ذهاب طهران وواشنطن إلى مفاوضات مباشرة لخفض التصعيد، وحلحلة العقدَ المعلقة بينهما تبدو أكبر من عوامل التصعيد واللجوء إلى المواجهة العسكرية، أو حتى عوامل استمرار تعايش طهران مع سياسة العقوبات، على خلفية تدهور سعر صرف العملة، وارتفاع معدلات البطالة والتضخم، وتراجع صادرات البلاد بشكل حاد من النفط، بعد إعلان الهند وتركيًا تصفير وارداتهما، إلى جانب التزام الصين، بعدم تجديد التعاقد على الخام الإيراني عملاً بالعقوبات الأمريكية■

تهور واشنطن وعقلانية موسكو وبكين

حاتم استانبولي– كاتب سياسي فلسطيني

منذ أن دخل بايدن البيت الأبيض كان على مكتبه مجموعةٌ من القرارات الرئاسية التنفيذية التي تهدف إلى إنهاء الترامبية وتحصين البايدينية، وكانت العناوين الرئيسية الداخلية تتعلق بمواجهة كورونا والهجرة وإنعاش الاقتصاد الذي عانى من آثار التخبط في مواجهة كورونا.

أما خارجياً فكان عنوان إعادة الاعتبار لتموضع الولايات المتحدة ضمن منظومة الاقتصاد الرأسمالي لاستعادة الدور القيادي للولايات المتحدة في المنظمات الدولية لمواجهة تزايد النفوذ لكل من روسيا والصين اللتين تعملان بشكلٍ تكاملي وتدريجي لإزاحة الولايات المتحدّة وتقليص نفوذها مستفيدين من التعارضات القائمة بين طموحاتٍ الاقتصادياتٍ الناشئة التي تعتمد نظاماً رأسمالياً في إطار المحافظة على دور الدولة الوطنية وبين صيغة تطويع الدولة لمصالح الشركات والاحتكارات الكبرى، هذه الشركات العملاقة التي ترى أن صيغة الدولة الوطنية هي عامل معيق لتوسع النفوذ الرأسمالي الإمبريالي لتطوير استمرار سيطرة نظامه الذي يرى أن حل أزماته ينبع من ضرورة كسر حواجز مفهوم الدولة الوطنية الصاعدة ومحاصرتها لإعطاء حرية تامة لنفوذ الشركات الاحتكارية وتحالفاتها التي تتحكم في سياسة الحرب والسلم التي تتطلبها مصالحها وسيطرتها على الموارد المادية والتكنولوجيا والموارد البشرية العالمية من ناحية لتوظيفها في عملية الإنتاج الرأسمالي، ومن ناحية إجبارها على استهلاك منتجاتها، هذا التعارض من الممكن أن يتحول في أية لحظة لصراعٍ يأخذ أشكال حروب مباشرة أو بالوكالة في الحدود الهشّة بينَ منظومة الدول الصاعدة وبين احتكار الشركات الرأسمالية العابرة للقارات، هذا الصراع الذي كانت عقلانية كل من موسكو وبكين تفهمه على أساسِ التحديات الصعبة بين الخصوم، هذه التحديات التي ساهم فيروس كورونا في تصاعدها حيث نجح الحلفان الروسي والصيني في تسجيل نقطة لصالح طابع الإنتاج الرأسمالي الذيً يوظف دور الشركات لصالح دور الدولة عندما نجحت الصين في السيطرة على انتشار الفيروس رغم اتساع انتشاره وكثافة سكانها في زمن قياسي، وروسيا عبر إنجاز أول عقارٍ مضاد للفيروس أثبت فعاليته طبياً وتنافسياً، في حين فشلت الولايات المتحدة وحلفاؤها في وقف انتشار الفيروس من جهة، وحامت الشكوك حول فعالية عقاقيرهم.

حدة التعارض وصلت إلى تسييس استخدام العقار، حيث وجد كل من العقار الروسي والصيني صعوبات في تسجيله من قبل منظمة الصحة العالمية والأوروبية والأمريكية مترافق مع هجمة وضغوط أمريكية أوروبية لعدم استخدامه، بالرغم من اعتراف بعض مراكز الأبحاث بفعالية اللقاحات الروسية والصينية وقلة تأثيراتها الجانبية.

منطقة الشرق الأوسط كانت دائماً تشكّل الحدود الهشة للصراع بين الكتل السياسية والاقتصادية، كانت بينِ المعسكر الاشتراكي والرأسمالي سابقا، والآن بين الدول الرأسمالية الصاعدة وبين الشركات الرأسمالية ومراكزها المالية، التي ما زالت تتحكم بالتدفقات المالية للدول النفطية الغنية التي تستخدمها كسلاح في وجه طموحات الدول الصاعدة، تُريد من خلاله رسم حدود النفوذ الاقتصادي والسياسي لها في إطار حدودها الوطنية والضغط عليها من خلال منظومتها الاجتماعية الداخلية، التي تستخدم فيها أدواتها المحلية من جهة، وشعارات الحرية والعدالة والمشاركة هذه الشعارات التي تتغاضى عنها في الدول الحليفة والتابعة وتستخدمها كمبرراتٍ لفرض العقوبات مع خصومها.

أما الدول الفقيرة التي تعتاش على المساعدات الدولية المشروطة سياسياً، فمهمتها هي ضرورة تنفيذ دور سياسي لتوظيف صيغة الدولة التابعة لتقويض

العودة إلى الفهرس

أية إمكانية للتطور الديمقراطي الذاتي أو الإقليمي، وإبقائها في حالة موت سريري تقتضيه متطلبات المصالح الرأسمالية في استمرار دعمها لإسرائيل وكيلتها الحصرية في المنطقة.

إدارة بايدن تريد إعادة بناء سياستها بما يتوافق مع المساومة الداخلية للحزب الديمقراطي التي أوصلتها للبيت الأبيض، هذه المساومة بين متطلبات تحقيق حد أدنى من العدالة الإنسانية في المجتمع الأمريكي التي يسعى لها التيار اليساري في الحزب الديمقراطي وبين مصالح القوى الرأسمالية الاحتكارية العابرة للحدود، وعلى ما يبدو اتفق على التهدئة الداخلية مع تصعيد خارجي مع كل من روسيا والصين؛ خارجياً أعلن وزير الخارجية بلينكن أن واشنطن لا تسعى لتغيير النظم بالقوة، هذا يعني أن إدارة بايدن ستعود لسياسات أوباما حول إعطاء أولوية للضغط من أجل تغيير النظم من داخل منظومتها عبر تشجيع قوى اجتماعية تحت عنوان الديمقراطية والحرية والعدالة للضغط على الخصوم وأبرزهم روسيا والصين، أما بالنسبة للحلفاء الديكتاتوريين استخدامها لهذه الشعارات سيكون انتقائياً بما يسمح بالحفاظ على التحالف مع إجراء عمليات تجميلية ترضي القوى الداخلية في الحزب الديمقراطي ولا تصل للقطيعة مع الحفاء.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: هل يقبل بعض الحلفاء بهذه العمليات التجميلية؟

هذا يخص تحديدا النظام السعودي الذي كان أول المتضررين من قدوم بايدن للبيت الأبيض، الذي سارع إلى نشر تقرير الـ حول جريمة اغتيال خاشقجي وانعكاساتها على العلاقة الأمريكية السعودية، التي سارعت روسيا بالاستثمار في هذا التعارض وأرسلت وزير خارجيتها إلى دول الخليج والحفاوة التي استقبل بها كانت رسالة إلى البيت الأبيض أن مرحلة جديدة بدأت لتوزيع البيض الخليجي في عدة سلال روسية وصينية وإسرائيلية، ومن الملاحظ أن أنقرة التي كانت تصرخ لتحقيق العدالة لخاشقجي لم تبد حماسا لنشر التقرير، بل دفعت دبلوماسيتها للتصريح بتعزيز التحالف السعودي التركي، وإعطاء إشارات للقاهرة حول إعادة العلاقات الحميمة بين الدولتين التي تربطهما أواصر تاريخية حسب إشارات وزير الدفاع التركي، هذا الموقف التركي يتخوف من إدارة بايدن التي تسعى وبدون ضوضاء إلى فرض وقائع على الأرض شرق الفرات لتمكين القوى الكردية من إعلان انفصالهم أو حكمهم الذاتي بالتناغم مع كردستان العراق الذي طرح مشروع طابع يحمل حدود الدولة الكردية التي تشمل أجزاءً من سورية وتركيا والعراق وإيران مع صورة البابا عليه، في إعلان واضح للطموحات الكردية التي تسعى بدعم إسرائيلي وبعض دول أوروبا لمشاركة بايدن مواقفه في دعم إقامة دولة كردية في المنطقة.

إن إعادة تموضع الموقف التركي خليجياً يراد منه أن يفقد الأكراد ورقة الدعم الخليجية ويحاصر موقف بايدن الذي يرى أن الأكراد هم ورقة رابحة للضغط في عدة اتجاهات، وجميعهم يشكلون أرقاً لواشنطن وإسرائيل؛ فإنعاش الطموحات الكردية يهدف لمحاصرة النفوذ الإيراني في العراق وسورية ولبنان، وطموح تركيا التي تسعى لأن تأخذ سياسة مستقلة بعيدة عن هيمنة الولايات المتحدة وأوروبا، وأبرز تعبير عن ذلك تعدد مصادر التسلح التنقيب عن النفط والغاز في المتوسط والأسود والتحضير لاستحقاق 2023 وإبقاء بغداد تحت الضغط الصراع المذهبي.

أخطر ما تواجه المصالح الأمريكية في المنطقة هو تمدد النفوذ الروسي الذي يعمل بعدة مستويات استثمار التواجد في سورية، لفرض وجود عسكري وسياسي في البحر المتوسط واستثماره في بناء علاقة مزدوجة بين كل من إسرائيل وتركيا اللتين تريان أن استمرار الوجود الروسي في سورية يحد من التمدد الإيراني ويضغط بشكل غير مباشر لتهدئة حزب الله في سورية ولبنان، وترى فيه دمشق مصلحة من أجل الحد من الطموحات الامريكية الإسرائيلية الغربية في العمل على تغيير النظام.

أما من ناحية دول الخليج، فإنها ترى أن الواقع الجديد الذي فرضته المتغيرات في الإدارة الامريكية تجعلها تعيد رسم علاقاتها التحالفية بما يخدم استمرار نظم عائلاتها، وفي هذا الإطار فإن التطبيع مع إسرائيل يندرج ضمن الخيارات التي تؤمّن استمرار حكم عائلاتهم تحت عنوان الخطر الإيراني المشترك.

أما تطوير العلاقة مع روسيا والصين فهي في إطار إحداث توازن لتخفيف الضغط الأمريكي عليها، هذا التحدي الذي ستواجهه إدارة بايدن سيجعلها تعيد نسج علاقاتها بما يحقق مصالحها وحفاظها على تحالفاتها، وإقناعها بإجراء بعض التغييرات الضرورية لإعادة إنتاج نظمها وبذات الوقت إبعاد خصومها ومحاصرة تمددهم العسكري والسياسي والاقتصادي، حتى لو تطلب ذلك تصعيداً عبر حروب بالوكالة في الحدود الهشة في أوكرانيا وسورية وفنزويلا، وإبراز عنوان الإيغور.

السؤال المهم هل ستستمر موسكو والصين باستراتيجية الدفاع؟

المعطيات تؤشر إلى أنها ستنتقل إلى الهجوم الإيجابي الدبلوماسي والاقتصادي والعسكري، بتعزيز تمددها في دول أمريكا اللاتينية الحديقة الخلفية للولايات المتحدة.

إن المراهنة على عقلانية موسكو سيختبر في مستوى رد موسكو على الإهانة التي وُجهت للرئيس بوتين، باتهامه بالقاتل في سابقة خطيرة تحصل بين القوتين العسكريتين الرئيسيتين في العالم، والتي شكلت خروجاً عن الدبلوماسية الرئاسية، وستشكل حاجزاً من الصعب تجاوزه بين الرئيسين، ومؤشراً على تصعيد أمريكي أخذ منحنى خطير بسبب تصريح غير مسؤول لا يستند إلى وقائع مادية ملموسة التي طالما طالبت بها موسكو من ألمانيا، هذا التصريح الذي جاء إجابة على سؤال حول عملية الاغتيال المزعومة للناشط الروسي اليميني نافالي، في حين لم يصرح بايدن بهكذا تصريح عن عملية اغتيال مثبته بالوقائع في تقرير ال حول اغتيال الصحفي خاشقجي وتقطيعه الذي أشار إلى ضلوع ولي العهد السعودي في عملية القتل، بل صرّح أن الولايات المتحدة لم يسبق لها محاسبة حاكم فعلي لأحد حلفائها المقربين، في تأكيد واضح على ازدواجية المعايير القانونية والسياسية، بل أكد حرصه على تمتين العلاقة مع النظام السعودي الذي يديره ولي العهد محمد بن سلمان.

على ما يبدو أن إدارة بايدن؛ تريد من خلال رفع وتيرة التوتر والصراع مع كل من روسيا والصين، بهدف إعادة رصّ صفوف حلفائها في مواجهة التمدد الروسي الصيني■

العدالة الاجتماعية في الاقتصاد الرقمي

عبد الحسين شعبان– كاتب ومفكر عربي/ العراق

بالرغم من الظروف الصحية والاقتصادية العصيبة التي يمرّ بها العالم بسبب اجتياح وباء «كورونا»، احتفل المجتمع الدولي باليوم العالمي للعدالة الاجتماعية، كأنّه يريد التخفيف عن الحزن والمأساة التي شهدتها بلدان العالم كافة، واختارت الأمم المتحدة شعاراً يجمع العدالة الاجتماعية بالاقتصاد الرقمي، خصوصاً في ظلّ الطور الخامس للثورة الصناعية الذي يشهد نموّاً هائلاً ومتسارعاً للعلوم والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، إضافة إلى تكنولوجيا المعلومات والإعلام ووسائل الاتصال، بما فيها الطفرة الرقمية «الديجيتال»، وقد فرضت تلك الأوضاع ضرورة الاعتماد على ترتيبات العمل عن بُعد، ما سمح بممارسة بعض الأعمال الاقتصادية والتجارية، بما لها علاقة بالاقتصاد الرقمي، الذي من تأثيراته الإيجابية إتاحة الفرص المتكافئة للنساء والأشخاص ذوي الإعاقة والشباب والعمّال المهاجرين للانخراط في سوق العمل، كجزء من التطور الحاصل على الرغم من التأثيرات السلبية لوباء كورونا، والانكماش الذي حصل على الصعيد العالمي.

لقد ظلت العدالة الاجتماعية هاجساً للعديد من الحركات الاجتماعية المطالبة بالمساواة ومنع التمييز، مثلما كانت، ولا تزال نقطة مطروحة على جدول أعمال العديد من القوى والتيّارات السياسية والاجتماعية، وبقدر ما كانت محلّ صراع طبقي حادّ في العديد من المجتمعات، خصوصاً المتطوّرة، فإنّها في الوقت نفسه كانت مصدر جدل واختلاف وتباين في المنظمات الدوليّة أيضاً، وقد أعلنت الجمعيّة العامة للأمم المتّحدة في 26 نوفمبر/ تشرين الثاني 2007 اعتبار يوم 20 فبراير/ شباط من كل عام يوماً عالمياً للعدالة الاجتماعية، وقد دعم هذا التوجّه اعتماد منظمة العمل الدوليّة «إعلان العدالة الاجتماعية» للوصول إلى «عولمة عادلة»، في يونيو/ حزيران 200، استناداً إلى مؤتمر العمل الدولي الذي أكّد المبادئ والسياسات الرئيسيّة التي تعتمدها المنظمة منذ صدور دستورها في عام 1919.

وكان إعلان فيلاديفيا عام 1944 وعشيّة تأسيس الأمم المتحدة العام 1945 أكد أيضاً إعلان المبادئ والحقوق الأساسية في العمل الذي اعتُمد عام 1998، وقد أيّدت هذا الإعلان 182 دولة من الدول الأعضاء، حيث يبرز موضوع العدالة الاجتماعية ويضع برنامج العمل الذي يسعى لتقديم بُعد اجتماعي للعولمة، بحيث تنسحب نتائجه على تحقيق قيم العدالة للجميع، وإن كان الأمر بحدّه الأدنى والممكن.

وحسب التقارير الدولية التي تنشرها منظمة العمل الدولية فإنّ أكثر من 60٪ من العمال في العالم يفتقدون أي نوع من عقود العمل، وبالتالي إلى ضمانات قانونية، فضلاً عن أن نسبة العمّال بدوام كامل هي أقلّ من 45٪ من إجمال عدد عمّال العالم، وهي نسبة انخفضت في السنوات الأخيرة، وشهدت انخفاضاً شديداً خلال استمرار جائحة كورونا.

جدير بالذكر أنّ العدالة الاجتماعيّة هي قيمة إنسانية عليا وحق إنساني واجب الأداء، وهي ركن أساسي من أركان المواطنة التي تقوم على الحريّة والمساواة وعدم التمييز والشراكة والمشاركة، فالمواطنة من دون العدالة ستكون ناقصة ومبتورة، إن لم تكن مشوّهة، ولا تستقيم مع فقدان العدالة الاجتماعية، وكيف يمكن تحقيق المساواة والشراكة مع الفقر، وهل يستوي الذين يملكون والذين لا يملكون؟ واستنادا إلى الآية القرآنية الكريمة «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» (سورة الزمر)، باختصار، فالعدالة الاجتماعية ليست منّة، أو هديّة، أو هبة من الحكّام أو أرباب العمل، الأمر الذي يحتاج إلى المزيد من الكفاح على جميع الصعد لتحقيقها.

إنّ من شأن العدالة الاجتماعية أن تأخذ بُعداً جديداً في ظل العصر الرقمي والاقتصاد الجديد القائم على التقنيات الجديدة والتكنولوجيات التي أخذت تخترق مختلف قطاعات الاقتصاد لتحقيق التنمية المستدامة، وتقليص مستويات الفقر والتفاوت الطبقي وتوفير العمل المناسب للجنسين من دون تمييز، وصولاً للرفاه الاجتماعي بتعزيز العدالة الاجتماعية للجميع، والأمر يحتاج إلى إعادة نظر بنظام العلاقات الدولية وعلاقات الشمال الغني مع الجنوب الفقير لسد الفجوة الرقمية وإتاحة فرص عمل مناسبة للبلدان الفقيرة، والاهتمام بتوفير التقنيات الحديثة كيما تكون الأداة فاعلة لمواجهة تحديات العصر، خصوصاً بإعادة النظر بالقوانين والأنظمة ومنع الانتهاكات والخروق لمبادئ المساواة، سواءً في الأجور واحترام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية بهذا الخصوص، إذ لا يمكن تحقيق التقدّم المطلوب في الاقتصاد الرقمي على المستوى العالمي من دون تقليص الفوارق في ما يتعلّق بالعدالة الاجتماعية، وهو ما ينبغي أن تدركه القوى النافذة في العلاقات الدولية، وعلى صعيد كلّ بلد وهو ما أظهرته جائحة كورونا من تأثيرات سلبية على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والنفسي لأوساط واسعة من سكان العالم لا تزال مستمرّةً■

العودة إلى الفهرس

عن الفكر الثوري

إن الفارق واسع بين الفكر الإنساني العام والفكر الثوري؛ لأن الفكر بشكل جاف لا يعني إلا التفاعلات الكيميائية التي تخدم حاجات الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر، مثل البحث الفلسفي. أما الفكر الثوري بالمعنى العام فهو نشأ مع حاجة الإنسان للتغيير وقد مارسه منذ أن بنى لنفسه كوخًا ومدينة، وهو يعمل على تغيير وضعه وأحواله بأحسن من سابقه بطرق معينة يستعملها أحيانًا بالتأمل وأحيانًا باحتكاكه مع الواقع. أما المعنى الخاص فهو المراد، حيث انطلقت هذه الشرارة (الحقيقة) في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر، فقد وجد الإنسان الأوروبي الضلال الاجتماعي والفكري؛ فأخذ في أول الطريق يعطى حلولًا إصلاحية، لكن كان أكثرها يفشل، وليس باستطاعتنا أن نعده ثوريًا، لأنه إصلاحي لا يخدم التغيير السريع، وأول من ظهر بهذا التيار مفكري الماركسية. والفكر الذي أثبت جدارته الواقعية، مع العلم أن الكثير من الفلاسفة قد خدموا الفكر الثوري، حيث أتى الأخير وأنهى ما بدأه المفكرين من قبله كما يقول الكاتب خليل الشيخة، عندما أثبت أن فساد البشر لا يحل إلا بالثورة بجميع المعايير الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ولقد كان الفيلسوف الألماني «نيتشه» حد فصل الفكر الثوري من النواحي الدينية؛ فتكلم عن أن المجتمع وضلالاته ليس له أصل إلا في الديانات الفاسدة التي لعبت في عقل الإنسان منذ النشأة وراح يتخبط فيها لا يعرف موطئ قدمه ولا يعرف أين يحط. فقد أثبت فشل الآلهة التي يعبدها البشر، وقال أن هناك الإنسان المتفوق الذي يجب أن نعطي كل قوتنا لنخلقه، فهو فكر استئصالي للدين بشكل عام، حيث وقف وقال أن المسيحي الوحيد في العالم هو الذي صلب على الصليب، بل كانت فلسفته بمثابة فأس حاول فيه تهديم صرح المفاهيم المسيحية في أوروبا من خلال مؤلفات كثيرة أهمها (هكذا تكلم زرادشت).

بحسب الشيخة؛ الفكر الثوري في هذا المضمار يختلف عن المفهوم المتداول بأن الثورة هي ماركسية الوقوع. ألم يحمل أدولف هتلر فكرًا ثوريًا غير فيه وجه أوروبا لفترة ما، بل كانت فيه الانطلاقة الأولى للفكر النازي العنصري الذي جسد مطامح الشعب الألماني، وكان يوازيه بالفكر الجذري هذا الثورة الروسية وما حملته من بذور التغيير في القرن العشرين؛ الفارق ما بين الفكر والثورة هو مثل الفلسفة والعلم ومن ثم نتائج هذا العمل النظري على أرض الواقع.

صراع الكاريكاتير
بين إشكالية الهوية القومية ومناهضة المحتل الصهيوني

د. عاطف سلامة– كاتب صحفي مختص في فن الكاريكاتير/ فلسطين

منذ أواخر الستينيات من القرن الماضي طرحت بعض التيارات الفكرية القومية العربية رؤيتها حول علمنة الحياة الاجتماعية، فتعامل مفكروها ومن بينهم المثقفون والفنانون؛ مع الدين كحالة استنهاض الشعوب، فحدث التمييز النظري بين "دين الرسالة" الذي بات يعكس موقفاً جديداً من الحياة وبين "دين المؤسسة" الذي سار وفق أنماط تقليدية لا تملك روحاً نهضوية تحمل مضموناً ثورياً؛ فتنامى نشاط قوى رجعية عربية، اتخذت من الدين وتياراته الإسلاموية السياسية مساراً في نشاطاتها، متجاوزة بشكل مقصود سؤال وجود الأمة العربية، وقد استغلت مثل هذه القوى الرجعية نتائج الهزائم والنكبات العربية المتتالية في فلسطين 8491 والعدوان الثلاثي على مصر 6591 وقضية الانفصال بين سوريا ومصر 1691 وتحويل حرب تحرير الأراضي العربية المحتلة إلى حرب تحريك قادها السادات 3791 واستغلت هذه القضايا لخلق وإشاعة حالة من التشكيك بجدوى الفكر القومي، وتحميل الأنظمة والأحزاب والقوى القومية الحاكمة خلال تلك الفترات المسؤولية في التراجع العربي العام، فطرحت قوى الإسلام السياسي شعارها "الإسلام هو الحل".

فتسلطت الأنظمة المستبدة، وتنامى الفكر الرجعي، وسرعان ما تأثر بالعولمة؛ فشاع الفكر الفوضوي واستخدمت الديمقراطية في تطبيقاتها المشوهة في عديد من البلدان العربية، وتم استهداف الفكر القومي ومنعه على مراحل من بناء الدولة الوطنية والقومية، والتي انتهت بتكريس حالة متقدمة من المشروع الصهيوني وهو تجزئة المجزأ وتقسيم المقسم.

الحكومات العربية الفاسدة التابعة للغرب وبتأثيرات منه عملت على استبعاد النخب القومية والفنانين ذوي التوجهات الوطنية من الوصول إلى التواجد في النخب السياسية صاحبة القرار في إدارة الحكومات والجامعات والصحافة وقطاع الأعمال وغيرها، مما سبب إرباكاً واضحاً في التوجهات السياسية والفكرية لهذه النخب ولتلك الدول نفسها، انعكس على قضية غياب الوعي والهوية والتوجه لاحقاً في الانغماس في اللهو الفارغ وضياع الانتماء الوطني والقومي، وفقدان التمسك بالهوية، وهو ما أثر على فناني الكاريكاتير الذي بدأ في الصحافة الفلسطينية بالاعتماد على ما يمكن استنباطه من آلية الفعل والتفاعل اليومي في هذه المهنة، حيث لم تكن قد تبلورت المعارف والخبرات على الصعيدين (الصحافة والكاريكاتير) ما حتم بالضرورة أن ترى الصحافة الفلسطينية (المحلية خاصة) في صحافة البلدان العربية المحيطة، نماذج يصلح تقليدها، كما فرضت ظروف الاحتلال نفسها وضرورة أن تستلهم الصحافة الفلسطينية بعض أساليب وطرائق العمل في صحافة البلدان العربية، خاصة في سورية ولبنان، التي أمكن التعرف إليها أو التقرب منها، مما انعكس على فن الكاريكاتير. ومع تطور الأحداث السياسية والاجتماعية والمتغيرات العاصفة في أرجاء الوطن العربي كافة، ومع نهاية منتصف العقد الخامس من القرن العشرين، وخصوصاً تلك الأحداث المرافقة لنكبة فلسطين وتشريد الشعب العربي الفلسطيني عام 1948 واحتدام دورة الصراع العربي الصهيوني في حروب متعاقبة؛ جعلت كل الأمور الحياتية للشعب العربي مرتهنة ومندمجة في متطلبات الصراع والمواجهة، في كل تفاصيل الحياة اليومية، وعلى كل الجبهات، إلى أن هبت رياح العولمة لتشكل فرصة في إنعاش أحوال العرب؛ إلا أنها (في جوهرها ونتائجها القريبة والبعيدة) عملت على آليات ونظم أخرى، خاصة على استهداف الفكر القومي، عن طريق محاولاتها دمج المجتمعات العربية في النظام العالمي الجديد بتعويمها على شعارات ليبرالية ظاهرية تدعو لفظياً إلى حقوق الإنسان والديمقراطية وتحرير المرأة وظهور منظمات المجتمع المدني، في حين ركز الإعلام المعولم على استهداف منظم ومقصود للمؤسسات القومية واستهداف الفكر القومي ومنظماته وأحزابه السياسية، ومنع التقارب العربي وتفكيك ما تبقى من حركات كانت مهتمة في النشاط إلى حد ما في حراك حركة التحرر الوطني والقومي العربية التي انبثقت في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، ومنها كانت الداعية لاستكمال بناء الدول القطرية العربية ودفعها إلى التكامل والاتحاد ضمن المجموعات أو التكتلات العربية التي انبثقت في مشرق ومغرب الوطن العربي دون أن تصل إلى حالة الوحدة والتكامل الاقتصادي المنشود والمطلوب.

وهكذا إلى أن تمّ إشغال الوطن العربي دوماً بأخطار واستهدافات مرتبطة بسياسات الدول الكبرى والإقليمية وتدخلها في الشأن العربي، أهمها تدخلات الكيان الصهيوني؛ وقتها برز للفنون التشكيلية، وفن الكاريكاتير

العودة إلى الفهرس

تحديـــداً، دورٌ بارزٌ، فكانت في مقدمة الأسلحـة الثقافيـة الفاعـلة والمشاركة في هذا الميدان؛ منتقلةً من حيز شكلي بصري عبثي، غايته التسلية والإضحاك، إلى اتخاذ موقف جاد هدفه المساهمة في معركة التصدّي للمشروع الصهيوني في فلسطين والمنطقة العربية عموماً؛ محمَّلاً برياح التغيير والأيديولوجية والتعبير عن السياسات المرسومة في هذه المطبوعة العربية أو تلك، وقد أمسى مع رياح التغيير وكشف المستور داخل السياسات الدولية وطبيعة الأنظمة العربية العميلة والمُصنعة في أروقة المخابرات الغربية، وغدا دور رسام الكاريكاتير، الأداة البصرية الفاعلة والمعبرة عن تراجيديا المواقف المعاشة والمرافقة لدروب الآلام العربية وشعوبها المظلومة والمكلومة والمهجرة، ولسان حال الموقف اليومي، المعبر عن طبيعة الحكام وعلاقاتهم.

كان فن الكاريكاتير العربي مشحوناً (على الدوام) بدلالات ورموز وخلفيات فكرية متوالدة من قصّص الأوّلين، عبرَ حكاياتُ ألف ليلةٍ وليلة، وجعبة الجاحظ الثقافية، وخيالِ الظل، وسهرات الحكواتي؛ معانقاً لإشكاليات الواقع العربي المأزوم والمحكوم بقدر الاستعمار والاستيطان والصهيونية والقهر الطبقي والعولمة والأمركة؛ معتمداً على قدرة رسامي الكاريكاتير العرب في مواجهة أقدارهم وصراحتهم، التي كلفت بعضهم حياتهِ وحريته؛ فقد لعب الكاريكاتير دوراً هاماً في أشكال الصراع المختلفة، خاصة الصراع (الإسرائيلي-العربي) لما له من قدرة على مخاطبة الفئات الاجتماعية على اختلاف مستوياتها الثقافية؛ حتى الأميّة منها، وذلك لقدرته على ترجمة أحاسيس ومشاعر هذه الفئات على شكل رسومات مبسطة، رصد من خلالها جرائم الاحتلال الصهيوني تحديداً على مدار العقود الماضية، من حروب وقتل وتشريد وتدمير.. الخ؛ فصدرت العديد من الصحف بين (1948-1967)، منها (الانتعاش) لمحمد الشريف و(الجهاد المقدسي) لداوود الصايغ و(الوطن العربي) لرشاد الشوا و(اللواء) للدكتور صالح مطر و(الرقيب) لعبد الله العلمي و(الجهاد) لمحمود أبو الزلف وسليم الشريف، و(فلسطين) لغسان كنفاني وكانت لسان حال القوميين العرب.. وغيرها.

أما بعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة والقطاع بقيت الأراضي الفلسطينية المحتلة دون صحف أو مجلات حتى نهاية 1968 وهو العام الذي صدرت فيه صحيفة (القدس) لمحمود أبو الزلف

و(الفجر) 970 اليوسف مطري و(الشعب) لمحمود يعيش و(الطليعة) لبشير البرغوتي و(الثبات) 1980 لمحمود الخطيب.. وغيرها.

كرست بعض الصحف أهميةً خاصةً لفن الكاريكاتير؛ فأفردت كلٌ من (الميثاق، والقدس، والفجر، والشعب، والطليعة) مساحة جيدة للكاريكاتير، وهنا أخصّ بالذكر (الميثاق) التي كانت تفرد مساحة خاصة لرسم الفنان الفلسطيني الراحل ناجي العلي.

في الوقت نفسه صدرت العديد من الصحف خارج الأرض المحتلة، والتي أفردت مساحة كافية للكاريكاتير بجميع أنواعه، خاصة الكاريكاتير السياسي فصدرت مجلة (فلسطين الثورة) 1971، و(الجماهير) عام 1970 ومجلة (الهدف) عام 1969 و(الشرارة) 1969 و(الجبهة) 1969 و(الطلائع) 1969 و(الثائر العربي) 1969 عام و(الحقيقة) 1969 و(النضال) عام 1967 و(المقاتل الثوري) عام 1969 و(الراية العربية) 1970.. وغيرها.

وهنا أيقنت الصحافة الفلسطينية أهمية الكاريكاتير، وحرصت على إفساح مساحة خاصة بفن الكاريكاتير السياسي، من منطلق أنه أداة أساسية وهامة من جهة، ومن جهة أخرى كونه عنصر ترفيهي؛ فقد دأب فنانو الكاريكاتير على استحداث رسومهم من الواقع اليومي والمعاناة الدائمة جراء أفعال وجرائم الاحتلال، معبرين عن رأيهم وأفكارهم السياسية والاجتماعية وغيرها.

ومع استمرار الصراع العربي الإسرائيلي، تابع فنانو الكاريكاتير الأحداث وتطوراتها لحظة بلحظة، يتحينون الفرص ويقتنصون الممتع منها، يتمحصون وجوه العدو، ويراقبون الحركات الانفعالية، يبحثون عن نقاط ضعف هنا أو هناك ومواقف يعكسونها من خلال لوحاتهم المعبرة والساخرة الناقدة، مع مراعاة المزاج الشعبي دوماً، كناجي العلي، وعماد حجاج وبهاء البخاري وجلال الرفاعي وخليل أبو عرفة.. وغيرهم، كانوا دوما يقظين مراقبين دائمين، يتفقدون ويسخرون ويحرضون، فقد عكسوا أفعال وحركات وتصرفات العدو الصهيوني وقرأوا أفكاره، بحيث لم يعطوا فرصة للمماطلة في إبداء الحيرة أو حتى الخوف من هذا العدو المحكوم بمبدأ وهاجس الأمن، ومع ذلك بقي تكريس حالة التخلف والتجزئة هدفاً مزدوجاً للنظم العربية التقليدية، فعملوا على إبعاد المثقفين وفناني الكاريكاتير عن المشهد، وهو ما ينسجم مع تطلعات نهب النظام الرأسمالي العالمي، فهذه الدول انكفأت إلى الماضي ومنعت التطور الحقيقي لشعوبها؛ رغم أنها تمظهرت بتوريد الحداثة من مبان وأنماط استهلاك مترديةٍ ومنفلتة، وإعلام مرتبط بمنظومات العولمة الثقافية، وكذلك النخب السياسية والاجتماعية، القطرية منها أو القومية؛ فمنعت فناني الكاريكاتير من الظهور، وحجبت وأغلقت صحفاً ومجلات واعتقلت مسؤوليها.

في الوقت ذاته؛ ارتفعت نسب البطالة وازدادت الحاجة إلى العمل، فتم استغلالها وتوظيف الدين ورجالاته وأحزابه ومؤسساته الطفيلية على الهامش الاجتماعي التي تدفع نحو تبني أنماط من النماذج المشوهة، فعززت من انتشار دائرة الاضطراب الاجتماعي والتصادم وحصار الفكر القومي المتنور فساد القلق ليدفع إلى حالة عدم الاستقرار وانتشار الصدامات والاضطراب في بلدان الوطن العربي، ورحيل فناني الكاريكاتير أو العزوف عن الرسم■

عن الإبراهيمية
« صَهْرُ الإسلام والمسيحية»

وليد عبد الرحيم- كاتب ومخرج فلسطيني/ سوريا

يستحق الأمر التنبه للاصل قبل الفرع، أي استكمال بناء الدين –الدولة– الكيان السياسي بالتوفيقية التوافقية الدينية؛ العلاقة في ذلك تكاملية إنسانية ظاهرياً من حيث الدين؛ عضوية من حيث السياسة، هكذا تكون المعادلة: كيان غير مشروع + أنظمة بلا شرعية + مسح فقه ذاكرة وتاريخ= شرعية واقعية للا شرعي.

بداية يستحضر التساؤل ذاته: ما هي الإبراهيمية؟

التسمية المصطلحية منسوبة كما هو جلي لأبي الأنبياء «إبراهيم»، أي بمعنى آخر للعقيدة «التوحيدية»- الديانات التي تؤمن بالإله الواحد الذي لا شريك له، وهذا بلا شك جميل المعنى شكلانياً ويلقى قابلية متفاوتة المستوى لدى المتدينين كافة، بل وحتى من غير المتدينين ومن البسطاء بخاصة في منطقة « الشرق الأوسط»، إلا أن استحضار المسألة هنا ليست ذات مآل تقاربي، أو توحيداً للتوحيدية، بل ما يتم الحديث عنه هو ديانة «مودرن» جديدة ومبتكرة بكل ما للكلمة من دلالة، فمن المعلوم مسبقاً أن المسلمين والمسيحيين لن يقبلوا بأنبياء جدد أو معتقدات جديدة، لذلك كان لا بد من المواربة في المأرب- من خلال التسمية وضخ مجموعة مواربات محترفة أخرى في وسائل الإعلام، وبناءً على هذا فقد تم إنشاء مراكز بحوث ودراسات وضخ ترويج إعلامي وسياسي بتمويلات ضخمة بكل ما للكلمة من دلالات – منها البنك الدولي وأعضاء في الكونغرس ورؤساء دول ومؤسسات ....-. هذه المراكز تتواجد اليوم بالعشرات تحت سقف رعاية تمويلي عال متنوع العناوين واللغات والصيغ، وفي الوقت عينه فهي مركزية القرار، وتنتشر في مختلف أنحاء العالم، بعضها بمقرات سرية وأسماء وهمية، والآخر علني تماماً أو نصف علني!

لنعد إلى أسّ الفكرة، قبل نحو مئة عام، وتمهيداً لما قبل وبعد سيطرة العصابات الصهيونية على فلسطين بدعم محلي وعالمي منقطع المثيل، حيثُ وظفت بريطانيا والوكالة اليهودية ولحقت بهما الولايات المتحدة بعد حين أصولياتٍ «إسلامية» بهدف إعادة تحويل وحرف الشريعة والمفاهيم والتفسيرات، أسوة بما أنجز بخصوص المسيحية سابقاً، وبالتالي خلق مذهب بروتستانتي «متأسلم» على غرار ما حدث في أوروبا سابقاً، هكذا نشأت في المنطقة حركات متأسلمة على يد المخابرات البريطانية مباشرة أو بشكل غير مباشر، ولهذا شاعت الحركات المتأسلمة في المناطق التي كانت تحتلها بريطانيا آنذاك، كمصر وفلسطين وشرق الأردن والخليج العربي، وذلك بهدف «تشذيب الإسلام» وإبعاد العقيدة عن التطرف والتمهيد لقبول العصابات الإرهابية الصهيونية باعتبارها «مؤمنة أولاً وأخيراً» وبوصفها من « أهل الكتاب»، ولهذا ناصبت هذه الحركات العداء للفكر الشيوعي التحرري، ليس بسبب إيمانه أو عدمه، بل بسبب رفضه للهيمنة الاستعمارية والإمبريالية والصهيونية، واتهمته هذه الحركات بالكفر والإلحاد، وحاربته وحاربت إلى جانبه الفكر القومي - على الرغم من تبنيه للإسلام - وأحزابه في حين هي لم تحارب الصهيونية، بل اعتبرت اليهود من «أهل الكتاب والتوحيد» كما في أدبيات كثيرة للإخوان المسلمين الذين حرّموا «قتال أهل الكتاب والمقصود هنا اليهود»، في حين تم ضخ العداء للمسيحيين العرب والفلسطينيين تحديداً لفصل المجتمع عن ذاته.

هذا ما جرى همساً وفي العديد من خطبهم ودروسهم، أي أنه في الوقت ذاته جُعل من المسيحية عدوٌ - المسيحية العربية لا البروتستانتية الصهيونية في جوهرها-! وبخصوص المسيحية فقد تواطأ بابا الفاتيكان «الكاثوليكي» في العقود الاخيرة على العقيدة الأصولية والتاريخ المسيحيين حين برأ اليهود من دم المسيح.

أولاً، يجب إيضاح مسألة مهمة، هل اليهود توحيديون، أي يؤمنون بإله واحد هو الله تعالى عز وجل، إله الأنبياء جميعاً ؟

إله اليهود هو يهوه، وهو ليس الله تعالى وليس إله إبراهيم الأصل، وهو ما يرد في التوراة المتداول حالياً ذاته... يهوه في الأصل هو إله متخيل بدائي، وثن كنعاني سائد في ثقافة وتجمعات فلسطين القديمة- ما قبل التاريخ- تحول مع الزمن والمخيلة إلى محارب فذ حام لقبيلة بني إسرائيل- يعقوب ثم إلى محارب إلهي»، أي قائد محارب ينتمي» للجيش السماوي» أسوة بالمعتقدات الأساطيرية السائدة آنذاك، وعمل ضد أعداء قبيلة إسرائيل، ليتطور فيما بعد عبر الزمن والإضافات الشفهية والمخيلة الأساطيرية ويصبح الإله الرئيسي في «مملكة إسرائيل ويهوذا»، هذا بحسب التوراة والتلمود، وبمرور الزمن ولمسايرة التطور الزمني، تحول يهوه إلى إله كوني، وصار يمتلك كلّ الصفات الإيجابية التي نسبت سابقاً إلى الله تعالى ربِّ إبراهيم.

هذا يفضي إلى مسألة مهمة، هي أن اليهودية لها إلهها الخاص، وفي القرآن الكريم ما يبين ذلك، أهمه أن القرآن يفرق بجلاء ما بين اليهود وبني إسرائيل وأصحاب السبت «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء» سورة المائدة: 64.

وقالت اليهود: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء [سورة آل عمران: ١ ١٨١. وقالوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ سورة التوبة :30، إلى قوله سبحانه: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ [الممتحنة: 4.

إلى قوله تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا [المائدة :2

النص القرآني واضح بخصوص تناقض العقيدة اليهودية مع إيمان إبراهيم عليه السلام، على الرغم من هذه المقدمة الدينية إلا أن الأمر هنا لا علاقة له بالديانات أو العقائد، ولا علاقة له في الواقع لا بالأنبياء ولا الكتب السماوية أو التاريخية.

سوف ترشدنا قراءة تحليلية بسيطة

العودة إلى الفهرس

لذلك، فلقد وقعت الحركة الصهيونية بمأزق وجودي كبير، فباستثناء القدرة على استخدام الدعم العالمي، والقوة والإرهاب والتهجير والاعتقال فشلت في أهم ركائز وجودها، وأهمها كان محو الهوية الفلسطينية وقبولها من قبل شعوب المنطقة، وذلك الفشل الواضح تم بفعل الوعي العالي للفلسطينيين ومعهم الشعوب العربية، واستمرارهم بالنضال والتمسك بثقافتهم وهويتهم وانتمائهم لوطنهم.

يعلم العالم كله اليوم بأنه حتى بعد قرن كامل، وحتى بالنسبة لمن ولدوا عقب ما بعد غياب الجيل الذي هُجر من فلسطين طفلاً أو يافعاً، لم ينسَ الفلسطينيون لا في الداخل ولا الخارج؛ قراهم ومعالمها وأسماءها بما فيها التي دمرتها العصابات الصهيونية تماماً في فلسطين، ولم تفتر قوة عزيمتهم للعودة والتحرير، على الرغم من استنفار أقوى الدول والمنظمات العالمية لتحقيق ذلك، كما فشلت الصهيونية وعملاؤها من الأنظمة العربية في مشروع شيطنة الشخصية الفلسطينية في مخيلة الإنسان العربي، وما زالت الشعوب العربية غير قابلة لهذه الخديعة.

من ناحية أهم، لم تستطع الصهيونية وحكومتها وكيانها إقناع اليهود أنفسهم الذين جلبتهم من كل بقاع الأرض بأن البلاد بلادهم، وهو ما يعبرون عنه يومياً ويزداد باضطراد؛ يعرف كل فرد عن ذاته بأنه روسي، بولندي، مغربي إلخ... كل ما تستطيع اليوم إقناعهم به هو «أننا أقوياء وقادرون على البطش واستخدام القوة»، وهؤلاء الحكام عملاؤنا وكما ترون فإننا حالياً نجبرهم على الاعتراف العلني بأننا من نصبناهم ونجبرهم قسراً على جعل العلاقة علنية تحت اسم التطبيع.

لم يعد لدى الصهيونية إذن سوى خلق الإبراهيمية من عدم! وهذا يعني محاولة أخيرة لمنع بدء تفكك النظرية الصهيونية، في الوقت عينه، يسأل كل يهودي مهاجر في أرض فلسطين اليوم نفسه: إذا كان الرب يهوه قد منحنا فلسطين في الكتب فلم كل هذا القلق والأسلحة والاهتمام بالجيش؟ والسؤال الأخطر الذي جلب اليأس: لماذا فشلنا في سحق أو تذويب الفلسطينيين إذن؟!

وعلى ذلك، يتم الحديث في الكيان اليوم ليس عن القدرة على الاستمرار، بل السؤال المخيف: هل سنبقى في أرض فلسطين عشر سنوات، عشرين، خمسين...؟ هكذا يجري جوهر النقاش حول المستقبل، وهو ما عبّرت عنه عشرات التصريحات والكتابات، حتى أنه في لحظة ولادة امرأة روسية يهودية في تل أبيب؛ تسأل خلال تسجيل: ترى هل سيكون ابني هنا حين يشب أم لن يكون هناك إسرائيل؟

تدرك الصهيونية عجزها عن الاستمرار، وتعلم جيداً كما تبين الدراسات بأن عمر الكيان محدود مهما طال أو قصر، لهذا لا بد من استدراك الأمر كيفما كان ولو جزئياً، من هنا ولدت فكرة الإبراهيمية، ولدها الخوف من القادم - المستقبل.

من ناحية أخرى، فقد فشلت مراراً الحركات المتأسلمة في وضع اليهودية الصهيونية في سدة عرش المؤمنين، ليتم بعدها دعم وتمويل القوى المتطرفة والإرهابية كما حدث في عدة بلدان عربية خلال السنوات العشرة الأخيرة، كما تم حشد أنظمة عدة لتسهيل ذلك وخلط أوراق المفاهيم والفعل الثوري التحرري، وذلك بدوره فشل كما يبدو جلياً اليوم، لنقل مبدئياً بأنه تراجع بشكل كبير وانحسر دوره.

كما حدث في أوروبا خلال القرون الوسطى وحتى اليوم بخصوص تدمير العقيدة المسيحية الحقيقية، وبناء عقيدة بديلة، يحدث وسيحدث اليوم تجاه العقيدة الإسلامية، وسيتم خلق «شهود يهوه إسلامية» على غرار تلك التي تنتشر في الغرب بقوة، وها هي قد بدأت بذورها بل مقدماتها الواضحة، من خلال منافقي شيوخ الأنظمة والحركات الإسلامية المرتبطة، فهذا يقول بأخوة اليهود، وعداوة الفلسطينيين، وذاك يسرد بلاد الشام فيضيف لها «إسرائيل» كدولة خامسة، ووو... وهناك من يروج حرفياً: «على الرغم من أنه من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، لأن الدين عند الله الإسلام، إلا أنه يطرح هذه الأيام مصطلح (الديانة الإبراهيمية) لتشمل كلاً من الإسلام والمسيحية واليهودية.. ولعله نفس مصطلح (الديانات السماوية) والتي جاء بها الأنبياء: محمد بن عبدالله وعيسى بن مريم وموسى بن عمران سلام الله عليهم أجمعين لتشمل كتبهم القرآن والإنجيل والتوراة: «وإن كلاً من الأديان والأنبياء وكتبهم السماوية من نور واحد، فالله نور السماوات والأرض.. نعم إنها من سراج واحد»، وإن عدداً من المشتركات بين الكل هي: الإيمان بالله وحده والإيمان بالميعاد والتمسك بالأعمال الصالحة واحترام الأديان فيما بينها.. «إذن فلا تناقض بين أن يكون الدين عند الله الإسلام وبين وحدة الأديان تحت راية لا إله إلا الله..»

كما قامت الإمارات ببناء معبد الديانات الإبراهيمية الثلاث، الإسلام والمسيحية واليهودية، في أبو ظبي، وسيتم افتتاحه في العام المقبل. وقال مسؤولون إماراتيون عدة إن هذا المجمع الديني سيصبح مكاناً للتعلم والحوار والعبادة، وسيركز على التقريب بين الناس من جميع الأديان، كما قدمت السفارة الإماراتية رسالة شكر للمتحف اليهودي ومركز التسامح بموسكو، لإتاحته الفرصة لإقامة فعالية بمناسبة اليوم العالمي للأخوة الإنسانية، الذي أنشأته الأمم المتحدة بمبادرة من الإمارات (المصدر: وكالة نوفوستي).

واللافت في ذلك، أن من يقوم بقيادة دفة الإبراهيمية سياسيون، وليسوا علماء دين أو شيوخ نفاق على الرغم من مشاركة العديد من شيوخ الأنظمة بذلك؛ فشيوخ الأنظمة تدعم الإبراهيمية بوضوح، وشيوخ آخرون مستقلون يرفضونها باعتبارها لعبة صهيونية جديدة والغالبية شياطين خرس.

بالنتيجة المستخلصة من ذلك، فكما بدأت الصهيونية بحرف المسيحية، ثم بظلم اليهود وتوريطهم في الذهاب إلى فلسطين، وساعدت على ارتكاب المجازر ضدهم، وتفعيل النصوص الدينية العنصرية البائدة وإضافة نصوص جديدة عند الحاجة، فهي تدرك الآن بأنه يجب الدخول في مرحلة العناية المركزة لتأخير الموت المحتم، لذا فإن التطبيع لا يكفي، والإبراهيمية قد تكون مساعدة في تأخير الانهيار ولها في المنافقين أسوة حسنة، لقدرتهم على نخر الدين الإسلامي والمسيحي من الداخل وسحقهما وصهرهما في خدمة اليهودية، في حين يبقى هناك وهم دائم يتلخص بـ «شعب الله المختار» وتبقى العنصرية والاحتلال ما أمكن■

الأدب الفلسطيني بين تحفيز المقاومة وتحديات التطبيع ومغريات الحداثة

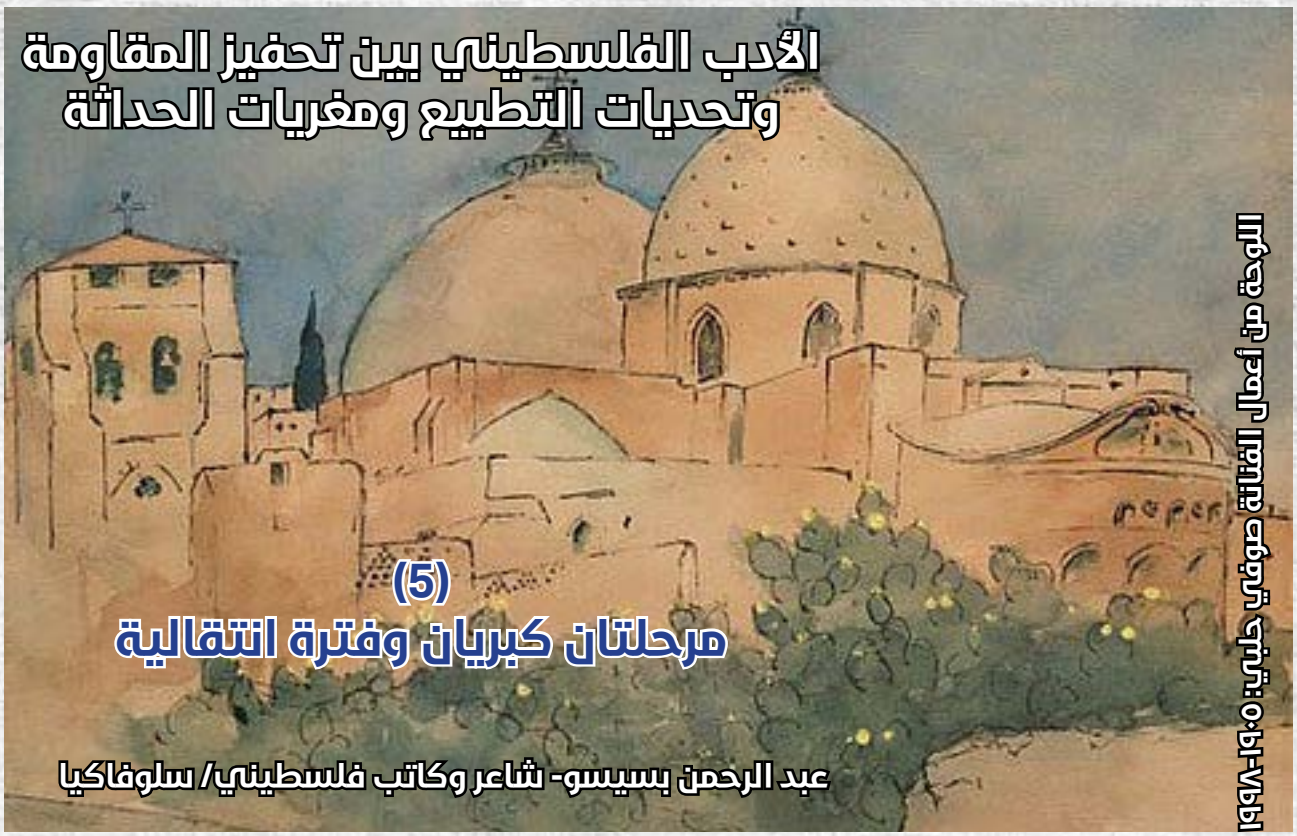

لوحة من أعمال الفنانة صوفي حلبي: 1967-1968

(5)
مرحلتان كبريان وفترة انتقالية

عبد الرحمن بسيسو- شاعر وكاتب فلسطيني/ سلوفاكيا

يَنْتَظِمُ الأَدَبُ الْفِلَسْطِينِيُّ مُذْ عُرِفَ وُجُودُهُ، وفي ضوء ما بَلْوَرَتْهُ الْمُقَارَبَاتُ الْمُضَمَّنَةُ في الْمَقَالاتِ السَّابِقَةِ مِنْ خِلاصَاتٍ، في مَرْحَلَتَيْنِ كُبْرَيَيْنِ تَمْتَدُّ أُوْلاهُمَا مِنَ اللَّحْظَةِ الْحَضَارِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي وُسِمَتْ بِابْتِكَارِ الإِنْسَانِ الْكَنْعَانِيِّ الْعَرَبِيِّ الْفِلَسْطِينِيِّ «الْحُرُوفَ»، وبِجَعْلِهِ إِيَّاهَا «كَلِمَاتٍ» و«نُصُوصًا»، أَسْكَنَهَا نَفْسَهُ، وأَشْوَاقَهُ، ونِدَاءَاتِ وُجُودِهِ الْحَيَوِيِّ، وأَصَالَةَ انْتِمَائِهِ الْجُذُورِيِّ إِلى «أَرْضِهِ» الَّتِي جَعَلَهَا «وَطَنًا» وبِاسْمِهِ أَسْمَاهَا: «فِلَسْطِينَ»، فَأَضَاءَتْ، وتَوَهَّجَتْ، ومَعَهُ سَافَرَتْ عَلَى مُتُونِ «سَفَائِنِهِ» الْمُبْحِرَةِ في أَنْهُرِ الْحَيَاةِ وبُحُورِهَا ومُحِيطَاتِهَا، والْمُحَلِّقَةِ في شَتَّى مَدَارَاتِ وُجُودِهِ الإِنْسَانِيِّ الْحَضَارِيِّ التَّارِيخِيِّ الْمَفْتُوحَةِ عَلَى وُجُودٍ مَفْتُوحٍ لَمْ يَكِفَّ، ولَنْ يَكِفَّ، عَنْ تَوْسِيعِ حُضُورِهِ الْحَيَوِيِّ فِيهِ وتَعْمِيقِهِ، عَبْرَ مُتَابَعَةِ تَنْوِيعِ مَجَالاتِ إِسْهَامِهِ الإِبْدَاعِيِّ والْمَعْرِفِيِّ الْمُفْضِيَانِ إِلى فَتْحِ الْمَزِيدِ مِنْ آفَاقِهِ، وتَجْدِيدِهِ، وإِثْرَائِهِ.

وتَتَوَاصَلُ هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ الأُولى، والَّتِي اقْتَرَحْنَا تَسْمِيَتَهَا بـ«مَرْحَلَةِ زَمَكَانِ الْحَقْلِ» حَتَّى لَحْظَةِ بَدْءِ إِرْهَاصَاتِ اسْتِهْدَافِ «فِلَسْطِينَ» بِغَزْوٍ اسْتِعْمَارِيٍّ صُهْيُونِيٍّ مُغَطًّى بِسَرْدِيَّةٍ أُسْطُورِيَّةٍ مُوغِلَةٍ في التَّزْوِيرِ والزَّيْفِ، ومَجْعُولَةٍ «دِينًا»، و«مُعْتَقَدًا»، وآيِدْيُولُوجْيَا اسْتِعْمَارِيَّةً عُنْصُرِيَّةً»، وذَلِكَ مُذْ نِهَايَاتِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ الْمِيلادِيِّ، ورُبَّمَا عُودًا إِلى بَدْءِ «صَهْيَنَةِ الْيَهُودِ» في غُضُونِ قَرْنِ الْعُنْصُرِيَّةِ والتَّعَصُّبِ الَّذِي سَبَقَهُ، والشُّرُوعِ في «حَوْسَلَتِهِمْ» ومِنْ ثَمَّ «تَهْجِيرِهِمْ» مِنْ «أَوْطَانِهِمْ» الْحَقِيقِيَّةِ، الْمُوَرِّعَةِ في بِقَاعٍ شَتَّى مِنَ الْعَالَمِ، ولا سِيَّمَا مِنْ أُورُوبَا الاسْتِعْمَارِيَّةِ والْعُنْصُرِيَّةِ الَّتِي أَرَادَتْ تَنْظِيفَ نَفْسِهَا مِنْهُمْ، إِلى فِلَسْطِينَ، وشُرُوعِهِمْ، فَوْرَ وُصُولِهِمْ إِلَيْهَا، في سَلْبِ أَرَاضِيهَا بِدَعْمِ الْمُسْتَعْمِرِ الْبِرِيطَانِيِّ وغَيْرِهِ مِنَ الْقُوَى الرَّأْسَمَالِيَّةِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ، وفي اسْتِيطَانِهَا، اسْتِيطَانًا عَسْكَرِيًّا اسْتِعْمَارِيًّا، لإِنْشَاءِ «وَطَنٍ يَهُودِيٍّ قَوْمِيٍّ!»، هُوَ بِمَثَابَةِ «قَاعِدَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ» لِلصُّهْيُونِيَّةِ التَّوَسُّعِيَّةِ، ولِتِلْكَ الْقُوَى الرَّأْسَمَالِيَّةِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ، فِيهَا!

أَمَّا الْمَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ الْكُبْرَى؛ وهِيَ مَرْحَلَةٌ مَسْبُوقَةٌ بِفَتْرَةٍ انْتِقَالِيَّةٍ لَعَلَّهَا تَكُونُ قَدِ اسْتَغْرَقَتْ نَحْوَ عَقْدَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا مِنَ الزَّمَنِ، فَهِيَ تَبْدَأُ مِنْ لَحْظَةِ تَبَلْوُرِ الْوَعْيِ الْحَقِيقِيِّ، الْوَطَنِيِّ والْقَوْمِيِّ والإِنْسَانِيِّ، لَدَى الأَعَمِّ الأَغْلَبِ مِنَ الأُدَبَاءِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ، بِحَقِيقَةِ «الْخَطَرِ الْوُجُودِيِّ» الَّذِي يَتَهَدَّدُ وُجُودَ وَطَنِهِمْ: «فِلَسْطِينَ»، ووُجُودَهُمْ، جَرَّاءَ «الْغَزْوَةِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ الصُّهْيُونِيَّةِ» الْقَائِمَةِ عَلَى تَوْظِيفِ تَأْسِيسِيٍّ تَتَكَامَلُ مَجَالاتُ الأَنْشِطَةِ السِّيَاسِيَّةِ والْعَمَلِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ والْفَنِّيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ الْمُتَشَعِّبَةِ الَّتِي يَشْمَلُهَا، لِسَرْدِيَّةٍ أُسْطُورِيَّةٍ صُهْيُونِيَّةٍ مُؤَدْلَجَةٍ، ومَجْعُولَةٍ دِينًا مُسَيَّسًا، وعَقِيدَةِ تَعَصُّبٍ وعُنْصُرِيَّةٍ، وذَرِيعَةٍ هَيْمَنَةٍ كُلِّيَّةٍ عَلَى «فِلَسْطِينَ»، وبِلادِ الْعَرَبِ، وشُؤُونِ الْعَالَمِ!

وإِنِّي لأَحْسَبُ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْحَلَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ مَرَاحِلِ الأَدَبِ الْفِلَسْطِينِيِّ، سَتَتَوَاصَلُ أَحْقَابًا زَمَنِيَّةً لا مَكَانِيَّةً تَلُوهَا أَحْقَابٌ زَمَنِيَّةٌ لا مَكَانِيَّةٌ حَتَّى بُزُوغِ اللَّحْظَةِ الْحَضَارِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُتَوَّجَةِ بِتَجَلِّي الزَّمَكَانِ الْمُسْتَقْبَلِيِّ الْفِلَسْطِينِيِّ في رِحَابِ فِلَسْطِينَ، مَعَ تَحَقُّقِ الانْتِصَارِ النِّهَائِيِّ لِنِضَالِ شَعْبِهَا، والإِنْسَانِيَّةِ الْحُرَّةِ بِأَسْرِهَا، ضِدَّ التَّزْوِيرِ والزَّيْفِ، والتَّعَصُّبِ والْعُنْصُرِيَّةِ، والتَّوَحُّشِ الْبَشَرِيِّ الْمُنْفَلِتِ، الَّتِي هِيَ مُرْتَكَزَاتُ الصُّهْيُونِيَّةِ الْعُنْصُرِيَّةِ الأَسَاسِيَّةُ، ومُؤَسِّسَاتُ سَرْدِيَّتِهَا الْغَيْبِيَّةِ الزَّائِفَةِ بِشَأْنِ «فِلَسْطِينَ»، و«أَرْضِ الْمِيعَادِ»، و«شَعْبِ اللَّهِ الْمُخْتَارِ»، و«أَرْضِ إِسْرَائِيلَ الْكُبْرَى الْمُمْتَدَّةِ مِنَ الْفُرَاتِ

العودة إلى الفهرس

إلى النِّيل» ومِنْ ثَمَّ إلى أَبْعَد أُفُق تُبْصِرُهُ عَينُ جُنْديٍّ إسْرائيليٍّ مِنْ جُنُودِ «رَبِّ الْجُنُود»، و«دَوْلَةِ إسْرَائِيل الْكُبْرى» جُغْرَافِيًّا، و«إمْبراطُورِيَّةِ إسْرائيل الصُّهْيُونِيَّةِ العُظْمَى» مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ وفي كُلِّ مَجَالٍ، والْمُؤَهَّلَةِ، وحْدَهَا دُونَ سِوَاهَا، لامْتلاكِ العَالَمِ بأَسْرِه، و«تَلْوِينِه بِأَزْرَقِهَا» تَكْرِيسًا لِهَيْمَنَتِهَا الْمُطْلَقَةِ عَلى شُؤُونِه!

نَهْجٌ تَكامُلِيٌّ، وقِراءةٌ نَقْدِيَّةٌ تَفاعُلِيَّة:

وإلى ذَلك، سَتَكُونُ المَرْحَلَةُ الانْتِقالِيَّةُ هَذِه، في امْتِدَادِهَا الْجُذُورِيِّ المُتَشَعِّبِ في مَرْحَلَةِ «زَمكَانِ الحَقْلِ المَدِيد» التي سَبَقَتْهَا، وفي نُجُومِهَا عَنِ المُتَغَيِّرَاتِ والتَّحَوُّلَاتِ التي اسْتَهْدَفَتْ «لُحْمَةَ الزَّمَكَانِ الفِلَسْطِينِيِّ» فاسْتَولَدَتْهَا، وفي تَوَجُّهِهَا المُسْتَقْبَلِيِّ، المُتَشَعِّبِ أَيْضًا، صَوْبَ بَلْورةِ مَلامِحَ ومُكَوِّنَاتِ رُؤًى مُسْتَقْبَلِيَّةٍ تُؤَسِّسُ التَّوَجُّهَاتِ والاتِّجَاهَاتِ الأَبْرَزِ التي سَيَذْهَبُ الأَدَبُ الفِلَسْطِينِيُّ، في مَرْحَلَتِه الثَّانِيَةِ الكُبْرى المَوسُومَةِ بِزَمَانِيَّةٍ غَيْرِ مَكَانِيَّةٍ مِنْ جِهَة، وبِزَمَكَانِيَّةٍ وِجْدَانِيَّةٍ مِنَ الْجِهَةِ المُقَابِلَة، إلى بَلْوَرَتِهَا عَلَى نَحْوٍ أَعْمَقَ وأَنْضَجَ، هيَ المَدْخَلُ المَنْهَجِيُّ الأَصْوَبُ لِلشُّرُوعِ في مُقَارَبَةٍ نَقْدِيَّةٍ لِشَتَّى تَجَلِّيَاتِ هَذَا الأَدَبِ في هَذِهِ المَرْحَلَةِ المُتَعَدِّدَةِ الأَحْيَازِ الزَّمَانِيَّةِ والأَحْقَابِ، والتي لَم تَزَلْ مَفْتُوحَةً عَلَى أَزْمِنَةِ صِرَاعِ حَيَاتِيِّ وُجُودِيٍّ سَيَظَلُّ مَفْتُوحًا، سَواءٌ في المَكَانِ الفِلَسْطِينِيِّ المُنْتَزَعِ، بِالْقُوَّةِ الغَاشِمَةِ، مِنْ خَالِقِيهِ ومِنْ حَقِيقَتِهِ الحَضَارِيَّةِ والتَّارِيخِيَّةِ الرَّاسِخَةِ، أَوْ في أَيِّ حَيِّزٍ مِنْ أَحْيَازِ الْوُجُودِ الفِلَسْطِينِيِّ الزَّمَانِيِّ في العَالَمِ، عَلَى الأَزْمِنَةِ المَفْتُوحَةِ عَلَى لَحْظَةِ اسْتِعَادَةِ «المَكَانِ الفِلَسْطِينِيِّ» حَقِيقَتَهُ الأَصِيلَةَ بِعَوْدَتِه، عَوْدَةً كُلِّيَّةً، إلى خَالِقِيهِ: «شَعْبِ فِلَسْطِينَ».

وإضَافَةً إلى إعْمَالِهَا المَنْهَجَ القِرَائِيَّ التَّبَصُّرِيَّ التَّحْلِيلِيَّ النَّقْدِيَّ التَّكَامُلِيَّ الذي تَمَّتْ لَنَا بَلْورَةُ جَوْهَرِه، أو بُنَاتِه التَّأْسِيسِيَّةِ، في المَقَالَاتِ الأَرْبَعَةِ السَّابِقَةِ النَّشْرِ، هُنَا، في أَعْدَادٍ مُتَوَالِيَةٍ مِنْ مَجَلَّةِ «الهَدَف» بَدْءًا مِنَ العَدَد: 19 (1493) تشرين الأَوَّل (أُكْتُوبر) 2020، سَيَكُونُ لِهَذِهِ المُقَارَبَةِ النَّقْدِيَّةِ أَنْ تَنْفَتِحَ، طَيْلَةَ الوَقْتِ، عَلَى مُقْتَضَيَاتِ القِرَاءَةِ التَّفَاعُلِيَّةِ مَعَ النُّصُوصِ الأَدَبِيَّةِ عَلَى تَنَوُّعِ أَجْنَاسِهَا وتَعَدُّدِ أَشْكَالِهَا، وأَنْ تُلْزِمَ نَفْسَهَا بِإِعْمَالِ مَا تَسْتَوجِبُهُ أَنْسِجَتُهَا النَّصِّيَّةُ، وبُنَاهَا التَّكْوِينِيَّةُ الرُّؤْيَوِيَّةِ والجَمَالِيَّةِ، مِنْ إِجْرَاءَاتٍ تَحْلِيلِيَّةٍ، وأَنْ تَسْتَضِيءَ، بِتَوَاصُلٍ إِدْرَاكِيٍّ جَمَالِيٍّ ومَعْرِفِيٍّ، بِالْمِعْيَارِ الجَوْهَرِيِّ الذي بَيَّنَّا مُؤَسِّسَاتِه ومَنَابِعَ مُكَوِّنَاتِه عَلَى مَدَى المُقَارَبَاتِ السَّابِقَةِ، والذي هُوَ، بِإِيجَازٍ مُكَثَّف: الانْتِمَاءُ، بِتَوَاشُجٍ تَفَاعُلِيٍّ عَمِيقٍ ومُتَوَاصِلٍ، إلى الأَدَبِ بِالْتِزَامٍ مَنْظُومَاتِهِ الجَمَالِيَّةِ المِعْيَارِيَّةِ الكُلِّيَّةِ الثَّابِتَةِ، وتِلْكَ المُتَطَوِّرَةِ وفْقَ قَوَانِينِ أَجْنَاسِه، وإلى فِلَسْطِينَ بِاعْتِنَاقِ سَرْدِيَّتِهَا الأَصِيلَةِ في اقْتِرَانٍ مَعَ الإِسْهَامِ الإِبْدَاعِيِّ في بَلْورةِ رُؤْيَتِهَا المُسْتَقْبَلِيَّةِ الرَّصِينَةِ والمُتَكَامِلَة، لِنَكُونَ، عَنْ حَقٍّ، إِزَاءَ «الأَدَبِ» في أَصَالَتِه الإِبْدَاعِيَّةِ الجَمَالِيَّة، وفي تَوَافُرِه عَلَى مَا يَجْعَلُهُ جَدِيرًا بِأَنْ يُنْعَتَ بـ«الفِلَسْطِينِيِّ».

وفْقَ مُوجِبَاتِ هَذَا المِعْيَارِ الجَوْهَرِيِّ الوَاسِمِ الأَدَبَ بِأَدَبِيَّتِه الإِبْدَاعِيَّةِ الجَمَالِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُولَى، وبِفِلَسْطِينِيَّتِهِ المَشْرُوطَةِ بِانْتِمَاءِ الأَدِيبِ انْتِمَاءً كُلِّيًّا إلى فِلَسْطِينَ عَبْرَ اعْتِنَاقِه سَرْدِيَّتَهَا الحَضَارِيَّةَ التَّارِيخِيَّةَ الإِنْسَانِيَّةَ رَاسِخَةَ الوُجُودِ والمُسْتَقْبَلِيَّة، ومُتَابَعَتِه تَجْلِيَةَ حُضُورِ هَذِهِ السَّرْدِيَّةِ في تَجَلِّيَاتِ إِبْدَاعِهِ

اللوحة من أعمال الفنان كامل المغني

اللوحة من أعمال الفنان سليمان منصور

الأَدَبِيِّ، مِنْ جِهَة ثَانِيَة، تَأَسَّسَ المَنْهَجُ القِرَائِيُّ التَّحْلِيلِيُّ التَّكَامُلِيُّ الذي سَيَحْكُم سَعْيَنَا النَّقْدِيِّ المُتَوَخِّي تَعَرُّف كَيْفِيَّات حُضُور هَذَا المِعْيَار في إِبْدَاع الأَدَب الفِلَسْطِينِيِّ، سَوَاءٌ عَبْرَ تَجَلِّيَّة حُضُوره التَّكْوِينِيِّ النَّصِّيِّ المُتَنَوِّع، أَوْ عَبْرَ إِضْمَار وُجُودِه التَّأْسِيسِيِّ كَمِعْيَار يَتَحَكَّم عَلَاقَات جَمِيع مُكَوِّنَات العَمَل الأَدَبِيِّ إِلَيْه، وذلكَ بِاعْتِبَارِه المِعْيَارَ الجَمَالِيَّ والدَّلَالِيَّ، الجَوْهَرِيَّ والحَاسِمَ، الذي يُحَدِّدُ حَقِيقَةَ هذا الأدب إذ يَرْفِدُه بانْشِغَالَاتِه الأَسَاسِيَّة وأَسْئِلَتِه ومُحَفِّزَاتِ إِبْدَاعِه، وإِذْ يَزُوِّدُه بِأَمْوَاه مَنَابِعِه وأَنْوَار شُمُوسِه، وإِذْ يُكْسِبُهُ زَمَكَانِيَّتَهُ الفِلَسْطِينِيَّةَ الوُجْدَانِيَّةَ بِأَبْعَادِهَا الحَضَارِيَّة التَّارِيخِيَّة الإِنْسَانِيَّة، وبِتَجَلِّيَاتِهَا المَوْضُوعِيَّة في الزَّمَكَان المُطَابِق زَمَكَان الوُجْدَان الفِلَسْطِينِيِّ الكُلِّيِّ، وإِذْ يَصُوغُ مُكَوِّنَات هُوِيَّتِه الإِبْدَاعِيَّة الجَمَالِيَّة الأَصِيلَة والحَدَاثِيَّة، وإِذْ يُرَكِّزُه عَلَى بَلْوَرَة رُؤَى مُسْتَقْبَلِيَّة، صَادِقَة ومُتَمَاسِكَة وأَصِيلَة، لكونها تَتَأَسَّس عَلَى وَعْيٍ عَمِيقٍ بِحَقِيقَة صِرَاع السَّرْدِيَّتَيْن: الصُّهْيُونِيَّة الزَّائِفَة، والفِلَسْطِينِيَّة الحَقَّة.

ومَا حَقِيقَة صِرَاع السَّرْدِيَّتَيْن هَذه، إِلَّا حَقِيقَة مَعْرِفِيَّة مُؤَصَّلَة مِنْ كُلِّ مَنْظُور ووَجْهَة تَعْمَل العَقْل ولَا تَسْتَنِدُ إِلَى وَهْم أَو غَيْب، وهِيَ الحَقِيقَة التي تَقُول إِنَّه صِرَاعٌ حَيَاتِيٌّ يَوْمِيٌّ ووُجُودِيٌّ يَمُورُ فَوْقَ «أَرْض فِلَسْطِين»، وعَلَيْهَا، وكَذَا في شَتَّى أَحْيَاز وُجُودِهَا المَقْرُون بِوُجُود شَعْبِهَا في أَيِّ حَيِّز مِنْ أَحْيَاز العَالَم، مُنْذُ مَا يَرْبُو عَلَى قَرْن وثَلَاثَة عُقُود، وأَنَّه سَيَبْقَى مَفْتُوحًا عَلَى الأَزْمِنَة إِلَى أَنْ يَتِمَّ حَسْمُهُ لِصَالِح الحَقّ الفِلَسْطِينِيِّ، والحَقِيقَة الفِلَسْطِينِيَّة، بِأَبْعَادِهِمَا الحَضَارِيَّة والتَّارِيخِيَّة والإِنْسَانِيَّة المُتَفَاعِلَة، والمُنَاقَضَة، عَلَى نَحْوٍ جَذْرِيٍّ حَاسِم، لِلتَّعَصُّب الأَحْمَق، والعُنْصُرِيَّة التَّفَوُّقِيَّة، والتَّوَحُّش المُنْفَلِت، كَثَالُوث ظِلِّ يَحْكُمُ الصُّهْيُونِيَّة السِّيَاسِيَّة والعَمَلِيَّة الغَازِيَة، مُذْ نَشْأَتِهَا الَّتِي لَمْ تَتَأَسَّس إِلَّا عَلَيْه، والَّذِي لَمْ تَجِل نَفْسَهَا، في كُلِّ مَا قَدْ أَنْتَجَتْ مِنْ أَدَبِيَّات آيدِيُولُوجِيَّة، ومِنْ فُنُون، وآدَاب، ودِرَاسَات، ومَسْلَكِيَّات، وتَصَرُّفَات، إِلَّا مِنْ خِلَاله، وبِاتِّقَان دعَائِيٍّ تَرْوِيجِيٍّ مُلْزِم بِاتِّبَاع تَعْلِيمَاته، وبِالأَخْذ بِمُوجِبَاته في الدَّقّ المُتَوَاصِل عَلَى «عَقْل العَالَم»، فِيمَا هِيَ لَمْ تَكُفَّ، عَبْرَ كُلِّ تَجَلِّيَاتِهَا وأَنْشِطَتِهَا، ومُذْ مَا قَبْل إِعْلَان نَشْأَتِهَا حَتَّى اللَّحْظَة، عَن التَّقَنُّع، تَضْلِيلًا وخِدَاعًا وحَرْقًا لِلْوَعْي البَشَرِيِّ وغَسْلًا لِأَدْمِغَة النَّاس، بِنَقَائِضِه الإِنْسَانِيَّة النَّبِيلَة!

اللوحة من أعمال الفنان كامل المغني

ثَالُوثُ مَحَاوِرَ رَأْسِيَّةٍ، وثَلَاثَةُ مَفَاهِيم:

وَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَشْرَعَ، الآنَ، في تَرْسِيم خِطَّة العَمَل القِرَائِيِّ التَّحْلِيلِيِّ النَّقْدِيِّ لِلأَدَب الفِلَسْطِينِيِّ المُعَاصِر، والَّتِي أَحْسَبُ أَنَّ الِاطِّلَاعَ المُسْبَق عَلَيْهَا مِنْ قِبَل القَارِئَات والقَارِئِين، سَيَكُونُ ضَرُورِيًّا، وذَلِكَ أَخْذًا بِحَقِيقَة أَنَّ لِمَعْرِفَة الرُّؤْيَة المَنْهَجِيَّة التَّكَامُلِيَّة، ولِلِاطِّلَاع عَلَى مُكَوِّنَات الخُطَّة القِرَائِيَّة التَّحْلِيلِيَّة الكُلِّيَّة وضِمْنَهَا المَتْن الأَدَبِيُّ الَّذِي سَتَنْهَضُ عَلَيْه، أَنْ يُضِيئَا جَوَانِبَ نَوْعِيَّة سَتَتَوَجَّبُ مُقَارَبَتُهَا، وأَنْ يُظْهِرَا جُزَيْئِيَّات تَفْصِيلِيَّة سَتَتَطَلَّبُ التَّحْلِيلَ المُعَمَّق، وذَلِكَ عَلَى نَحْوٍ سَيُمَكِّنُنَا، اسْتِهْدَاءً بِمُقْتَضَيَات الرُّؤْيَة المَنْهَجِيَّة والخُطَّة القِرَائِيَّة التَّحْلِيلِيَّة، مِنْ تَأْصِيل مَا سَتُثِيرُهُ هَذِه الجَوَانِب والجُزَيْئِيَّات مِنْ فَرْضِيَّاتٍ كُلِّيَّة، كَمَا أَنْ لَهُمَا أَنْ

اللوحة من أعمال الفنانة صوفي حلبي

العودة إلى الفهرس

اللوحة من أعمال الفنان كامل المغني

يَفتَحَا بَصَائِرَ القَارِئَاتِ والْقَارِئِيْنَ عَلَى إدْرَاكِ التَّرَابُطِ، والانْعِكَاسِ القَبْلِيِّ والارْتِجَاعِيِّ، والتَّعَالُقِ القَائِمِ، والْمُمْكِنِ، بَيْنَ الجَوَانِبِ النَّوْعِيَّةِ، والجُزَيْئِيَّاتِ التَّفْصِيْلِيَّةِ، والفَرْضِيَّاتِ القَابِلَةِ للتَّأصِيْلِ، وذَلِكَ عَلَى نَحْوٍ يُعَزِّزُ إسْهَامَ القَارِئَاتِ والقَارِئِيْنَ، فِي تَأصِيْلِ هَذِهِ الفَرْضِيَّاتِ مِنْ مَنْظُورَاتٍ تَبَصُّرِيَّةٍ مُتَغَايِرَةٍ، وَوِفْقَ مُعْطَيَاتٍ تَجَارُبَ قِرَائِيَّةٍ نَصِّيَّةٍ تَتَبَايَنُ أزْمِنَتُهَا، وتَتَغَايَرُ الشُّرُوطُ الَّتِي تَحْكُمُهَا، فَتَنْفَتِحُ مُمْكِنَاتُ تَأوِيْلِ النُّصُوصِ الأدَبِيَّةِ الَّتِي تَنْفَتِحُ عَلَى قِرَاءَاتِهَا عَلَى مَا يُقَارِبُ حَقِيْقَتَهَا الكَامِنَةَ فِي ثَنَايَا أنْسِجَتِهَا، وفِي العَلاقَاتِ القَائِمَةِ بَيْنَ عَنَاصِرِ مُكَوِّنَاتِهَا، وبُنَاهَا.

تَنْهَضُ خُطَّةُ العَمَلِ هَذِهِ عَلَى ثَلاثَةِ مَحَاوِرَ رَأسِيَّةٍ؛ أوَّلُهَا: فَلَسْطِينُ وصِرَاعُ السَّرْدِيَّتَيْنِ: الفَلَسْطِيْنِيَّةِ التَّارِيْخِيَّةِ الحَقِيْقِيَّةِ، والصَّهْيُونِيَّةِ العَنْصُرِيَّةِ الزَّائِفَةِ؛ وثَانِيْهِمَا: الأدَبُ الفَلَسْطِيْنِيُّ وأجْنَاسُهُ؛ وثالِثُهَا: الزَّمَكَانُ الفَلَسْطِيْنِيُّ فِي صَيْرُورَتِهِ وتَحَوُّلاتِهِ. وعَلَى هَذِهِ المَحَاوِرِ الرَّأسِيَّةِ الثَّلاثَةِ سَتَتَحَرَّكُ مَحَاوِرُ أفُقِيَّةٌ مُتَرَابِطَةٌ ومُتَفَاعِلَةٌ، سَتَنْبَثِقُ، أسَاسًا وأوَّلِيًّا، عَنْ مِحْوَرٍ، أوْ عَنْ مِحْوَرَيْنِ، أوْ عَنِ المَحَاوِرِ الثَّلاثَةِ مُجْتَمِعَةً، ولكِنَّهَا تَبْقَى دَائِمًا، ومَهْمَا تَغَايَرَتْ كَيْفِيَّاتُ انْبِثَاقِهَا، عَلَى تَفَاعُلٍ، وتَدَاخُلٍ، وتَبَادُلِ انْعِكَاسٍ وتَأثِيرٍ، كَمَا أنَّهَا سَتَبْقَى دَائِرَةً، طَوَالَ الوَقْتِ وفِي آنٍ مَعًا، عَلَى المَحَاوِرِ الرَّأسِيَّةِ الثَّلاثَةِ أيًّا مَا كَانَ المِحْوَرُ الرَّأسِيُّ الَّذِي انْبَثَقَتْ، ابْتِدَاءً، عَنْهُ لِتَخْتَرِقَ المِحْوَرَيْنِ الآخَرَيْنِ، لِيَبْدُوَ الأمْرُ وكَأنَّنَا إزَاءَ حَلَقَاتٍ أفُقِيَّةٍ مُتَشَابِكَةٍ، أوْ إزَاءَ أوَانٍ مُسْتَطْرِقَةٍ يَنْسَرِبُ مَا يَحْتَوِيْهِ إنَاءٌ مِنْهَا إلَى سِوَاهُ.

ومِنَ الأهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ التَّأكِيْدُ عَلَى أنَّ نُقْطَةَ بِدَايَةٍ، وقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي تَحْدِيْدِ المَحَاوِرِ الأفُقِيَّةِ الأسَاسِيَّةِ الأبْرَزِ، وبَيَانِ مُسَبِّبَاتِ انْبِثَاقِ أيٍّ مِنْهَا عَنِ المِحْوَرِ الرَّأسِيِّ الَّذِي انْبَثَقَ عَنْهُ، واسْتِكْشَافِ مُمْكِنَاتِ تَفَاعُلِهِ التَّرَابُطِيِّ مَعَ المَحَاوِرِ الرَّأسِيَّةِ الأخْرَى، أنَّ مِحْوَرَ الزَّمَكَانِ الفَلَسْطِيْنِيِّ إنَّمَا يُحِيْلُ إلَى «الوَاقِعِ»: هَذَا الحَضَارِيِّ التَّارِيْخِيِّ الوُجُوْدِيِّ الَّذِي كَانَ قَائِمًا، ومُجَسِّدًا بِجَلاءٍ سَاطِعٍ، فِي فِلَسْطِيْنَ بِأسْرِهَا؛ وهَذَا الصِّرَاعِيِّ القَائِمِ الآنَ فِي صَيْرُورَتِهِ وتَحَوُّلاتِهِ؛ وهَذَا المُسْتَقْبَلِيِّ المَنْشُودِ والقَابِلِ للمَجِيْءِ عَبْرَ النِّضَالِ الفَلَسْطِيْنِيِّ المُتَوَاصِلِ والمُتَصَاعِدِ، والمُتَشَابِكِ المَجَالاتِ والأبْعَادِ، والمُسْتَهْدِفِ صَدَّ الغَزْوِ الصَّهْيُونِيِّ واجْتِثَاثَ شَتَّى تَجَسُّدَاتِهِ فِي شَتَّى مُتَعَلَّقَاتِ فِلَسْطِينَ، وفِي جَمِيْعِ أرْجَائِهَا، وفَوْقَ أيِّ حَيِّزٍ مِنْ أحْيَازِ أرْضِهَا المُحْتَلَّةِ، وشَوَاطِئِهَا، وسَمَاوَاتِهَا.

أمَّا مِحْوَرُ الأدَبِ الفَلَسْطِيْنِيِّ وأجْنَاسِهِ، فَإنَّمَا يُحِيْلُ إلَى الأنْوَاعِ والوَسَائِلِ والأسَالِيْبِ والآلِيَاتِ الإبْدَاعِيَّةِ المُعْتَمَدَةِ مِنْ قِبَلِ الأدَبَاءِ الفَلَسْطِيْنِيِّيْنَ، فِي هَذِهِ الحِقْبَةِ الزَّمَنِيَّةِ أوْ تِلْكَ، لإقَامَةِ واقِعٍ أدَبِيٍّ - جَمَالِيٍّ مُوَازٍ لِلوَاقِعِ الحَيَاتِيِّ الفِعْلِيِّ القَائِمِ، ومَفْتُوحٍ عَلَى بَلْوَرَةِ «رُؤْيَةٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ» بِشَأنِ الوَاقِعِ الفَلَسْطِيْنِيِّ الإنْسَانِيِّ المَنْشُودِ وُجُوْدُهُ، وكَيْفِيَّاتُ تَحْقِيْقِ وُجُوْدِهِ، وُجُوْدًا مَوْضُوعِيًّا فِعْلِيًّا، فِي فِلَسْطِينَ، ودَائِمًا فِي ضَوْءِ مُوَاجَهَةِ السَّرْدِيَّةِ الصَّهْيُونِيَّةِ الغَيْبِيَّةِ الزَّائِفَةِ، بِالحَقِّ الفَلَسْطِيْنِيِّ التَّارِيْخِيِّ وبِالحَقِيْقَةِ الفَلَسْطِينِيَّةِ الحَضَارِيَّةِ الإنْسَانِيَّةِ، وعَلَى نَحْوٍ لا يَنْفَصِلُ، أبَدًا، عَنِ المِحْوَرِ الرَّأسِيِّ دائِمِ الفَاعِلِيَّةِ والحُضُورِ، ألا وهُوَ: «فِلَسْطِيْنُ وصِرَاعُ السَّرْدِيَّتَيْنِ» الَّذِي يُحِيْلُ إلَى المَنْظُورِ والرُّؤْيَةِ اللَّذَيْنِ يُؤَسِّسَانِ فِلَسْطِيْنِيَّةَ الأدَبِ الفَلَسْطِيْنِيِّ عَبْرَ إكْسَابِهِ جَوْهَرَ هُوِيَّتِهِ الَّذِي يَمْنَحُهُ صَدْقِيَّتُهُ الرُّؤْيَوِيَّةُ الكَفِيْلَةُ بِتَعْزِيْزِ صَدْقِيَّتِهِ الجَمَالِيَّةِ، وإثْرَاءِ إبْدَاعِيَّتِهِ الإنْسَانِيَّةِ، وهُمَا الصِّدْقِيَّةُ المُزْدَوَجَةُ، والثَّرَاءُ الإنْسَانِيِّ، الكَفِيْلانِ بِتَوْسِيْعِ مُمْكِنَاتِ رَوَاجِ الأدَبِ الفَلَسْطِيْنِيِّ، رَوَاجًا ابْتِدَائِيًّا مَشْهُودًا ومُتَغَايِرَ القَنَوَاتِ والأشْكَالِ، فِي أوْسَاطِ قُرَّاءِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ونَاطِقِيْهَا، والمُؤَسِّسَانِ إمْكَانِيَّةَ فَتْحِ مَدَارَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ ولُغَوِيَّةٍ جَدِيْدَةٍ، وتَوْسِيْعِ مَدَارَاتٍ قَائِمَةٍ، لِتَرْجَمَتِهِ إلَى لُغَاتٍ عَالَمِيَّةٍ لا تَقْتَصِرُ عَلَى اللُّغَاتِ العَالَمِيَّةِ الأسَاسِيَّةِ السِّتِّ، بَلْ تَتَخَطَّاهَا عَلَى نَحْوٍ يَفْتَحُ آفَاقَ نَشْرِهِ، وتَدَاوُلِهِ، عَلَى مُسْتَوَى العَالَمِ بِأسْرِهِ.

وهَكَذَا تَكُونُ، مع المَحَاوِرِ الرَّأسِيَّةِ الثَّلاثَةِ إزَاءَ «الواقِعِ بِشُمُولِهِ وصَيْرُورَتِهِ وتَحَوُّلاتِهِ»، و«الأدَبِ بِشَتَّى أجْنَاسِهِ وأشْكَالِهِ»، و«المَنْظُورَيْنِ الرُّؤْيَاوِيِّ والجَمَالِيِّ عَلَى تَنَوُّعِ تَجَلِّيَاتِهِمَا»، أيْ أنَّنَا نَكُونُ إزَاءَ الثَّالُوثِ الإبْدَاعِيِّ التَّأسِيْسِيِّ الَّذِي عَلَى مِحْوَرِهِ، وفِي مَجَالِهِ الحَيَوِيِّ التَّفَاعُلِيِّ، يُوْجَدُ الأدِيْبُ الفَلَسْطِيْنِيُّ وتَتَبَلْوَرُ رُؤْيَتُهُ لِلعَالَمِ، ويُبْدِعُ الأدَبُ الفَلَسْطِيْنِيُّ مُحَفِّزًا بِدَوَافِعَ مُتَنَوِّعَةٍ تَنْبَعُ مِنْ عَلاقَةِ الأدِيْبِ الفَلَسْطِيْنِيِّ بِذَاتِهِ، وبِهُوِيَّتَيْهِ (الفَرْدِيَّةِ، والوَطَنِيَّةِ الجَمْعِيَّةِ) اللَّتَيْنِ يَنْشُدُ كَمَالَهُمَا الإنْسَانِيَّ المُمْكِنَ، وبِوَاقِعِهِ القَائِمِ (الوَطَنِيِّ والإنْسَانِيِّ) الَّذِي يَنْشُدُ تَغْيِيْرَهُ لِيُطَابِقَ الحَقَّ والحَقِيْقَةَ، ولِيَتَّسِمَ بِالكَرَامَةِ الإنْسَانِيَّةِ، والعِزَّةِ الوَطَنِيَّةِ، والحُرِّيَّةِ، كَثَالُوثٍ إنْسَانِيٍّ قِيَمِيٍّ مُتَفَاعِلٍ يَكْفُلُ الأخْذَ بِهِ، واحْتِرَامَهُ، الالْتِزَامُ الفِعْلِيُّ بِتَطْبِيْقِ مُوجِبَاتِهِ مِنْ قِبَلِ دُوَلِ العَالَمِ والإنْسَانِيَّةِ بِأسْرِهَا، عَوْدَةَ فِلَسْطِيْنَ إلَى حَقِيْقَتِهَا، وذَلِكَ بِعَوْدَةِ خَالِقِهَا؛ أيِ الإنْسَانِ الفَلَسْطِيْنِيِّ، إلَيْهَا، عَوْدَةً حَقِيْقِيَّةً لا يَجَسِّدُ تَحَقُّقَهَا الفِعْلِيَّ مِنْ شَيْءٍ سِوَى تَطَابُقِ زَمَكَانِهَا الوَاقِعِيِّ الوُجُوْدِيِّ المَفْتُوحِ عَلَى المُسْتَقْبَلِ، مَعَ زَمَكَانِهَا المَائِرِ فِيْهَا، مُذْ بَدْءِ البَدْءِ وإلَى أبَدِ هُوَ الأبَدُ، كَمَجَالٍ حَيَوِيٍّ وُجُوْدِيٍّ يَمُورُ بِعَطَاءِ الوِجْدَانِ الفَلَسْطِيْنِيِّ الحَضَارِيِّ التَّارِيْخِيِّ الإنْسَانِيِّ الكُلِّيِّ، بِقَدْرِ مَوَرَانِهِ الحَيَوِيِّ فِي كَيْنُوْنَةِ الكَوْنِ، وفِي سُمُوِّ الحَضَارَةِ الإنْسَانِيَّةِ القَائِمَةِ، أصْلاً وبِالضَّرُورَةِ الجَوْهَرِيَّةِ، عَلَى كُلِّ مَا يُجَافِي التَّعَصُّبَ الغَيْبِيَّ الأحْمَقَ، والعُنْصُرِيَّةَ السَّوْدَاءَ، والتَّوَحُّشَ البَشَرِيَّ المُنْفَلِتْ■

في نقد الرواية اللاهوتية الاستشراقية من جديد
عبادة الشمس في اليمن ورمزية الصراع بين النور والظلام
الحلقة2

د. فاضل الربيعي. مؤرخ ومفكر عراقي/ بريطانيا

سنبدأ بتحليل النص الخاص بأسطورة شمشون من المنظورين المثيولوجي (الأسطوري) والتاريخي:

أولاً:

من الواضح أن كهنة بني إسرائيل كانوا يتطلعون في هذا العصر، بين 200-120 ق.م، أي طوال 80 عاماً من الصراع لاستعادة أورشليم التي ظلت مدينةً وثنيةً لوقت طويل، وهم وجدوا في استعادة رواية ولادة المخلص من أم عاقر، كما روتها التوراة عن الآباء المؤسسين، إبراهيم وإسحق ويعقوب الذين خاضوا الصراع القديم نفسه ضد الفلشتيم الغلف (غير المختونين) رمز الجدب والعقم، فرصة لإعادة تخيّل شمشون المخلص، ولكن دون أن يكون كاهناً، بكلام آخر: جرى تخيّل المخلص في هذا العصر كبطل وليس كاهناً؛ ولذا ولدت أسطورة (أشمشون) الإله- الأب الشمس من رحم فكرة أن الخلاص الحقيقي للإسرائيليين يكمن في ظهور «بطل» وليس كاهناً جديداً.

وهذه هي أسس العقيدة الدينية السبأية القديمة التي نظرت إلى الشمس كإله أب، ثم نظرت إليه في مرحلة لاحقة، كإلهة أم يتزوجها الإله المقةَ (إله العقل- مك، مخ) لينجب منها الإله القمر تألب (طالب).

إن عودة الإله الشمس للظهور بهذه الصورة الرمزية الذكورية، كأب- ابن مخلص، يؤكد لنا بشكلٍ قاطع أن الأحداث دارت بالفعل في وقتٍ متأخر، لأن هذه العقيدة كانت قد اندثرت منذ وقت طويل بوصف الشمس أنثى ولم تكن ذكراً.

إن السورة القرآنية التي تتحدث عن قوم سبأ الذين يسجدون للشمس، هي استطراد ديني في تأكيد هذه الحقيقة التاريخية، فقد ظلت الشمس إلهاً أنثوياً مركزياً في العقائد الدينية القديمة، ولذلك، سننظر إلى أسطورة شمشون على أنّها من أساطير إله الشمس اليمني الذي أصبح إلهاً ذكورياً.

ثانياً:

ولأن عبادة الشمس كانت عقيدة دينية ضمن منظومة سيطرت فيها عبادة الثلاثي الكوكبي، الشمس والقمر والزهرة على معظم المعابد في منطقتي الجوف ومأرب؛ بما فيها معبد صرواح المركزي الذي أنشأه السبأيون، فمن المنطقي تخيّل زواج شمشون- إله الشمس- بامرأة وثنية، وقد تحوّل إلى حكاية شعبيةً دينية يرويها الكهنة بلغة الرموز، وهذا هو مغزى الزواج الرمزي بفتاة من عبّاد الإله الوثني الفلس (فلستيم)، كما أنه تجسيد لفكرة اقتران الليل بالنهار، النور بالظلام. إنهما زوجان من مادتين متصارعتين.

ثالثاً:

إن تحليل أسطورة شمشون ودليلة من هذا المنظور، سيقودنا إلى تصوّر مغاير للتاريخ الإسرائيلي، ففي هذا العصر، ظهرت بوادر مصالحة داخل الجماعة

العودة إلى الفهرس

الدينية الإسرائيلية- اليهودية مع التاريخ الديني الوثني السبأي القديم، وذلك عبر تبرير العودة إلى الإيمان بعقيدة الشمس – الإله الأب المتزوج من إلهة ، وهو تصوّر مقلوب للتصور السبأي، حيث إله العقل - الإله المقه، هو الذي يتزوج الإلهة شمس، وينجب منها الابن المخلص، إن هذا الجزء من المروية التوراتية عن زواج شمشون الأسطوري بامرأة وثنية، ثم تحريم الخمر، وهما أمران يبدوان متناقضين، ضمن أسس التشريع الديني اليهودي، إنما يروي لحظة التحوّل في يهودية هذا العصر، فقد نشأت داخل طبقة الكهان، ما يمكن اعتبارها جماعة (حنيفية) لم تكتمل عندها شروط التوحيد الديني، فهي تحرّم الخمر من جانب، ولكنها تعيش داخل بيئة وثنية.

رابعاً:

تقع (تمنة/ تمن) حتى اليوم وباسمها هذا (الثمنة - التمنة) في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة الغضيبة، قرية الشرقي، محلة الثامنة.

وفي هذا المكان سوف نجد الجماعة المسمّاة الفلستيون (فلستيم): محافظة إب، مديرية العدين، عزلة عردن، قرية حور، محلة بيت الفليسي، هذا التطابق الجغرافي المدهش بين وجود تمنة والفلشتيم، ينسف كل وأيّ أساس قامت عليه الرواية اللاهوتية الزائفة، والقائلة أن أحداث التوراة جرت في فلسطين، فلا وجود في جغرافية وتاريخ فلسطين أي أثر لغوي أو أركيولوجي لوقوع أحداث القصّة الأسطورية.

خامساً:

سوف يكشف لنا مسار المروية عن العلاقة بين تحريم الخمر، ووجود بساتين العنب في المكان الذي زحف إليه شمشون، فهو (كرم تمنة)، لكنه بدلاً من مقاتلة الفلستيّين الوثنيين، سوف يجد نفسه وهو يقاتل شبل أسد في البستان، فيشقه نصفين كما يُشق الجدي، وحين تركه مطروحاً غارقاً بدمائه وغادر البستان، عاد إليه بعد أيام ليجدَ النحل وقد صنع العسل في جوف الشبل الذي شق نصفين. إن هذه الصور تنطوي على دلالة رمزية هامة للغاية، فالعنب بمذاقه الحلو، رديف دلالي للعسل بمذاقه الحلو.

ولمّا كان شمشون أحب امرأة فلستية - وثنية حسنت في عينيه، وطلب من أبيه

وأمه أن يتخذاها له زوجة، ففي هذه الحالة، تصبح التناظرات ضمن نسق رمزي واحد: المذاق الحلو، المرأة، العنب، العسل.

كان الأسد من أهم رموز الديانة والمعتقدات الروحية اليمنية القديمة، وقد اعتنى السبأيون برمزيته، بالطبع بدرجة أقل من الوعل، ولكن بأقل مكانة من الثور الذي يحتفظ بمكانة قدسيّة لا تضاهيها أي مكانة، ويفهمٌ من نصٌ نقش للإله تألب في معبد ريام، أن الإله تألب ريام وهو ابن الإله المقه من زوجته الشمس، حرّم على أتباعه رعي المواشي باتجاه حدود الإله « نواش»- وهذا الاسم يعيد تذكير العرب باسم أبو نؤاس الشاعر العباسي-، ووجد على يمين الصخرة التي كتب عليها النقش رسمٌ لأسد (وشكل زهرة عشتر).

ولأن ظهور المخلص مرتبط ببشارة الرّب، فقد جاء ملاك الرّب ليختار شمشون هذه المرة كرمز للشمس، هاكم ما يقوله السفر (قضاة 14: ،):

(فَنَزَلَ شَمْشُونُ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ إِلَى تِمْنَةَ، وَأَتَوْا إِلَى كُرُومِ تِمْنَةَ. وَإِذَا بِشِبْلِ أَسَدٍ يُزَمْجِرُ لِلِقَائِهِ. فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، فَشَقَّهُ كَشَقِّ الْجَدْيِ، وَلَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ. وَلَمْ يُخْبِرْ أَبَاهُ وَأُمَّهُ بِمَا فَعَلَ. فَنَزَلَ وَكَلَّمَ الْمَرْأَةَ فَحَسُنَتْ فِي عَيْنَيْ شَمْشُونَ. وَلَمَّا رَجَعَ بَعْدَ أَيَّامٍ لِكَيْ يَأْخُذَهَا، مَالَ لِكَيْ يَرَى رِمَّةَ الأَسَدِ، وَإِذَا دَبْرٌ مِنَ النَّحْلِ فِي جَوْفِ الأَسَدِ مَعَ عَسَلٍ. فَاشْتَارَ مِنْهُ عَلَى كَفَّيْهِ، وَكَانَ يَمْشِي وَيَأْكُلُ، وَذَهَبَ إِلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَأَعْطَاهُمَا فَأَكَلا، وَلَمْ يُخْبِرْهُمَا أَنَّهُ مِنْ جَوْفِ الأَسَدِ اشْتَارَ الْعَسَلَ).

في هذا الجزء من النص، يتحول جوف شبل الأسد إلى وعاء لإنتاج العسل (منحلة)، وبدلاً من أن يتعفّن جوفه بعد القتل والشق إلى نصفين، تحوّل جوفه إلى مصدر للطعام، ساعد المخلص السائر في طريقَ العودة إلى عائلته في مواجهة من الجوع، فأكل منه وأطعم آخرين، هذا الانقلاب المفاجئ في الصور، يختزن دلالات خاصة.

لقد شق شمشون شبل الأسد إلى نصفين، تماماً كما تُشرم شفاه الأرنب، وهذا الشرم الذي حللّ دلالاته الرمزية شتراوس (1) ارتباطاً بولادة التوأم، الطيب والشرير، يحيلنا إلى الدلالات نفسها؛ إذ تحوّل الجوف إلى (منحلة) تنتج العسل، ولكن دون أن نعلم هل الجوف نفسه انشق إلى نصفين (توأمين)؟ إذا كان الأمر كذلك، وتحول كل شق إلى (منحلة) فهذا يعني أن القتل أنتج تؤأمين طيبيّن بديلاً من شبل شرير.

لقد عاد الشبل إلى الحياة في صورة توأمين طيبين يقدمان العسل لشمشون، وإذا ما ربطت هذه الدلالات بالشمس، فسوف يكون لدينا تصوّر ديناميكي عن المعتقدات الدينية القديمة في اليمن، فقد وهبت الشمس الخصب في أعلى درجاته، حين تضاعف الواحد وأصبح أثنين (توأمين)، فلنتأمل في نصّ

السفر (قضاة 14: 10: 20):
(وَنَزَلَ أَبُوهُ إِلَى الْمَرْأَةِ، فَعَمِلَ هُنَاكَ شَمْشُونُ وَلِيمَةً، لأَنَّهُ هكَذَا كَانَ يَفْعَلُ الْفِتْيَانُ. فَلَمَّا رَأَوهُ أَحْضَرُوا ثلاثِينَ مِنَ الأَصْحَابِ، فَكَانُوا مَعَهُ. فَقَالَ لَهُمْ شَمْشُونُ: «لأُحَاجِيَنَّكُمْ أُحْجِيَّةً، فَإِذَا حَلَلْتُمُوهَا لِي فِي سَبْعَةِ أَيَّامِ الْوَلِيمَةِ وَأَصَبْتُمُوهَا، أُعْطِيكُمْ ثَلاثِينَ قَمِيصًا وَثَلاثِينَ حُلَّةَ ثِيَابٍ. وَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَحُلُّوهَا لِي، تُعْطُونِي أَنْتُمْ ثَلاثِينَ قَمِيصًا وَثَلاثِينَ حُلَّةَ ثِيَابٍ». فَقَالُوا لَهُ: «حَاجِ أُحْجِيَّتَكَ فَنَسْمَعَهَا». فَقَالَ لَهُمْ: «مِنَ الآكِلِ خَرَجَ أَكْلٌ، وَمِنَ الْمِرِّ خَرَجَتْ حَلاوَةٌ». فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَحُلُّوا الأُحْجِيَّةَ فِي ثَلاثَةِ أَيَّامٍ. وَكَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّهُمْ قَالُوا لامْرَأَةِ شَمْشُونَ: «تَمَلَّقِي رَجُلَكِ لَكِي يُظْهِرَ لَنَا الأُحْجِيَّةَ، لِئَلاَّ نُحْرِقَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ بِنَارٍ. أَلِلتَّسْلِيبِ دَعَوْتُمُونَا أَمْ لا؟» فَبَكَتِ امْرَأَةُ شَمْشُونَ لَدَيْهِ وَقَالَتْ: «إِنَّمَا كَرِهَتْنِي وَلاَ تُحِبُّنِي. قَدْ حَاجَيْتَ بَنِي شَعْبِي أُحْجِيَّةً وَإِيَّايَ لَمْ تُخْبِرْ». فَقَالَ لَهَا: «هُوَذَا أَبِي وَأُمِّي لَمْ أُخْبِرْهُمَا، فَهَلْ إِيَّاكِ أُخْبِرُ؟». فَبَكَتْ لَدَيْهِ السَّبْعَةَ الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا كَانَتْ لَهُمُ الْوَلِيمَةُ. وَكَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّهُ أَخْبَرَهَا لأَنَّهَا ضَايَقَتْهُ، فَأَظْهَرَتِ الأُحْجِيَّةَ لِبَنِي شَعْبِهَا.
فَقَالَ لَهُ رِجَالُ الْمَدِينَةِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: «أَيُّ شَيْءٍ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَمَا أَشْجَعُ مِنَ الأَسَدِ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «لَوْ لَمْ تَحْرُثُوا عَلَى عِجْلَتِي، لَمَا وَجَدْتُمْ أُحْجِيَّتِي». وَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ فَنَزَلَ إِلَى أَشْقَلُونَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلاثِينَ رَجُلاً، وَأَخَذَ سَلَبَهُمْ وَأَعْطَى الْحُلَلَ لِمُظْهِرِي الأُحْجِيَّةِ. وَحَمِيَ غَضَبُهُ وَصَعِدَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ. فَصَارَتِ امْرَأَةُ شَمْشُونَ لِصَاحِبِهِ الَّذِي كَانَ يُصَاحِبُهُ)

سوفَ أقدّم مرة أخرى بعض الملاحظات التوضيحيّة للنصّ:

أولا:

يقوم النص هنا على متتالية تكرار وهذا يعني أن الكهنة الأعداد 30، 7، 3، الذين صاغوا الأسطورة الشعبية- الدينية، ربطوا بين عبادة الشمس، الإله الأعظم المتجليّ في صورة شمشون، وبين التقويم الشمسي، ووجدوا في رموز العنب، العسل، المرأة، تجسيداً للخصب الأعلى، إن تصميم الأحجية لمناسبة اقتران الشمس زواجه (زواج الأب في تجليّه الأول قبل تحوله إلى أم مع السبأيين) من المرأة الوثنية، موظف في الأصل لأجل هذا التتابع الزمني 3، 7 ،30، فهناك ثلاثون ضيفاً، وثلاثون قميصاً، وثلاثون بجاد (وشاح يستخدمه اليمنيون حتى اليوم كما يستخدمه اليهود ، ثلاثون حلفة – لحفة بجاد) ثم المهلة لحل الأحجية حيث تتكرر الأرقام: ثلاثة أيام، ثم سبعة أيام تبكي المرأة خلالها.

ثانياً:

تدور الأحجية في نطاق الفكرة التالية: إن الطعام يُنتج من الطعام (مِنَ الآكِلِ خَرَجَ أَكْلٌ، وَمِنَ الشجاع تخرج الحَلاوَةٌ) أي أن الحيوان المفترس صار مصدراً للطعام، ومن مرارة القتل خرجت الحلاوة – العسل -، فماذا يعني ذلك ؟ لو أننا وضعنا هذه الأحجية داخل منظومة رموز العقم والجدب (للمرأة العاقر، شبل الأسد الذي شق نصفين، عجز الجماعة عن حل الأحجية الخ..) لوجدنا أنفسنا وجهاً لوجه، أمام حقيقة أخرى مغايرة: من الجدب يولد الخصب، ومن الموت تولد حياة أخرى (ثانية)، مثل هذه الأفكار الفلسفية التي صاغها الكهنة في عصر اليهودية الضعيفة والمتدهورة، تشكل مادةً حيوية في التعليم الديني، فهو يحث على القتال بوصفه عملا مثمراً.

ثالثاً:

فلماذا يقترن حل الأحجية بزحف شمشون صوب أعدائه في أسقلون- وليس عسقلان الفلسطينية بكل تاكيد-؟ إن الفكرة الجوهرية في الأحجية تكمن هنا، فهو يحث الجماعة على مواجهة الأعداء مهما كانت شراستهم، لكن جماعة صغيرة تخاذلت ورمزياً فشلت في حل الأحجية؛ ولذا تحايلت على شمشون باستدراج زوجته لتسرق منه الحل، وحين اكتشف الخدعة، تخلّى عن زوجته لأحد أصدقائه، ثم ذهب لقتال سكان أسقلون، هذا يعني أن جزءاً من الأسطورة، تمّ تصميمه لرواية هذا الجانب من تاريخ صراعات القبائل اليمنية، ولكن بعد وقت طويل من انهيار مملكة سبأ، وأنّ هُناك جمًاعات كثيرة تخلّت عن الاستمرار في القتال، فهل ثمة منطق في هذا السرد ؟ كيف لنا أن نجمع قطع هذا اللغز: أحجية عن الطعام، مصرع شبل الأسد، وتحويل جوفه إلى منحلة لإنتاج العسل، طلاق المرأة ثم تقديمها هدية لرجل آخر، والذهاب للحرب ضد الفلشتيم، وإلى أين اتجه شمشون، ومن سيحارب ؟
هذه الألغاز سوف تكون قابلة للحل حين نعيد قراءة الإصحاح الخامس عشر من سفر القضاة.

في الختام سأشير إلى الفكرة التالية:

إن أسطورة شمشون لا علاقة لها بفلسطين ولا بالفلسطينيين، هذه أسطورة قبائل يمنية دونها كهنة يهود اليمن، وهل يمكن للفلسطيني أن يتقبّل أنه «نجس» لأنه «غير مختون» وأن إله الشمس هزمه. تفسير الأسطورة كما قدمه الاستشراقيون اللاهوتيون كان موظفاً لإلحاق العار بالفلسطينيين المعاصرين■

١- كلود ليفي شتراوس: الحياة العائلية والاجتماعية لهنود النامبيكوارا. (1948) البنى الأولية للقرابة (1949). العرق والتاريخ. (1952) مداريات حزينة. (1955)

مدخل لتجربة ثقافية مرئية
في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

خاص «الهدف»

من الصعب أو ليس من السهل الحديث عن التجربة الثقافية المرئية منها والتي تبنتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وذلك لثرائها على صعد كثيرة ضمن ظروف بالغة الصعوبة فلسطينياً ولبنانيا وعربياً وأيضاً عالمياً، فالتجربة في مجال الثقافة المرئية، في إطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين دوّنها مؤسس قسم السينما والمسرح الرفيق قاسم حول في مذكراته التي سوف تصدر قريباً، والتي تشكل تجربة الجبهة الشعبية في الثقافة المرئية السينمائية والمسرحية حيزاً واسعاً في المذكرات التي امتدت منذ العام 1970 وحتى بعد عام 1982.

حين حصل اللقاء بين السينمائي والكاتب العراقي قاسم حول والمفكر والروائي الكبير غسان كنفاني الذي كان رئيساً لتحرير مجلة الهدف وعضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام 1970، وجد غسان كنفاني في قاسم حول الموهبة والوطنية التي ربما كان غسان يبحث عنها، ووجد قاسم حول في غسان كنفاني وفي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المكان الذي يستطيع من خلاله التعبير عن رفضه للدكتاتوريات المريضة في المنطقة العربية والعمل من أجل الحلم الفلسطيني، هكذا كان اللقاء، وهكذا كان الاتفاق، اتفاق لم يختلف فيه اثنان من محبي الوطن ومحبي فلسطين، سرعان ما بدأ النشاط. لم تكن الجبهة الشعبية والمقاومة الفلسطينية تملك إمكانيات مالية لكي تغطي هذا الجانب الذي يشكل المال عصب الإنتاج السينمائي، فبادر قاسم حول في شراء جهاز عرض سينمائي قياس ستة عشر ملمترا، ودق أبواب السفارة الكوبية للحصول على أفلام صار يحملها وينتقل بين القواعد والمخيمات لينشر ثقافة السينما في صفوف المقاتلين وفي صفوف شعبنا في المخيمات الفلسطينية، وفي زيارة له لمخيم النهر البارد خطر في ذهنه بناء مسرح متنقل على ساحل البحر، فأبلغ غسان كنفاني أن نبدأ في المسرح لحين أن تتوفر لنا خميرة مالية نحرك فيها الكاميرا السينمائية.

أقام قاسم حول مدرسة في مخيم النهر البارد لتجربة يدرس فيها التمثيل وكتابة النص من خلال أحاديث الناس وتولى الكاتب جمعة اللامي كتابة النص وعملت النحاتة منى السعودي تصميم ديكور المسرحية، كل ذلك المسرحية تكتب وهي بلا عنوان، في ذات يوم وفيما قاسم حول يدرب الممثلين على التمثيل، قفز أحد الأطفال وقال لماذا لا نسمي المسرحية «طفل بلا عنوان»، وفجأة فرح الجميع وتم تثبيت عنوان المسرحية التي كانت بلا عنوان، وتمت تسميتها «طفل بلا عنوان»، ويوم تم افتتاح المسرحية لم يكن أحد يتوقع الزخم الذي حظيت به المسرحية، وبدلا من عرضها ليلة واحدة، استمر عرضها أربعة أيام، وسرعان ما توالت الطلبات من كل المخيمات لتقديم المسرحية وصارت الفرقة المسرحية فرقة جوالة تقدم مسرحية طفل بلا عنوان.

تمت صياغة التجربة بتفاصيلها في دراسة نشرتها مجلة مواقف التي يملكها الشاعر أدونيس ونشرت الدراسة بقلم جمعة اللامي وقاسم حول، جمعة اللامي الكاتب وقاسم حول المخرج.

كان الحلم أن نعتمد ثقافة الصورة، يقول قاسم حول «كنا بحاجة إلى كاميرا ستة عشر ملمتراً وكنا بحاجة إلى جهاز صوت» حتى نوثق ونصور الأحداث التي كنا نحتاج إلى توثيقها يومياً.

ولقد التحق مع قسم السينما الذي سمي بداية «اللجنة الفنية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» عناصر من الشباب الفلسطيني الذي عمل الرفيق قاسم على عمل دورات سينمائية لهم في مجال التصوير، وحتى نبقي التفاصيل المشوقة جداً لأهم تجربة سينمائية في ساحة المقاومة الفلسطينية في مذكرات قاسم حول، فإننا هنا نلخص أهم المحطات في هذه المسيرة الثقافية المشرفة التي أشرف عليها المكتب السياسي للجبهة ممثلا بغسان كنفاني وبسام أبو شريف بعد استشهاد الرفيق والكاتب الكبير غسان كنفاني:

1 – توثيق الحياة اليومية تقريباً للقواعد والمخيمات الفلسطينية

2 – التثقيف السينمائي والمسرحي للجماهير الفلسطينية

صورة نادرة، قاسم حول في تبنين مع المقاتلين لمجابهة الغزو الإسرائيلي لمدينة صور 1978 وكان معه اثنان من المصورين.

3 – خلق كوادر فلسطينية وعربية في مجال التصوير وإنتاج الأفلام الوثائقية
4 – حققت الجبهة الشعبية أول مشاركة عالمية في مهرجانات السينما ورفعت العلم الفلسطيني بين أعلام البلدان المشاركة وذلك في فيلم «النهر البارد»
5 – حصلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على فيلم بيوتنا الصغيرة على الجائزة الفضية «حمامة بيكاسو الفضية» في مهرجان لايبزغ في ألمانيا الديمقراطية
6 – أنقذت الجبهة الشعبية التاريخ المصور من قبل البريطانيين في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ونقلته من عدن إلى بيروت على نفقتها وقامت بترميمه وطباعة نسخة سالبة وموجبة منه وأعادته إلى جمهورية اليمن، وهذا عمل استثنائي وغير عادي وقوفا مع تجربة اليمن الطليعية
7 – قامت الجبهة بدورة سينمائية لشباب اليمن في بيروت وتم اختيار المتفوقين منهم وحصلوا عبر وزارة الثقافة اليمنية على دورات سينمائية في ألمانيا
8 – حقق قسم السينما في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين دورات فلسطينية وإرسال بعثات لبعض البلدان الاشتراكية
9 – وفرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين معدات تقنية ساعدت الكثير من السينمائيين العرب باستخدامها لخدمة القضايا الوطنية العربية وذلك بتقديم التسهيلات التقنية للمخرجين الطليعيين العرب.
10 – أنجز قسم السينما أربعة أعداد من مجلة الهدف السينمائية «المجلة السينمائية المرئية» تضم الأحداث الفلسطينية المصورة.
11 – ساهم قسم السينما في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في تحرير القسم الثقافي الأدبي والفني لمجلة الهدف المجلة المركزية الناطقة بلسان الجبهة الشعبية حيث كانت التقارير الصحفية وأخبار نشاطات السينما في العالم والدراسات النقدية تصدر كلها من قسم السينما للصفحة الثقافية لمجلة الهدف.
12 – أنجزت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من خلال قسم السينما أول تجربة سينمائية روائية في الساحة الفلسطينية ممثلة بفيلم «عائد إلى حيفا» الذي أصبح إشارة ثقافية هامة جدا في السينما وهو الفيلم الروائي الوحيد في مسيرة حركة المقاومة الفلسطينية وما يزال الفيلم مرجعاً ثقافياً لتاريخ القضية الفلسطينية ورؤية واعية فكرية وثقافية، ما يزال الفيلم يعرض في المهرجانات والجامعات في العالم كعينة متميزة في السينما، الفيلم عن رواية الكاتب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني وسيناريو وإخراج قاسم حول وإنتاج مؤسسة الأرض التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
13 – قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من خلال قسم السينما وعبر الأمين العام الدكتور جورج حبش بتكريم أول سينمائي فلسطيني منذ الثلاثين في فلسطين، وكان الرفيق قاسم حول قد اكتشف هذا السينمائي من خلال عمله في المخيمات واكتشف أن هذا السينمائي يعمل سنكرياً فقابله ودون تجربته ونشرت في كتاب السينما الفلسطينية صدر عن دار العودة وأصبح مرجعاً للباحثين وطلبة الجامعات في العالم وما يزال هذا الكتاب المرجع الوحيد ترفد منه المؤلفات والأطروحات السينمائية وبعد التكريم تقرر تخصيص مرتب لأول سينمائي فلسطيني وهو إبراهيم حسن سرحان وألتحق بقسم السينما تاركاً مهنة السنكرة الاضطرارية
14 – سعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ممثلة في قسم السينما في الدعوة إلى وحدة العمل الثقافي مع فصائل المقاومة الفلسطينية، وترجمت موقفها هذا في الوفود الموحدة

لمهرجانات السينما في العالم وهذه المشاركة الموحدة جاءت أساساً بمبادرة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي كانت توفر فرص المشاركة السينمائية ليس للجبهة وحدها بل لجميع السينمائيين في الثورة الفلسطينية.
بهذا الصدد ينبغي القول المؤسف بأن جهة واحدة في ساحة المقاومة الفلسطينية لم يكن يروق لها النجاحات الوطنية التي حققتها الجبهة، فكانت منذ البداية تحاول عرقلة أهدافها ولم تنجح، وتحاول الاستئثار بالعمل الثقافي الفلسطيني، وما يؤكد رأينا هذا، فنحن اليوم والعمل ما يزال قائماً لجمع الأرشيف السينمائي المصور فلسطينياً ومركزته في مؤسسة أرشيفية يعمل الكثير من الأكاديميين الفلسطينيين على إنجازه، تحاول تلك المؤسسة الاستئثار حتى بالأرشيف المصور الذي هو ملك لفلسطين وملك فلسطيني، فأصدروا كتاباً لم يكن فيه ذكر للجبهة الشعبية، ويحاولون العمل على جمع الأرشيف الفلسطيني للاستئثار به حزبياً، فيما توجهات الجبهة الشعبية هو إنشاء مركز أرشيف للذاكرة الفلسطينية.

في مذكرات الرفيق قاسم حول تفاصيل مثيرة، كيف كان مصورو الجبهة الشعبية يغطون الأحداث الصعبة في الخطوط الأمامية، وكثيراً ما واجه المصورون الغزو الإسرائيلي لمدينة صور عام 1978 وهو مجرد مثال، ونضع هذه الصورة التي التقطت للرفيق قاسم حول في تبنين وهو والمصورون يواجهون الغزو بكاميراتهم، وهو ما يثبت تواجد الرفاق الفنانين الشجعان في توثيق الواقع الثقافي الفلسطيني■

العودة إلى الفهرس

الأسير الحر مجد بربر:

لن نُهزَم

الهدف
AL-HADAF

كان اسمه بساطة: الخال..

أحمد م. جابر

كان خال الفدائيين الذي وزعت عليه الألقاب يمينًا ويسارًا؛ فهو أخطر رجل في العالم، وهو زعيم الإرهابيين، وخاطف الطائرات؛ قومي يميني؛ وطني متشدد؛ ثوري راديكالي، وغيرها الكثير.

لكن أهم ما يمكن أن نقوله عن الخال الذي لم نعرفه شخصيًا، وإن تربينا على سيرته؛ إنه تمكن من هز مركز الثقل لضمير العالم الذي كان ينام نومًا طويلا مستبدًا على حرير دمنا، وجثثنا التي كادت تتعفن دون أن يراها أحد. وهز أيضًا مركز ثقل إحساسنا وإدراكنا لأهمية القتال المستمر من أجل حقنا في الوجود.

كان الخال «بوق إسرافيل» للشعب الفلسطيني، الذي هز العالم كله؛ وأيقظه من سباته تجاه قضية شعب مطرود وشهيد، و كم كنا بحاجة لوديع حداد.. وكم كان العالم بحاجة له.. لكن، هل يمكن القول أن هذه الحاجة للخال ووجوده بيننا؛ مرشدًا وقائدًا ومعلمًا قد انقضت.. في الحقيقة لا الواقع ولا التاريخ ولا حتى أي خيال مارق يمكن أن يزكي مثل هذا الافتراض.. لأن حاجتنا إلى الخال أبو هاني اليوم هي أشد ما تكون إلحاحًا وضرورة؛ نظرًا لطبيعة التحدي القاسي الذي يخوضه شعبنا وقضيتنا الوطنية ومحاولات معسكر الأعداء أن يدفننا أحياء ويشرب الأنخاب على قبورنا.. لذلك فإن المهمة التاريخية التي مثلها وديع حداد لم تنتهِ بعد..

لسنا عبيد المرحلة ولا عبيد أصنام، ولا نعيش على ذكريات ماض مجيد، لأننا ندرك أن هذا الشعب قادر على العطاء والتضحية المستمرة، ونحن عندما نتحدث عن الخال؛ فإننا نقوم في الواقع باستدعاء نهجه، وقدوته وروحه المقاتلة، فإن بحثنا عن الخال في الواقع هو بحث عن حقيقتنا المهدورة في زواريب السياسة التي كفر بها، وفي متاهات الرأي العام الذي أدرك أنه لايمكن أن يصحو إلا بزخات الرصاص.. نحن بحاجة إلى الخال وديع حداد وسنجده حتمًا عندما نجد أنفسنا وأرواحنا المهدورة ونستعيد قدرتنا على القتال من أجل فلسطين ومن أجل شعبنا، ونحن على ثقة أن الخال حينها سيكون سعيدًا راضيًا.. لأننا كلنا سنكون: وراء العدو في كل مكان.

AL-HADAF
الهدف